

الْمَرْقَةُ الْوُسْطَى

الداعي لجميع المسلمين إلى سلوك الطريقة المثلى

تأليف المفتقر إلى عفو الكريم المتعالي
عبدالغني علي ناصر حسين الحاشي

كتاب
النمرقة الوسطى الداعي لجميع المسلمين
إلى سلوك الطريقة المثلى

محمّد محفوظ

الطبعة الأولى

١٤٤٠هـ / ٢٠١٨م

تنسيق وإخراج: حفظ الله عقيل

Mobial : 774373456 – 737247737
e-mail : hefdallahageel@gmail.com



كتاب

النمرقة الوسطى

الداعي لجميع المسلمين إلى سلوك الطريقة المثلى

تأليف المفتقر إلى عفو الكريم المتعالي

عبد الفني علي ناصر حسين الحاشي

بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقريظ

السيد العلامة مفتي الديار اليمنية رئيس رابطة علماء اليمن

الحمد لله رب العالمين وصلاة الله وسلامه على خاتم النبيين وتمام عدة المرسلين
سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين .. وبعد

فقد اطلعت على كتاب النمرقة الوسطى الداعي لجميع المسلمين إلى سلوك الطريقة
المثلى لمؤلفه الأخ العلامة الفاضل عبدالغني بن علي بن ناصر الحاشي حفظه الله ورعاه
وجعل الجنة قراه، فوجدته كتاباً كاسمه وسطاً كافياً شافياً في بابه سهل العبارة، لطيف
الإشارة، كرس المؤلف فيه جهده لحشد الأدلة من كتاب الله وسنة رسول الله صَلَّى اللهُ
عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وأقوال أئمة أهل البيت المعترين حول ضرورة الإمامة والقيام بواجب
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر المخوف والجهاد في سبيل الله سيما في وقت يتعرض
فيه بلد الإيمان والحكمة لأشرس وأكبر عدوان ظالم في تاريخه من قبل ما يسمى بقوات
التحالف بقيادة السعودية والإمارات وإشراف أمريكي مباشر بغية احتلال البلاد
واستعباد العباد ونهب ثرواته ومصادرة خيراته مع ما صاحب ذلك من صبر وجلد
وصمود في مواجهة هذا العدوان من قبل أحرار الشعب اليمني الصادقين الأبرار من
جيشه ولجانه الشعبية وحافظته الشعبية بقيادة علم الهدى سليل البيت النبوي السيد
المجاهد عبدالملك بن بدر الدين الحوثي حفظه الله ورعاه ونصره وحماه، وما رافق هذا
الحدث العظيم من مباينات واختلاف في الرؤى وانقسامات شعر المؤلف بها وعاشها
وذاق طعم مرارتها حملته على عقد العزم والتشمير لتأليف هذا الكتاب القيم وإخراجه
على أكمل صورة ليكون حجة إضافية على كل من تنصل عن المسؤولية وسكت عن
منكر عظيم فاق كل التوقعات ارتكبت فيه أبشع المجازر - ولا زالت - بحق الشعب

اليمني وتثبيتاً لكل مؤمن حر وشريف أبى العظيم والعبودية لغير الله فكان كما يقال
(حبيب جاء على فاقة) فجزى الله المؤلف خير الجزاء وجمع له بين خير الدنيا ونعيم
الأخرى وجمع الله بيننا وبينه نحن وسائر المؤمنين في مستقر رحمته ودار كرامته إنه ولي
ذلك والقادر عليه.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

حرر بتاريخ ٨ محرم سنة ١٤٤٠ هـ

الموافق ١٨/٩/٢٠١٨ م

الفقير إلى عفو الله ورحمته

شمس الدين محمد شرف الدين

بسم الرحمن الرحيم

تقرير السيد العلامة أحمد بن درهم المؤيدي

الحمد لله رب العالمين أحمد محمدًا يواكب نعمائه ويملاً أرضه وسمائه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له أكمل حجته على عباده بما ركب فيهم من العقول وبما بعث فيهم من نبي ورسول وتوج ذلك بمسك الختام كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ما فرط فيه من شيء وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون فبلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وكشف الغمة وتركهم على المحجة البيضاء والصراط المستقيم وأبان لهم الطريق ليهلك من هلك عن بينه ويحيى من حيى عن بينة وأشهد أن آله خير آل أقاموا حجج الله على عباده ونشروا العلم في بلاده بلا تهاون ولا توان فلم يبقوا لذي تعلل علة فصلوات الله وسلامه عليه وعليهم ما طلع نجم أو أفل وفي الليل إذا دنى وفي الصباح إذا أقبل.

وبعد فإني لما طالعت كتاب النمرقة الوسطى لمؤلفه الولد القاضي الباحث العلامة عبدالغني بن علي الحاشي حفظه الله وجدته بحق روضة غناء قد بسمت أنوارها وبسقت أشجارها ودنت أثمارها وتغنت أطيافها وجرت أنهارها وهبت نسائمها فعبرت طبيات روائحها حتى أن زائرها لا يفارقها حتى يملأ الوطاب مما لذ وطاب من جنى السنة والكتاب فلله دره من مؤلف قد جمع فأوعى ما ترك شاردة ولا واردة من كتاب ولا من سنة ولا من كلام الأئمة عليهم السلام إلا أوردها مع جودة في السبك وحسن في الاختيار فمؤلفه هذا بحق من خير ما ألف في هذا الباب جزاه الله عن أهل البيت أحسن الجزاء فقد أقام حجتهم وجمع حججهم وسهل على طالب الحق تناولها مجموعة من بطن كل كتاب غاص لها بصبر وجد حتى استخرجها كالدر ناصعة متألقة تضيء

للأمة دربها وتعيدها إلى نهج أئمتها فلا عذر لمن اطلع عليها وقرأها بتأمل وإن تعامى بعد ذلك متعام فليس لغموضها ولا لعدم وضوحها بل لما قد جعله بينه وبين السنن اللائحة والحجج الواضحة من حوائل اعتادها حتى صارت عنده أدلة وكما قال المثل لا تعدم الخرقاء علة.

أما أنت يا عبدالغني فقد أغنيت بمؤلفك هذا عن البحث في بطون الكتب أو سهلته لمن لم يثق بنقلك فجزاك الله عن نبيك وآله وعن دينه وأمته أحسن الجزاء في عاجل الدنيا وفي الآخرة وفي الأخير أهيب بمن يسمع مني ويقبل عني أن يقبل على قراءته بتأن وتأمل حتى يخرج منه باقتناع في هذه المسائل والله أسأل وبجلاله أتوسل أن يجعله مصباح هداية يجمع به هذا الجيل الذي مزقته الخلافات وشتته الشبهات وأن يجعله ذخراً لمؤلفه ونوراً له يوم القيامة.

وكتب المفتقر إلى عفو الله وتوفيقه ومغفرته/أحمد بن درهم بن عبدالله بن حورية المؤيدي عفا الله عنه وعن والديه.

في ٢٨/١١/١٤٣٦هـ الموافق ١٢/٩/٢٠١٥م

بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الكتاب

(نداء لجميع المسلمين في أنحاء العالم)

أيها المسلمون يا أتباع محمد بن عبد الله صلوات الله عليه وآله اعلّموا أن أنظمتكم التي كان من المفترض أن يكون فيها عزتكم وقوتكم عائشة تحت الذلة والمهانة تحت رحمة الأعاجم الكافرين من اليهود والنصارى وأمثالهم الذين أخبرنا الله تعالى بأنها قد ضربت عليهم الذلة والمسكنة فيا سبحان الله كيف انقلب الوضع وصار الأذلاء كالأعزاء والأعزاء كالأذلاء وما هو السبب في ذلك.

على كل واحد منا أيها الإخوة أن يسأل نفسه عن ذلك وأن يفكر جيدا في ماهو السبب وماهو المخرج من هذا الوضع المزري.

هل السبب هو أن دين الإسلام دين ناقص ضعيف لم يرسم لنا الطريق الناجحة؟.

كلا فهو قانون من إله الكون وخالقه، العالم بكل ما يصلح الناس ويرفعهم.

أم أن السبب هو في قلة المسلمين.

كلا فالله سبحانه يقول: ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٤٩] مع أن المسلمين أكثر الملل عدداً على الإطلاق.

أم أن السبب هو في ضعف قوة المسلمين أمام قوة الكافرين

كلا فالله سبحانه وتعالى قد أمر المسلمين بقتال الكافرين في كتابه الكريم وأخبرنا بأن لا نخاف ونرهب من قوتهم وإنما يجب علينا أن نعد لهم من القوة ما هو تحت استطاعتنا فقط فقال سبحانه ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبْقُوا﴾ [الأنفال: ٥٩] (أي سبقوكم بقوتهم في البر والبحر والجو) ﴿إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾ (أي لا يعجزون الله والنصر بيده

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ إلخ الآية [الأففال: ٦٠].

فليس عليكم أيها المسلمون أن تفعلوا إلا ما هو تحت قدرتكم واستطاعتكم فقط والله هو الناصر لكم: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ [الأففال: ١٠].

إذاً عرفنا أيها الإخوة أن السبب هو في غير ما تقدم فعلينا أن ننظر بعقولنا نظراً سوياً في ذلك السبب الذي بسببه أصبح المسلمون من المهانين المسترذلين.

إننا إذا نظرنا في ديننا جيداً فسنعرف أن ذلك هو في بعدنا عن ديننا وتركنا للقيادة التي أمرنا الله بالإنقياد لها والإمتثال لأمرها التي أمرنا بطاعتها في كتابه الكريم بقوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩] هذا هو السبب الرئيسي يعني تركنا لولي أمرنا فعلينا أيها الإخوة أن ننظر في ولي أمرنا الذي أمرنا الله سبحانه بطاعته من هو؟ وهل بينه الله لنا أم لا؟ هل يأمرنا بطاعته ونحن لانعرف من هو ولا نعرف صفاته التي يتصف بها؟ حاشا الله أن يأمرنا بشيء مجهول غير معلوم لنا ولا سبيل لنا إلى معرفته ألم يخبرنا في كتابه العزيز بأنه قد بين لنا كل شيء: ﴿مَا قَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨] ونبيه ﷺ يقول: «تركتم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك» ألم يخبرنا نبينا بكل شيء حتى آداب قضاء الحاجة أيخبرنا كيف نفعل عند قضاء الحاجة ويتركنا في هذا الأمر الذي هو أعظم أمر وأخطر أمر وليس هناك أمر في الدين أعظم منه؟ كلا وحاشا بل قد أبان لنا ذلك وإنما نحن المقصرون في النظر في كتاب ربنا وسنة نبينا.

وسأين لكم أيها الإخوة المسلمون ذلك الأمر بالأدلة الواضحة التي لا يبقى معها شك ولا شبهة لأي إنسان إلا من استهواه الشيطان فأصبح من المعاندين الجاحدين لما هو كالشمس في ضحاها فأولئك لا ينفع فيهم شيء بل هم كما قال الله سبحانه: ﴿وَلَكِنَّ الَّذِينَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ﴾ [البقرة: ١٤٥] ولكن ليس علينا إلا البلاغ كما قال الله تعالى في أنبيائه: ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [النور: ٥٤]، وليس علينا تحقيق

الهداية كما قال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾ [البقرة: ٢٧٢].

وسأورد في كتابي هذا إن شاء الله تعالى ما يقر الناظر ويثلج خاطر في ذلك الأمر وما يتعلق به وقد وسمته بـ(النمرقة الوسطى الداعي لجميع المسلمين إلى سلوك الطريقة المثلى). أسأل من الله القوي العزيز أن يجعل عملنا هذا نصرة لدين الإسلام على كافة الأديان وأن ينفع به جميع المسلمين وأن يكون وسيلة لجمع شملهم وتوحيد كلمتهم إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير وصلى الله وسلم على محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

وحرر ١٥ رمضان ١٤٣٦ هـ

الفقير إلى الله عبد الغني علي ناصر الحاشي وفقه الله وقد قسمت ما أردت وضعه فيه إلى أربعة أقسام وخاتمة وكل قسم يحتوي على عدة فصول وعناوين كما ستأتي مفصلة إن شاء الله تعالى.

القسم الأول

فصل

في الحوار مع القرآن الكريم حول ولي أمرنا

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦] ﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٢٧] في هذه الآية الكريمة يخبرنا الله تعالى بأن له التصرف في عباده وإليه الحكم في تعيين الملك الوالي عليهم لا إليهم.

وفي الآية دلالة واضحة على أن الله سبحانه قد حكم بالملك في هذه الأمة لأناس آخرين لغير من كان الملك فيهم من قبل.

فقد كان الملك في بني إسرائيل كما أخبر الله عن ذلك بقول موسى صلوات الله عليه: ﴿يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ [المائدة: ٢٠] ثم إنه تعالى نزعه منهم وجعله في قبيلة قريش من العرب وجعل فيهم ذلك إلى يوم القيامة كما سيأتي وفعل الله ما فعل لأنه سبحانه له الحق في إعزاز من يشاء وإذلال من يشاء فهو القاهر فوق عباده وله الحكم فيهم بما شاء وإليه تعيين القائد والملك عليهم الذي تجب عليهم طاعته رضي بذلك من رضي من عباده وسخط من سخط فهذه الصفة وهي التصرف فيهم والحكم بالملك لمن شاء منهم صفة مختصة به تعالى لا يشاركه فيها مشارك فهي كبقية الصفات الواردة بعد هذه الآية من إيلاج الليل في النهار وإلى آخر الصفات التي ليست لاحد سواه تعالى فهي صفة من صفات المدح له تعالى تبين لنا بأنه تعالى هو المتصرف في أمر عباده فهو من يحكم بالملك لمن يشاء ويوجب على الناس طاعة من حكم له بالملك عليهم.

فمن استجاب من الناس لحكم الله وأطاع من اختاره الله جازاه الله بثوابه في دار جزائه في جنات النعيم ومن رفض ذلك جازاه بالعذاب الأليم في نار الجحيم.

إذا نفهم من خلال هذه الآية أن هناك من ولّاه الله علينا ومَلَكَهُ أمرنا سواء رضينا واستجبنا لذلك أم لا. فهذا هو المعنى المقصود من الآية.

وليس معناها أن الله يؤتي الملك للشخص من العباد بأن يُمَلِكُهُ فعلاً ويجعله ملكاً مسيطراً على أرض الواقع بل لذلك شروط كما سيأتي ذكرها.

لأنه لو كان معنى الآية هو التملك بالفعل على أرض الواقع لما كان ذلك صفة خاصة بالله تعالى تفيد المدح له تعالى لأننا نعلم أن هناك غيره تعالى من المخلوقين من يفعل ذلك فنحن نعلم أن بعض الملوك الجبارين في الأرض كانوا ينتزعون آل ملك بالقوة من بعض الناس ويتملكون على الناس ثم يعطون الملك لمن شاءوا في آخر المطاف.

فقد انتزع معاوية الملك من الإمام الحسن بن علي عليه السلام وآتاه من بعده لابنه يزيد مع أنه قد كان باستطاعته أن يؤتيه للإمام الحسين بن علي عليه السلام أو لغيره من الناس وكذلك نحوه من الجبارين في الأرض.

فعرفنا أيها الإخوة أنه ليس المراد من الآية ذلك وأنه ليس المراد بإيتاء الله الملك لأشخاص من عباده وإعزازهم إلا الحكم من الله لهم بذلك وإيجاب طاعتهم على الناس أجمعين لا إيتاءهم على أرض الواقع بالفعل.

فليس ما يتوهمه كثير من الناس حول تفسير الآية بصحيح فإن كثيراً من الناس عندما يرون ملكاً ظالماً من ملوك الدنيا يتغلب على الناس ويستولي عليهم يقرأون الآية وعندما يسقط ويغلبه ظالم آخر ويتولى مكانه يقرؤونها ولم يعلموا أن الله لا يرضى عن أولئك الفاسقين الظالمين في حال من الأحوال سواء تولوا أم لا ولم يشأ ذلك ولن يشاءه.

كيف وهو سبحانه وتعالى يحرم على عباده الركون إلى الظالمين قال تعالى ﴿وَلَا تَرْكُنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ [هود: ١١٣] والركون هو الميل اليسير في لغة العرب. فكيف بطاعتهم وموالاتهم والرضاء عنهم حاشا الله أن يرضى بذلك ﴿فَإِنْ تَرَضُوا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٦٩] فلا يجوز لنا أيها الإخوة عندما نرى ظالماً يتغلب علينا أن نقول إن الله آتاه الملك علينا وأعزه ورفع به بذلك لأنه لو كان كذلك لوجب علينا الرضا بحكم الله والطاعة لذلك الظالم مع أنه تعالى قد نهانا عن الركون إلى الظالمين وهذه من المناقضة التي لا تليق بكلام الحكيم سبحانه وتعالى الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ [فصلت: ٤٢] فظهر بما ذكرنا أن معنى قوله تعالى ﴿تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦] هو الحكم بالملك لمن اختاره الله كما قال تعالى ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨] أي ويختار من يكونون ولاية على الناس تجب طاعتهم.

وسوف نذكر في ما سيأتي من اختارهم الله فيجب على جميع الخلق أن يرضوا بمن اختارهم الله عليهم وأن لا يعارضوا خيرة الله كما قال تعالى ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦] ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ [القصص: ٦٨] فما عليهم إلا التسليم والرضا بما اختاره الله بالطاعة والإنقياد للقيادة التي اختارها الله كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩].

نعم أيها الإخوة إذا استجاب الناس لمن ولاه الله تعالى عليهم بالطاعة له والامتثال لأمره والانتفاء عند نهيه فإن الله لا شك سوف يؤيدهم بنصره ويمدهم بعونه ويجعل لهم الألفاظ الكثيرة والأسباب البسيطة التي بسببها يكون النصر على أعداءهم أعداء الدين ويوليهم الله ولاية فعلية بعد الولاية الحكمية فيجعل لهم العزة بعد الذلة والقوة بعد الضعف و... إلخ وهذا وعد الله لأهل طاعته وسنته في خلقه قال الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام): (وَأَعْظَمُ مَا افْتَرَضَ سُبْحَانَهُ مِنْ تِلْكَ الْحَقُوقِ حَقُّ الْوَالِي عَلَى الرَّعِيَّةِ

وَحَقُّ الرَّعِيَّةِ عَلَى الْوَالِي فَرِيضَةٌ فَرَضَهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِكُلِّ عَلَى كُلِّ فَجَعَلَهَا نِظَامًا لِأَلْفَتِهِمْ وَعِزًّا لِدِينِهِمْ فَلَيْسَتْ تَصْلُحُ الرَّعِيَّةُ إِلَّا بِصَلَاحِ الْوَلَاةِ وَلَا تَصْلُحُ الْوَلَاةُ إِلَّا بِاسْتِقَامَةِ الرَّعِيَّةِ فَإِذَا أَدَّتْ الرَّعِيَّةُ إِلَى الْوَالِي حَقَّهُ وَأَدَّى الْوَالِي إِلَيْهَا حَقَّهَا عَزَّ الْحَقُّ بَيْنَهُمْ وَقَامَتْ مَنَاهِجُ الدِّينِ وَاعْتَدَلَتْ مَعَالِمُ الْعَدْلِ وَجَرَتْ عَلَى أَذْلَاهَا السُّنَنُ فَصَلَحَ بِذَلِكَ الزَّمَانُ وَطُمِعَ فِي بَقَاءِ الدَّوْلَةِ وَيَسَّتْ مَطَامِعُ الْأَعْدَاءِ... إلخ) انتهى وإذا لم يستجب الناس لمن ولاه الله عليهم وأمرهم باتباعه وطاعته فإنه لا شك أن الله سبحانه سوف يسلط بعضهم على بعض بسبب مخالفتهم لأمر الله تعالى كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُؤَيِّي بِغُضِّ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٩] وكما في الأثر «كيفما كنتم يول عليكم» أو ما في معناه وهذه سنة الله في الخلق من عصر آدم صلوات الله عليه وإلى أن تقوم القيامة.

ومعنى قول الله تعالى: ﴿نُؤَيِّي بِغُضِّ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٢٩] معنى ذلك هو التخلية من الله للظالمين وتهيئة الأسباب وعدم المنع لهم من ظلمهم مع أن الله سبحانه قادر على منع الظالم من ظلمه ولكن حكمته تعالى قضت بتركه وتمهيله إلى بعد حين ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ [الأعراف: ١٨٣] ﴿فَمَهْلِ الْكَافِرِينَ أَهْمُ لَهُمْ رَوِيداً﴾ [الطارق: ١٧]، وليس معنى نولي هو أن يحكم الله لهم بالولاية على الناس بمعنى أنه يجب عليهم طاعتهم كيف ذلك والله ينهى عن اتباع الظالمين وعن الركون إليهم كما قدمنا وقد وردت أحاديث كثيرة تنهى عن ذلك كقوله ﷺ: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق» وغير ذلك.

فالمبدأ أو المذهب الذي يقول بولاية الظالمين مخالف لكتاب الله العزيز وسنة نبيه الكريم.

كذلك من يقول إن الإمامة والرئاسة على الناس ليست من الله وإنما هي بالقهر والغلبة.

وأقول لمن يقول كذلك.

يا هذا يجب عليك طاعة الظالم القوي المتغلب سواء كان شيعياً أم سنياً يهودياً أم نصرانياً أم غير ذلك، وما أسوأ قولاً يوجب الولاية للكافرين على المسلمين وهذا لازم

لك من خلال قولك.

لأن الرئاسة والإمامة على الناس ليست من الله وإنما هي لصاحب القوة الذي يستطيع قهر الناس على زعمك

ولا شك أن أكبر قوة في عصرنا هذا مع اليهود والنصارى فعلى مذهبك هذا يجب على المسلمين أن يطيعوا اليهود والنصارى لأنهم هم أصحاب القوة.

وبذلك يكونون قد خرجوا من دين الإسلام لأن الله تعالى يقول: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١] فليس لمن يقولون بذلك مفر من أحد قولين.

١ - إما أن يقولوا إن الرئاسة على الناس هي لصاحب القوة من البشر فيجب عليهم طاعة اليهود والنصارى لأنهم أكبر قوة في وقتنا هذا.

٢ - وإما أن يقولوا إنها إلى الله كما نصت على ذلك الآيات القرآنية والأحاديث النبوية كما سيأتي إن شاء الله تعالى فيجب عليهم الرضا بما اختار فالله قد اختار لهم ولم يتركهم سدى.

ولكن دأب كثير من الناس هو الاعتراض على الله في حكمه واختياره.

انظروا أيها الإخوة كيف اعترض الله في حكمه من حاج إبراهيم صلوات الله عليه في ربه لماذا أعطى الله الملك لإبراهيم مع أنه فقير لا مال له قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ...﴾ [البقرة: ٢٥٨] وكذلك ما حكى الله في قصص كثير من أنبيائه ورسله الذين اختارهم الله وحكم بالملك لهم على جميع خلقه من الاعتراض عليهم من العصاة للمخالفين لقوله وحكمه كقول فرعون لعنه الله: ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ [الزخرف: ٥٢] يريد بذلك موسى صلوات الله عليه، وكما قالوا في طالوت عليه السلام: ﴿أَنِّي يَكُونُ لِيَ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٤٧] وكما قال المشركون في نبينا محمد صلوات الله عليه وآله: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ

عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرِيَتَيْنِ عَظِيمٍ أَهْمُ يَفْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ ﴿الزخرف: ٣١﴾

اتبعوا طريقة إبليس لعنه الله في الحسد والاستكبار على أهل الفضل الذين اختارهم الله وأمر بطاعتهم قال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾.

فعلينا أيها الإخوة المسلمون إذا أردنا النجاة والفلاح في الدنيا والآخرة والخروج من وضعنا السيئ أن ننظر في شريعتنا حول هذا الأمر لأن الله لا يمكن أن يتركنا هملًا كما أسلفنا.

فإن قال قائل بأن الله تعالى قد بين لنا ذلك بقوله تعالى ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨].

فأقول والله الموفق:

أولاً: إن معنى هذه الآية هو الإرشاد للمؤمنين كيف يفعلون في الأمور المتعلقة بهم لا فيما أمره إلى الله فأما ما قد حكم الله فيه بحكم من ما أمره إليه فليس إليهم ذلك فالله يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة من أمرهم ولذا قال الله تعالى ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦] ثم قال بعدها ﴿وَمَنْ يَعَصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [النساء: ١٤].

ثانياً: إننا إذا قلنا بأن معنى الآية هو أن الله وكل الأمر إلينا في اختيار القائد علينا فلا زال الأشكال باقياً وهو أن الله تركنا ولم يبين لنا من هو ولي أمرنا الذي يجب علينا طاعته وإنما ترك الأمر إلينا فوجود الآية وعدمها على سواء إذا كان معناها هكذا.

ثالثاً: إن هذا القول وهو القول بأن الرئاسة شورى بين المسلمين قول مخالف لما أجمع عليه علماء المسلمين من اعتبار المنصب المعين في الرئاسة والإمامة كما سيأتي.

رابعاً: إنّ العقل يحكم بأنه لا يجوز أن يتركنا الله في هذا الأمر هملًا كما قدمنا لأن الله سبحانه تعالى حكيم لا يحب الفساد ولا فساد أعظم من أن يجعل أمره ونهيه وحدوده وأحكامه إلى جميع المخلوقين ولم يجعل ذلك في قوم معينين.

إذاً نعرف أيها الإخوة إن القيادة أمرها عظيم لا أمر أعظم منها في الدين لأن القائد علينا قائم مقام الرسول فالرئاسة هي الإمامة وهي ثانية النبوة في الوجه الذي وجبت له فتعالوا معي لننظر في شريعتنا حول ذلك الأمر.

فصل

في تعيين أولي الأمر

قال الله تعالى لنبيه إبراهيم صلوات الله عليه: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة: ١٢٤] أي رئيساً وملكاً على الناس يجب عليهم طاعتك: ﴿قَالَ وَمَنْ ذُرِّيَّتِي﴾ [البقرة: ١٢٤] أي واجعل من ذريتي أئمة للناس فاستجاب الله تعالى دعوته ﷺ لأنّ دعاء الأنبياء مستجاب بالإجماع ولم يخرج تعالى من ذريته إلا من كان ظالمًا قال تعالى: ﴿قَالَ لَا يَنْأَلُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤] فثبت بهذه الآية أن الإمامة في نسل إبراهيم صلوات الله عليه إلى يوم القيامة يؤكد ذلك ما نقله العلامة ابن كثير عن العلامة ابن جرير الطبري قال في تفسير الآية ص ٢١٧ مالفظة: (لما جعل الله إبراهيم إماماً سأل الله أن تكون الأئمة من ذريته فأجيب إلى ذلك وأُخبر أنه سيكون من ذريته ظالمون وأنه لا ينالهم عهد الله ولا يكونوا أئمة فلا يقتدى بهم والدليل على أنه أُجيب إلى طلبته قوله تعالى في سورة العنكبوت: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ [العنكبوت: ٢٧] فكل نبي أرسله الله وكل كتاب أنزله الله بعد إبراهيم ففي ذريته صلوات الله وسلامه عليه انتهى

أقول وقد أكد الله ذلك أيضاً بقوله تعالى ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ

مُلْكًا عَظِيمًا ﴿[النساء : ٥٤] .

والملك العظيم هو الإمامة على الناس ولا شك أن الإمامة قد كانت في ولد إسحاق صلوات الله عليه كما قال تعالى ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [الجن: ١٦] وقال موسى صلوات الله عليه ﴿يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ [المائدة : ٢٠] .

ثم إن الله تعالى نقل الإمامة من ولد إسحاق عليه السلام إلى ولد إسماعيل صلوات الله عليه كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الجمعة : ٢] .

وفعل الله ذلك لأن الأمر إليه في ذلك كما قدمنا في الفصل السابق عند ذكر قوله تعالى ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ يَبْدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران : ٢٦] .

قال العلامة ابن كثير عند ذكره لهذه الآية في تفسيره للقرآن (ص ٢٢) من الجزء الثاني مالفظه (يقول تبارك وتعالى قل يا محمد معظماً لربك وشاكراً له ومفوضاً إليه ومتوكلاً عليه ﴿اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ﴾ [آل عمران : ٢٦] أي لك الملك كله ﴿تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ﴾ [آل عمران : ٢٦] أي أنت المعطي وأنت المانع وأنت الذي ما شئت كان وما لم تشأ لم يكن وفي هذه الآية تنبيه وإرشاد إلى شكر نعمة الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وآله وعلى هذه الأمة لأن الله تعالى حول النبوة من بني إسرائيل إلى النبي العربي القرشي الأمي المكي خاتم الأنبياء على الإطلاق ورسول الله إلى جميع الثقلين الإنس والجن الذي جمع الله فيه محاسن من كان قبله وخصه بخصائص لم يعطها نبياً من الأنبياء ولا رسولاً من الرسل في العلم بالله وشريعته وإطلاعه على الغيوب الماضية والآتية وكشفه له عن حقائق الآخرة ونشر أمته في الآفاق في مشارق الأرض ومغاربها وإظهار دينه وشرعه على سائر الأديان والشرائع فصلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين ما تعاقب الليل والنهار ولهذا قال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ﴾ [آل عمران : ٢٦] الآية أي أنت المتصرف في خلقك

الفعال لما تريد كما رد تعالى على من يحكم عليه في أمره حيث قال ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١] قال الله رداً عليهم ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ [الزخرف: ٣٢] الآية أي نحن نتصرف في خلقنا كما نريد بلا ممانع ولا مدافع ولنا الحكمة البالغة والحجة التامة في ذلك وهكذا نعطي النبوة لمن نريد كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ...إِنَّا﴾ [الأنعام: ١٢٤] انتهى.

وهذا الأمر وهو اصطفاء الله لنبينا محمد ﷺ والحكم له بالنبوة والإمامة والملك لا ينكره أحد من المسلمين فلننظر أيها الإخوة هل جعل الله تعالى لمحمد ﷺ نسلًا وذرية من بعده كما جعل لغيره من الأنبياء كذلك ننظر في كتاب الله العزيز لأنه مصدر الهداية وأصلها قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٦١] أجمعت الأمة الإسلامية على أن رسول الله ﷺ دعا في مباهلة نصارى نجران علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فكان علياً هو المقصود بقوله تعالى (أنفسنا) وفاطمة هي المقصودة بقوله (نساءنا) والحسن والحسين هما المقصودان بقوله (أبنائنا) وقد ذكر ذلك أهل النقل من المحدثين والمؤرخين.

ومن رَوَاهُ وأَخْرَجَهُ أو ذَكَرَهُ في كُتُبِهِمْ.

مسلم في صحيحه وأحمد بن حنبل في مسنده والترمذي في سننه والخوارزمي في المناقب والحاكم في المستدرک وصححه ووافقه الذهبي.

والسيوطي في الدر المنثور والحاكم الحسكاني في الشواهد والبيهقي في سننه والبغوي في مصابيح السنة وفي دلائل النبوة لأبي نعيم وأسباب النزول للواحدي ومناقب ابن المغازلي وينايع المودة للقندوزي وفي الصواعق المحرقة وكفاية الطالب والعمدة لابن البطريق وجامع الأصول وأمالى الطوسي وفي تيسير الوصول والإصابة وذخائر العقبي والرياض النضرة والبداية والنهاية ودلائل النبوة وفتح القدير وفي

منتخب كنز العمال وفي تفسير فرات الكوفي وتفسير ابن كثير وتفسير الحبري وتفسير الطبري والفخر الرازي والزمخشري وغيرهم.

انظر لوامع الأنوار ص ١٢٤ وحواشي مجموع الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام ص ١٦.

قال الزمخشري في الكشاف: (فإن قلت: ما كان دعاؤه إلى المباهلة إلا ليتبين الكاذب منه ومن خصمه، وذلك أمر يختص به، وبمن يكاذبه؛ فما معنى ضم الأبناء والنساء؟

قلت: ذلك أكد في الدلالة، على ثقته بحاله، واستيقانه بصدقه، حيث استجراً على تعريض أعزته، وأفلاد كبده، وأحب الناس إليه، لذلك، ولم يقتصر على تعريض نفسه له؛ وعلى ثقته بكذب خصمه، حتى يهلك خصمه، مع أحبته وأعزته، هلاك الاستئصال إن تمت المباهلة.

إلى قوله: وقدمهم في الذكر على الأنفس؛ لينبه على لطف مكانهم، وقرب منزلتهم، وليؤذن بأنهم مقدمون على الأنفس، مفدّون بها؛ وفيه دليل لاشيء أقوى منه على فضل أصحاب الكساء عليهم السلام، وفيه برهان واضح على صحة نبوة النبي ﷺ وقال في سياق القصة: فأتوا رسول الله ﷺ وقد غدا محتضناً الحسين، أخذاً بيد الحسن، وفاطمة تمشي خلفه، وعلي خلفها، وهو يقول: «إذا أنا دعوت فأمنوا»، فقال أسقف نجران: يامعشر النصارى، إني لأرى وجوهاً لو سألو الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله بها، فلا تباهلوا فتهلكوا، ولا يبقى على وجه الأرض نصراني إلى يوم القيامة، فقالوا: ياأبا القاسم، رأينا ألا نباهلك.

...إلى قوله: وقال: «والذي نفسي بيده إن الهلاك قد تدلى على أهل نجران، ولو لاعنوا لمسخوا قردة وخنازير، ولاضطرم عليهم الوادي ناراً، ولاستأصل الله نجران وأهله، حتى الطير على رؤوس الشجر، ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى يهلكوا». انتهى نقلاً من اللوامع ص ١٢٥.

فقد ثبت بنص القرآن أن الحسن والحسين ابنا رسول الله ﷺ وقد جاء في السنة

ما يؤكد ذلك ويشهد له.

من ذلك ما ذكره في اللوامع حيث قال (وفي البخاري، عن أبي بكرة، قال: سمعت رسول الله ﷺ والحسن إلى جنبه، وهو ينظر إليه يقول: «إن ابني هذا سيد»... الخبر.

وأخرج أبو يعلى، عن علي بن الحسين، عنه - ﷺ - : «لأرضيتك، أنت أبو ولدي، تقاتل على سنتي»... الخبر.

وفي الأنموذج قوله ﷺ: «أنت أخي، وأبو ولدي، تقاتل على سنتي»، أخرجه أحمد، وأبو يعلى من حديث علي بن الحسين، وأخرجه أحمد من حديث زيد بن حارثة، وأخرج الدار قطني بمعناه من حديث عامر بن واثلة، وعاصم بن ضمرة، وأخرج الترمذي من حديث أسامة، إلى قوله: فإذا حسن وحسين على وركيه، فقال: «هذان ابناي».

وأخرج أيضاً من حديث أنس بن مالك، قال: سئل رسول الله ﷺ، أي أهلك أحب إليك؟ قال: «الحسن والحسين»، وكان يقول لفاطمة: «ادعي لي ابني».

وأخرج أحمد، والدولابي، عن يعلى بن مرة، قال: جاء الحسن والحسين إلى رسول الله ﷺ، وساق... إلى قوله: «اللهم إني أحبهما فأحبهما؛ أيها الناس الولد مجبنة».. الخبر.

وأخرج ابن السري، وصاحب الصفوة؛ عن عبدالله قال: قال رسول الله ﷺ: «هذان ابناي»، يعني الحسن والحسين). انتهى ص ٣٠٦.

فإذا ثبت أن الحسينين أولاد رسول الله ﷺ فلا شك أن أولادهما وأولادهم ما تناسلوا أولاد رسول الله ﷺ بإجماع الأمة فإن الأمة مجمعة على أن أولاد الأولاد ما تناسلوا حكمهم حكم الأولاد في كونهم ذرية وأهلاً فلو بعث النبي ﷺ في عصرنا هذا لما جاز له نكاح أي امرأة من ذرية الحسن والحسين لأنهن بناته ومما يدل على ذلك من القرآن قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَذَكَرْنَا وَيْحَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الأنعام: ٨٤] فقد حكم الله بانتساب عيسى إلى نوح وإبراهيم صلوات الله عليهم أجمعين مع ما بينه وبينهم من آلاف السنين ولم يكن انتسابه إليهم إلا

من قبل الأم فكذلك ذرية الحسنين أبناء رسول الله ﷺ من قبل فاطمة عليها السلام إلى يوم القيامة ويشهد لذلك من السنة أيضاً قول النبي ﷺ: (إن الله جعل ذريتي في صلب علي بن أبي طالب) ذكر هذا الخبر الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة لم يسلّم وأخرجه الطبراني وابن عدي والكنجي وابن المغازلي عن جابر وأخرجه الخطيب والحاكم وأبو الخير القزويني والكنجي عن ابن عباس.

وأخرجه صاحب كنوز الطالب عن العباس وأخرجه أبو نعيم في الحلية ورواه الأكوخ بسنده عن جابر وغيرهم.

ويشهد لذلك أيضاً الأحاديث المتواترة في المهدي وأنه من ذرية النبي ﷺ وغير ذلك ولو لم يرد في ذلك إلا آية المباهلة لكفت فإذا عرفتم ذلك أيها الإخوة فاعلموا رحمكم الله أن ذرية نبيكم هم خيرة الله وهم أولى الناس بمقام جدهم رسول الله ﷺ في الإمامة والرئاسة من الخلق أجمعين وسوف أبين هذا الأمر إن شاء الله بالبيان الشافي والبرهان الكافي.

فصل

في ذكر الأدلة الدالة على تعيين أولي الأمر

فأقول مستعيناً بمن ملكه لا يزول اعلّموا أيها الإخوة أن الأدلة الدالة على.

هذا الأمر كثيرة واستقصاؤها يحتاج إلى مجلدات ولكن أذكر منها ما يكون تذكرة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

١ - فمنها قوله تعالى ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤] أروي بالإجازة العامة لنا عن عدة من مشايخنا وعلمائنا بأسانيدهم إلى الفقيه أبي الحسن علي بن محمد الشافعي الشهير بابن المغازلي بإسناده

إلى عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله ﷺ (أنا دعوة أبي إبراهيم قلنا يا رسول الله كيف صرت دعوة أبيك إبراهيم؟ قال: أوحى الله - عز وجل - إلى إبراهيم: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة: ١٢٤] فاستخف إبراهيم الفرح قال: يا رب! ومن ذريتي أئمة مثلي! فأوحى الله إليه أن يا إبراهيم إني لا أعطيك عهداً لا أفي لك به، قال: يا رب ما العهد الذي لا تنفي لي به؟ قال: لا أعطيك لظالم من ذريتك، قال إبراهيم عندها: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥] ﴿رَبِّ إِنَّمَنْ أَضَلَّنَا كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٣٦] قال النبي ﷺ فانتهدت الدعوة إلي وإلى علي لم يسجد أحد منا لصنم قط فاتخذني الله نبياً واتخذ علياً وصياً انتهى.

فذرية محمد ﷺ من ذرية إبراهيم صلوات الله عليه الذين استجاب الله فيهم دعاءه بل لا يكاد يعرف خصوصاً في زماننا هذا من هو من ذرية إبراهيم على وجه التحقيق والقطع سواهم لحفظ أنسابهم في الكتب والمشجرات ويشهد لذلك ما رواه البخاري ومسلم أن جبريل عليه السلام قال: (كل نسب وسبب ينقطع إلا نسبك وسببك) قال ذلك لرسول الله ﷺ.

أقول ومعنى ينقطع هو أنه يكون خافياً لا ظاهراً.

وهذا الحديث من الأحاديث المخبرة بالغيوب المستقبلية يخبرنا فيه جبريل عليه السلام بأن الأنساب والأسباب ستخفى في المستقبل بحيث لا يبقى لها بين الناس اشتهاً وانتشار إلا نسب النبي وسببه فإنه سيبقى ظاهراً مشهوراً.

ولقد نشره الله في جميع الأرض فلا يكاد يخلو قطر من الأقطار إلا وذرية النبي ﷺ فيه وذلك مصداق ما ورد في قوله تعالى ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: ١] قال في الدر المشثور.

(أخرج الزبير بن بكار وابن عساكر عن جعفر ابن محمد عن أبيه قال توفي القاسم بن رسول الله ﷺ بمكة فمر رسول الله ﷺ وهو آت من جنازته على العاص بن

وائل وابنه عمرو فقال حين رأى رسول الله إنني لأشنؤه فقال العاص بن وائل لا جرم لقد أصبح أبتر فأنزل الله ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ٣] انتهى.

وأخرج ابن سعد أيضاً أنها نزلت في العاص بن وائل السهمي.

وأقول للحاقد المبغض الذي ينكر ذرية رسول الله ﷺ أنت الأبتر لا رسول الله كما أجاب الله على من كان مثلك بقوله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ٣] وكذا من يزعم أن آل النبي هم أمته أقول له أيها المفتري قد أجاب الله عليك بقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ [الأحزاب: ٤٠] قال الزمخشري في الكشاف ص ٥٢٨ أثناء تفسيره للآية ما لفظه: (فإن قلت أما كان أباً للحسن والحسين؟ قلت بلى ولكنها لم يكونا رجلين حينئذ وهما أيضاً من رجاله لا من رجالهم... إلخ) انتهى.

٢- ومنها قوله تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ﴾ [الأحزاب: ٦] ذكر الإمام الناصر أبو الفتح الديلمي رحمه الله في تفسيره البرهان أن الله سبحانه وتعالى بين هذه الآية أن النبي ﷺ ومن يقوم مقامه من عترته أولى بجميع الناس من أنفسهم لا أمر لهم معهم وروى في بيان ذلك قصة وردت في سبب نزول الآية). وروى نحو ذلك فرات الكوفي في تفسيره عن ابن عباس وكذا عن الإمام زيد بن علي رضي الله عنه وقال أرحام رسول الله أولى بالملك والإمرة وذكر ذلك الحاكم الجشمي في كتابه تنبيه الغافلين واحتج له.

وقال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه في جوابه على معاوية ما لفظه (فإسلامنا قد سُمِعَ وَجَاهِلِيَّتَنَا لَا تُدْفَعُ وَكِتَابُ اللَّهِ يَجْمَعُ لَنَا مَا شَدَّ عَنَّا وَهُوَ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٦] وَقَوْلُهُ تَعَالَى ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٦٨] فَنَحْنُ مَرَّةً أَوْلَىٰ بِالْقَرَابَةِ وَتَارَةً أَوْلَىٰ بِالطَّاعَةِ) انتهى من نهج البلاغة.

أقول والأولوية في الآية مطلقة غير مقيدة فتصدق في كل شيء ولا قرابة ولا رحمة

لرسول الله ﷺ أقرب من ذريته الذين هم من لحمه ودمه فهم أولى الناس بمقامه ويشهد لذلك من السنة قول النبي ﷺ في سياق خطبته يوم الغدير وهو قوله ﷺ: «ألستم تشهدون أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن الجنة حق، والنار حق، وتؤمنون بالكتاب كله؟».

قالوا: بلى. قال: «أشهد أن قد صدقتم وصدقتموني؛ ألا وإني فرطكم وأنتم تبعي، توشكون أن تردوا عليّ الحوض، فأسألکم حين تلقوني عن ثَقَلِيّ، كيف خلفتموني فيها؟».

قال: فأعيل علينا ماندرى ما الثقلان، حتى قام رجل من المهاجرين، فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، ما الثقلان؟ قال: «الأكبر منهما كتاب الله، سبب طرف بيد الله وطرف بأيديكم».

فتمسكوا به ولا تولوا ولا تضلوا؛ والأصغر منهما عترتي، من استقبل قبلي، وأجاب دعوتي، فلا تقتلوههم ولا تقهروهم ولا تقصروا عنهم؛ فإني قد سألت لهما اللطيف الخبير؛ فأعطاني، ناصرهما لي ناصر، وخاذلهما لي خاذل، ووليّهما لي ولي، وعدوّهما لي عدوّ؛ ألا فإنها لم تهلك أمة قبلكم حتى تدين بأهوائها، وتظاهر على أهل نبوتها، وتقتل من قام بالقسط منها».

ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب فرفعها؛ وقال: «من كنت وليه فهذا وليه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه. قالها ثلاثاً».

فبين ﷺ أن عترته هم أولى الناس به وأن ناصرهم ناصر له وخاذلهم خاذل له وذلك هو معنى الإمامة وهذا الحديث مما تواتر بين الخلق فلا حاجة للإطالة بذكر أسانيده.

قال الإمام مجد الدين المؤيدي رحمه الله في كتابه لوامع الأنوار مالفظه (وقد ذكر محمد بن جرير صاحب التاريخ خبر يوم الغدير وطرقه من خمس وسبعين طريقاً، وأفرد له كتاباً سماه كتاب الولاية).

وذكر أبو العباس، أحمد بن محمد بن عقدة، خبر يوم الغدير، وأفرد له كتاباً، وطرقه من مائة وخمس طرق؛ ولا شك في بلوغه حد التواتر، ولم نعلم خلافاً ممن يُعتد به من الأئمة،.... إلى آخر كلامه عليه السلام.

وكلام أئمة آل محمد. صلوات الله عليهم. في هذا المقام الشريف وغيره معلوم، في جميع مؤلفاتهم في هذا الشأن.

وقد رواه السيد الإمام، الحسين بن الإمام عليه السلام في الهداية، عن ثمانية وثلاثين صحابياً بأسمائهم، غير الجملة؛ كلها من غير طرق أهل البيت عليهم السلام.

وقال السيد الحافظ محمد بن إبراهيم الوزير: إن خبر الغدير يروى بمائة وثلاث وخمسين طريقاً. انتهى.

وأما غيرهم، فقد أجمع على تواتره حفاظ جميع الطوائف، وقامت به وبأمثاله حجة الله على كل موالف ومخالف؛ وقد قال الذهبي: بهرتني طرقه، فقطعت بوقوعه. انتهى. وعده السيوطي في الأحاديث المتواترة.

وقال الغزالي في كتابه سر العالمين: لكن أسفرت الحجة وجهها، وأجمع الجماهير، على خطبة يوم الغدير؛ وذكر الحديث.

واعترف ابن حجر في صواعقه، أنه رواه ثلاثون صحابياً.

وذكره ابن حجر العسقلاني في تخريجه أحاديث الكشاف، عن سبعة وعشرين صحابياً.

ثم قال: وآخرون؛ كل منهم يذكر أسماء أفرادهم، غير الجملة مثل: اثني عشر، ثلاثة عشر، جمع من الصحابة، ثلاثين رجلاً.

وقال المقبلي فيه في أبحاثه: فإن كان هذا معلوماً، وإلا فما في الدنيا معلوم. انتهى).

انتهى ص ٦٩

ويشهد لذلك أيضاً ما ورد عن الصحابة رضي الله عنهم لما اختلف المهاجرون والأنصار منهم في سقيفة بني ساعدة في ولاية الأمر فاحتج المهاجرون على الأنصار بأنهم قريبي رسول الله ﷺ وبلغ ذلك الإمام علي عليه السلام فقال احتجوا بالشجرة وأضاعوا الثمرة.

وقال لأبي بكر :

فإن كنت بالقربى حججت خصيمهم

فغيرك أولى بالنبي وأقرب

وإن كنت بالشورى ملكت أمورهم

فكيف بهذا والمشiron غيب

٣- ومنها قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الطور: ٢١] قال الإمام الأعظم زيد بن علي عليه السلام في تفسيره الغريب معنى قوله تعالى: ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الطور: ٢١] معناه أعطينا الأبناء ما أعطينا الآباء في المماثلة من الكرامة) انتهى

أقول وبالله التوفيق : بأن الله سبحانه وتعالى قد حكم في هذه الآية بإلحاق الأبناء للآباء إذا كانوا مؤمنين فيجب لأولاد الأنبياء الصالحين ما لأبائهم في كل شيء إلا ما خصه الدليل لأن الإلحاق عام فيجب أن يكون لأولاد نبينا محمد ﷺ ما كان له من الإمامة والرئاسة على الناس إلا ما خصه الدليل وهو النبوة

وبيان ذلك أن الإلحاق كما ذكرنا عام يعم أحكام الدنيا وأحكام الآخرة وقد خص أحكام الآخرة بقوله تعالى في آخر الآية ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِيْنٌ﴾ [الطور: ٢١] فلم يبق إلا أحكام الدنيا وهي ما ذكرنا.

فلو لم تكن الإمامة مقصودة من الآية لما كان للآية معنى وذلك لا يجوز لأنه كلام حكيم لا يخلو عن الفائدة ويشهد لذلك من القرآن قوله تعالى ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا

رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ ﴿[الكهف: ٧٢] فقد راعى الله سبحانه مصلحة الأولاد لصالح أبيهم فما ظنكم أيها الإخوة بأولاد رسول الله الذين لا يعادل صلاح أحد من العالمين صلاح أبيهم المصطفى ﷺ أليس صلاحهم أقوى من صلاح غيرهم لعظم صلاح أبيهم. وأليس ذلك مما يوجب لهم الخلافة لمقام أبيهم بين الناس.

نعم ويشهد لذلك من السنة قول النبي ﷺ (من سره أن يحيا حياتي، ويموت ميتتي، ويدخل جنة عدن التي غرسها ربي بيده، فليتول علي بن أبي طالب، وأوصيائه فهم الأولياء والأئمة من بعدي، أعطاهم الله علمي وفهمي، وهم عترتي من لحمي ودمي، إلى الله أشكو من ظالمهم من أمتي، والله لتقتلنهم أمتي لا أنا لهم الله عز وجل شفاعتي).

قال في لوامع الأنوار (رواه المرشد بالله بإسناده إلى الحسين السبط ﷺ).
ورواه ابن شاهين، وابن مندة، والباوردي، ومطين، عن زياد بن مطرف؛ ورواه المرشد بالله ﷺ بإسناده إلى ابن عباس بلفظ: «وأوصيائه، فهم الأولياء، والأئمة من بعدي... إلخ».

ورواه أبو نعيم، والرافعي، والكنجي بلفظ: «فليتول علياً، وليتول وليه، وليقتد بالأئمة من بعدي، فإنهم عترتي، خلقوا من طيبي... إلخ».

ورواه الطبراني بلفظ: «وليقتد بأهل بيتي من بعدي، فإنهم عترتي... إلخ».
وقوله ﷺ: «من أحب أن يركب سفينة النجاة، ويتمسك بالعروة الوثقى، ويعتصم بحبل الله المتين، فليأتم علياً، وليأتم الهداة من ولده»، رواه الحاكم الحسكاني بإسناده عن علي ﷺ انتهى ص ٥٨٥.

فبين ﷺ بمثل هذه الأحاديث وغيرها إلحاق ذريته به في الإمامة ووجوب الطاعة

على الناس أجمعين. وعلل ذلك بالفاء التي تفيد التعليل في قوله: «فإنهم عتري» أي لأنهم عتري.

٤- ومنها أن سنة الله في الأرض هي اصطفاء ذراري الأنبياء وقد أخبرنا الله عن ذلك بمثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٣٣] وغيرها. فيجب أن يكون لذرية نبينا مثلهم إذ ليس هو أقل شأنًا منهم بل هو سيدهم على الإطلاق.

وقد جعل الله له ذلك وبينه بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنُ اللَّهِ﴾ [فاطر: ٣٢]

قال النبي ﷺ لعلي عليه السلام (هم ذريتك) أخرج ذلك ابن أبي الدنيا وأبو عبد الله الحبري والحاكم الحسكاني عن طريق أمير المؤمنين ذكر ذلك في الكاشف الأمين ص ٢٥١ وروى ذلك أيضا فرات الكوفي في تفسيره عن زين العابدين وعن زيد بن علي وعن الصادق عليه السلام.

فإن قيل بأن الاصطفاء المقصود في الآية إلى اختيار الناس فمن أراد أن يصطفي نفسه فعل ذلك بالأعمال الصالحة؟

فأقول والله الموفق: إن الاصطفاء في الآية منسوب إلى الله لا إلى الناس ولم يذكر الله تعالى أحداً في القرآن أنه قد اصطفى نفسه وإنما الله تعالى هو المصطفى في كل ذلك فالاصطفاء والاختيار هو إليه كما قدمنا سابقاً.

فإن قيل إن الاصطفاء هو للأمة بأكملها؟

فأقول والله الموفق بأن الاصطفاء هو الاختيار في اللغة كما قال تعالى في طالوت عليه السلام ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ٢٤٧] أي اختاره عليكم فمعنى الاصطفاء هو اختيار الصفوة من العباد بالملك على غيرهم فلو كان المراد هو الأمة فمن هو المصطفى ومن هو المصطفى عليه؟

فإن قيل بأنه اصطفى المتبعين لشرع النبي ﷺ على غيرهم من الكفار ؟
فأقول بأن غير المتبعين لشرعه من الكفار هم من أمته الذين يجب عليهم اتباعه فإذا
اتبعوه فمن هو المصطفى ومن هو المصطفى عليه.

فإن قيل بأنه اصطفى هذه الأمة على غيرها من الأمم ؟
فأقول بأنه لا منافاة بين اصطفاء الله لهذه الأمة على غيرها من الأمم وبين اصطفاء
بعض الأمة على الباقيين بل قد وردت الأدلة على أن الله صفوة من عباده في كل وقت
كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٣٣] ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: ٣٤] وكقوله تعالى في بني إسرائيل: ﴿وَلَقَدْ اخْتَرْنَاكُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ
عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [الدخان: ٣٢] وغير ذلك.

وقد اصطفى نبينا محمداً ﷺ وأهل بيته في هذه الأمة.
وقد أجمع أهل البيت عليهم السلام بأنهم المقصودون بالآية ذكر ذلك الإمام المنصور بالله
عبد الله بن حمزة عليه السلام في شرح الرسالة الناصحة ص ٣٤٠ وإجماعهم حجة كما سيأتي.
هذا ولم يدع أحد من هذه الأمة أنه هو المقصود بهذه الآية إلا أهل البيت عليهم السلام
وذلك دليل على صحة كونهم المقصودين بها وإلا كانت لا فائدة لها وذلك لا يجوز كما
قدمنا ويشهد لذلك ما ورد عن النبي ﷺ في أحاديث الاصطفاء منها ما ذكر ابن تيمية
في الجزء التاسع عشر من الفتاوى ص ٢٩ الطبعة الأولى وهو قوله ﷺ: «إن الله
اصطفى كنانة من بني إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى بني هاشم من
قريش، فأنا خيركم نفساً ونسباً» انتهى.

وأخرج هذا الخبر أحمد بن حنبل ومسلم في صحيحه وأبو يعلى والترمذي والبيهقي
والخطيب والسيوطي وأبو حاتم وأبو العباس والمرشد بالله وغيرهم.
وعنه عليه السلام عن جبريل عليه السلام أنه قال: «يا محمد قلبت مشارق الأرض ومغاربها فلم
أجد بني أب أفضل من بني هاشم».

أخرجه أحمد في المناقب والمحامي والذهبي والحاكم وابن عساكر والبيهقي في الدلائل ورواه الهيثمي في المجمع وعزاه إلى الطبراني في الأوسط.

وأخرج نحوه أبو العباس في المصابيح والمرشد بالله.

وغير ذلك من الأخبار التي وردت في الاصطفاء ولا شك أن أفضل بني هاشم بعد النبي والوصي صلوات الله عليهما وآلهما هم ذريتهما.

وإذا ثبت أن الله اصطفاهم ثبت أنهم هم أهل الإمامة والزعامة على الناس أجمعين لأن ذلك هو معنى الاصطفاء كما تقدم.

٥ - ومنها قوله تعالى ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣].

هذه الآية نزلت في النبي ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام.

وقد وردت الروايات المتواترة على نزولها فيهم.

قال الإمام مجد الدين المؤيدي رحمه الله في اللوامع مالفظة: (وقد اعترف بالحق في هذا أهل الإنصاف، كالحافظ ابن حجر، حيث قال، في الجزء السابع صفحة (١٣٨) من فتح الباري في فضائل خديجة. رضوان الله عليها. في ذكر البشارة لها ببيت في الجنة؛ ما لفظه: وفي ذكر البيت معنى آخر؛ لأن مرجع أهل بيت النبي ﷺ إليها، لما ثبت في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، قالت أم سلمة: لما نزلت دعا النبي ﷺ - فاطمة وعلياً والحسن والحسين، فجللهم بكساء، وقال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي»^(١) الحديث، أخرجه الترمذي وغيره.

(١) ظاهر الكلام مشعر بأن قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ «اللهم هؤلاء أهل بيتي» تخصيص بعد تعميم مما يؤكد قول من يقول أن الآية نزلت على سبيل الإخبار بأن الله تعالى أراد بتشريعه السابق الذكر لهذه الأمة تطهير أهل البيت الموجودين في بيت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بما في ذلك زوجاته، فبادر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ واستشرف هذا الفضل وطلب من الله تعالى أن يخص من أشار إليهم وهم أهل الكساء بهذا الفضل والشرف. تأمل موفقاً. تمت شمس الدين.

قلت: أخرجه مالك، وأحمد بن حنبل، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، والدارقطني، والحاكم، وأبو الشيخ، والطبراني، والبيهقي، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن خزيمة، وابن عساكر، وابن مردويه، وابن المنذر، وعامة المحدثين، وأهل البيت بأسانيدهم إلى أمير المؤمنين، والحسن السبط، وفاطمة الزهراء، وابن عباس، وعبدالله بن جعفر، وجابر بن عبدالله، وأنس بن مالك، وسعد بن أبي وقاص، وغيرهم. وقد أوضحت ذلك في صفحة ٢٣٤ من شرح الزلف [الطبعة الأولى].

قال ابن حجر: لأن الحسين من فاطمة، وفاطمة بنتها، وعلي نشأ في بيت خديجة، وهو صغير، ثم تزوج بنتها بعدها؛ فظهر رجوع أهل البيت النبوي إلى خديجة دون غيرها. انتهى المراد) انتهى ص ٨٨

فإن قيل إن في هذه الأخبار الحصر والقصر على من جللهم بكسائه وهم علي وفاطمة والحسن والحسين دون غيرهم؟
فأقول والله الموفق :

إن الحصر والقصر لإخراج من يتوهم دخوله من الزوجات وغيرهن فأما ذرية الحسين فاسم أهل البيت يشملهم جميعاً كما قدمنا فهم داخلون في ذلك إلى يوم القيامة كيف لا والنبي ﷺ يقول: (أهل بيتي فيكم كالنجوم كلما أفل نجم طلع نجم).

وقال ﷺ (أَهْلُ بَيْتِي أَمَانٌ لِأَهْلِ الْأَرْضِ وَالنُّجُومُ أَمَانٌ لِأَهْلِ السَّمَاءِ، فَإِذَا ذَهَبَ أَهْلُ بَيْتِي مِنَ الْأَرْضِ، أَتَى أَهْلَ الْأَرْضِ مَا يُوعَدُونَ، وَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ مِنَ السَّمَاءِ، أَتَى أَهْلَ السَّمَاءِ مَا يُوعَدُونَ) وغير ذلك من الأخبار المشهورة.

فإذا ثبت أنهم مطهرون من الأرجاس ثبت بذلك أنهم مفضلون على جميع الناس.
وإذا كانوا كذلك كانوا أولى الناس بخلافة المصطفى ﷺ وكما ذكر ابن تيمية في الفتاوى ص ٣٠ حيث قال (ولكن خص قريشاً بأن الإمامة فيهم وخص بني هاشم

بتحريم الزكاة عليهم، وذلك لأن جنس قريش لما كانوا أفضل الأجnas وجب أن تكون الإمامة في أفضل الأجnas مع الإمكان) انتهى

وقال في ص ٢٩ مالفظة (قال: وجمهور العلماء على أن جنس العرب خير من غيرهم وجنس بني هاشم خير من غيرهم وقد ثبت في الصحيح: « الناس معادن كمعادن الذهب والفضة خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا ») انتهى نقلاً من مجمع الفوائد ص ٢٨٤ ولا شك أن ذرية النبي ﷺ أفضل بني هاشم ويشهد لذلك من السنة قول النبي ﷺ (نحن شجرة النبوة ومعدن الرسالة ليس أحد من الخلائق يفضل أهل بيتي غيري).

رواه المنصور بالله عن الإمام المرشد بالله يرفعه إلى النبي ﷺ وقوله ﷺ (نحن أهل البيت لا يقاس بنا أحد).

أخرجه الملا والطبري عن أنس وأخرجه الديلمي وقال أمير المؤمنين علي ﷺ (لا يعادل بآل محمد من هذه الأمة أحد، ولا يساوى بهم من جرت نعمتهم عليه أبداً؛ هم أساس الدين، وعماد اليقين، إليهم يفيء الغالي، وبهم يلحق التالي، ولهم خصائص حق الولاية، وفيهم الوصية والوراثة).

٦ - ومنها قوله تعالى ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾ [الشورى: ٢٣]

أخرج نزولها فيهم البخاري ومسلم في صحيحيهما وأحمد بن حنبل والثعلبي وابن المغازلي الشافعي وابن حجر العسقلاني في التخريج والزخشي في الكشف والحاكم الحسكاني والكنجي والطبراني وكذا رواه الحاكم في مناقب الشافعي وابن أبي حاتم وغيرهم.

ويشهد لذلك من السنة كثير من الأحاديث منها قوله ﷺ: «أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه وأحبوني لحب الله وأحبوا أهل بيتي لحبي».

أخرجه الإمام المنصور بالله ومحمد بن سليمان الكوفي وابن المغازلي الشافعي وأبو داود والترمذي وحسنه والبيهقي في الشعب والحاكم في المستدرک وقال صحيح الإسناد والطبراني وغيرهم.

قال في لوامع الأنوار (وأخرج الديلمي في الفردوس عن علي عليه السلام عنه عليه السلام «حبي وحب أهل بيتي نافع في سبعة مواطن، أهوالهن عظيمة»، وأخرجه ولد الديلمي وأخرج أبو نصر عبد الكريم بن محمد الشيرازي في فوائده، والديلمي، وابن النجار، قوله عليه السلام: «أدّبوا أولادكم على ثلاث خصال: حب نبيكم، وحب أهل بيته، وقراءة القرآن».

وقال عليه السلام: «الزموا مودتنا. أهل البيت؛ فإن من لقي الله. عز وجل. وهو يودنا دخل الجنة بشفاعتنا؛ والذي نفس محمد بيده، لا ينفع عبداً عمله إلا بمعرفة حقنا»، أخرجه محمد بن سليمان الكوفي، عن الحسين السبط، عن جده عليه السلام؛ أفاده أيده الله في تخريج الشافي.

وأخرجه الطبراني في الأوسط عن الحسين السبط عليه السلام عن جده عليه السلام؛ ذكره في تفريج الكرب، والمطلع، وغيرهما.

وأخرج الخطيب، وابن عساكر، عن أبي الضحى، عن ابن عباس. رضي الله عنهما. وأخرجاه عن أبي الضحى، عن مسروق، عن عائشة، عنه عليه السلام: «والله، لا يبلغوا الخير والإيمان، حتى يحبكم الله ولقرايتي».

أفاده أيده الله في التخريج، نقلاً عن التفريج.

قلت: وأخرج الإمام المرشد بالله عليه السلام قوله عليه السلام: «والذي نفسي بيده لا يدخل قلب عبد الإيمان حتى يحبكم الله ولرسوله».

وأخرجه الإمام المنصور بالله ﷺ في الشافي، بلفظ: «لن يبلغوا الخير حتى يحبكم الله ولقرايتي».

وأخرجه الثعلبي بلفظ: «والذي بعثني بالحق نبياً، لا يؤمنون حتى يحبكم لي».

وأخرج أحمد، والحاكم، وأبو نعيم، والطبراني، والبيهقي، والترمذي، وابن ماجه، وابن أبي عاصم، وابن مندة، وعمر الملا الموصلي، والبغوي، والرويان في صحيحه، ومحمد بن نصر، وغيرهم، قوله ﷺ: «والذي نفس محمد بيده، لا يدخل قلب امرئ الإيمان حتى يحبكم الله ولرسوله».

وفي لفظ: «والذي نفسي بيده، لا يؤمن أحدهم حتى يحبكم لحبي».

وفي لفظ: «والله، لا يدخل قلب رجل الإيمان، حتى يحبهم الله ولقرايتي».

وفي لفظ: «لا يبلغ الخير. أو قال: الإيمان. عبد، حتى يحبكم الله ولقرايتي». انتهى ص ٦٨٨.

وأحاديث المحبة كثيرة لا نستطيع الإتيان بها في هذا المختصر.

والمودة التي أمر الله تعالى بها هي المحبة والاتباع كما قال تعالى حاكياً قول

رسوله ﷺ ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]

فإذا كان الله قد أوجب محبتهم واتباعهم وجب أن تكون الإمامة فيهم لا في غيرهم لأنها لو كانت في غيرهم لوجب اتباع ذلك الغير وهذا خلاف ما دلت عليه هذه الأدلة.

٧- ومنها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]

أخرج نزولها فيهم ابن عساكر في التاريخ والكنجي في كفاية الطالب والحموي في فرائد السمطين والحاكم الحسكاني في شواهد التنزل وفيات الكوفي في التفسير والحبري في تفسيره.

وأخرجه ابن مردويه عن ابن عباس وابن عساكر عن أبي جعفر الباقر روى ذلك عنهما السيوطي في الدر المنثور وذكره الشوكاني في فتح القدير.

والخوارزمي في المناقب والقندوزي في ينباع المودة وفسرها فيهم أيضاً الحاكم الجشمي في تنبيه الغافلين وفي بعض هذه الروايات بلفظ يعني محمداً وأهل بيته وفي بعضها بلفظ مع علي.

ولا شك أن علياً عليه السلام هو أول الصادقين بعد أخيه النبي ﷺ ويشهد لذلك من السنة قول النبي ﷺ: «مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح من ركبها نجي ومن تخلف عنها غرق وهوى» وهذا الحديث من الأحاديث المتواترة فلا تطيل الكلام بإخراجه.

فقد شبه النبي المصطفى عترته بسفينة نوح الناجية والمعلوم أنه لم ينج من الهلاك والغرق من قوم نوح إلا من ركب في السفينة فكذلك لا ينجو من هذه الأمة إلا من كان مع عتره المصطفى الذين أمر الله بالكون معهم في قوله تعالى: ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

وذلك مما يدل دلالة واضحة على أن الإمامة فيهم وأن الواجب على الأمة اتباعهم. ٨- ومنها قوله تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(١) [النحل: ٤٣] أخرج فوات الكوفي في تفسيره عن زيد بن علي عليه السلام أنهم آل محمد وكذلك عن أبي جعفر.

وقال زيد بن علي عليه السلام إن الله سما رسوله في كتابه ذكراً فقال: ﴿قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا * رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا﴾ [الطلاق: ١١٠] وأخرج ابن جرير الطبري في تفسيره عن علي عليه السلام نحن أهل الذكر.

(١) سياق الآية لا يدل على هذا التفسير وإن كان يمكن الاستدلال بالآية على وجوب سؤال أهل الذكر على سبيل الجملة. تمت شمس الدين.

وأخرجه محمد بن سليمان الكوفي في المناقب والحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل وذكر نزولها فيهم في الجامع الكافي والحاكم الجشمي في تنبيه الغافلين وقال في الكاشف الأمين ص ٢٥٢. وأخرج الثعلبي ومحمد بن سليمان وابن عقدة والحسكاني قال هم آل محمد) انتهى.

وذكر إجماع آل محمد على نزولها فيهم الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة عليه السلام في شرح الرسالة الناصحة ص ٥٤٨ ويشهد لذلك من السنة قول النبي ﷺ في آخر حديث الثقلين (أذكركم الله في أهل بيتي فلا تقدموهم فتهلكوا ولا تقصروا عنهم فتهلكوا ولا تعلموهم فهم أعلم منكم) روى هذا الخبر أحمد بن حنبل ومسلم والنسائي وعبد بن حميد والحاكم والدارمي وابن خزيمة وابن حبان انظر لوامع الأنوار ص ٦٧٣ وأخرج الإمام المرشد بالله عن رسول الله ﷺ: «لا تعلموا أهل بيتي فهم أعلم منكم ولا تشتموهم فضلو» وغير ذلك.

وقال فيهم أمير المؤمنين علي عليه السلام: (هُم عَيْشُ الْعِلْمِ وَمَوْتُ الْجَهْلِ يُخْرِكُم حِلْمُهُمْ عَنْ عِلْمِهِمْ) إلخ انتهى من نهج البلاغة.

وإذا كانوا أعلم الناس فالواجب على جميع الأمة اتباعهم لقوله تعالى

﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [يونس: ٣٥]

فهم أحق الناس بالاتباع بنص الكتاب وذلك دليل على أنهم الأئمة للعباد إلى يوم التناد وإن رفض ذلك أهل العناد.

٩- ومنها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩] وردت الروايات في تفسير هذه الآية (بأنها في آل رسول الله ﷺ) روى ذلك الحاكم عن سليم بن قيس الهلالي عن علي عليه السلام ورواه الحاكم أيضا عن جعفر الصادق ورواه الناصر الأطروش عن جعفر الصادق بلفظ هم علي والحسن والحسين وذريتهم ذكره أبو القاسم البستي انتهى من اللوامع ص ٥٨٥ وذكر ذلك الإمام القاسم بن إبراهيم ص ٦١٢ من مجموعته، والحاكم الحسكاني في شواهد

التنزيل ص ١٨٩ و فرات الكوفي في تفسيره ص ١٠٨ والمفيد في أماليه ص ٣٤٩ والطوسي في أماليه ص ١٢٢ والكليني في الكافي ص ٢٨٦ وغيرهم وعلى ذلك إجماع أهل البيت.

ويشهد لذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣]

فوصف أولي الأمر بالاستنباط والإستنباط هو الإستخراج لحكمه من الكتاب ولا يقدر على الإس تنباط إلا العلماء المجتهدون وبذلك يظهر أنه لا ولاية للجهال وإنما الولاية للعلماء المجتهدين وليس هناك في هذه الأمة أعلم من آل الرسول ﷺ الذين أورشهم الله الكتاب وأمر بسؤالهم رب الأرباب وأمرنا بالتعلم منهم رسوله الأبواب كما تقدم بذلك الخطاب فيجب أن يكونوا هم أولي الأمر بلا شك ولا ارتياب ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الرعد: ١٩]

ويشهد لذلك من السنة قول النبي ﷺ: «أوصيكم بأهل بيتي خيراً فقدموهم ولا تقدموا عليهم وأمروهم ولا تأمروا عليهم». رواه محمد بن سليمان الكوفي. وفي حديث الثقلين المتواتر: «قدموهم ولا تقدموا عليهم».

وقوله ﷺ (قدموهم ولا تقدموهم وتعلموا منهم ولا تعلموهم ولا تخالفوهم فتضلوا ولا تشتموهم فتكفروا) رواه الإمام الحجة المنصور بالله عبد الله بن حمزة ع يسناده إلى النبي ﷺ وكلما ذكرنا يفيد بمنطوقه ومفهومه وفحواه وإشارته ولحنه بإمامة آل النبي على كل عربي وعجمي.

١٠ - ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: ٧] قال الرسول ﷺ «أنا المنذر وعلي الهادي»^(١) أخرجه ابن جرير والثعلبي والنقاش

(١) ينظر في تأويل الآية مرة أخرى، فالآية بوضوح تشير إلى أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلَهُ وَسَلَّمَ هو المنذر وهو الهادي في نفس الوقت، كما أن كل واحد من الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين قبله هو المنذر في قومه وهو الهادي ولا حاجة إلى تأويل الآية بغير ما دلت عليه ولو كانت هناك رواية تفسير منسوبة إلى أئمة أهل البيت عليهم السلام =

وأخرجه علي بن الحسين في المحيط والإمام الناصر للحق ورواه الحاكم الحسكاني وأخرجه الديلمي والكنجي.

وأخرجه في المستدرک عن علي عليه السلام قال: الرسول ﷺ المنذر وأنا الهادي وذكره في كنز العمال وأخرجه بن أبي حاتم وذكره الهيثمي في مجمع.

وذكره السيوطي في الدر المنثور وأخرجه بن عساكر بلفظ والهادي رجل من بني هاشم.

أقول ولا شك أن الهادي بعد رسول الله ﷺ هو علي عليه السلام كما تواترت الروايات بذلك ولا حاجة إلى نقلها هنا والشاهد هنا هو في لفظ بعض الروايات التي تقول والهادي رجل من بني هاشم ولا شك أن علياً هو أولهم بعد النبي ﷺ وأفضلهم ثم الأئمة الهداة من ولده من ذرية الحسين إلى آخر أيام الدنيا فإن لكل قوم من هذه الأمة هادياً منهم ويشهد لذلك من السنة قول النبي ﷺ: «إن الله يمن على أهل دينه في رأس كل مائة سنة برجل من أهل بيتي يبين لهم دينهم» روى ذلك أحمد بن حنبل ذكر ذلك عنه الأسيوطي في كتابه مرقاة الصعود إلى سنن أبي داود في شرح أول حديث من كتاب الملاحم حكى ذلك في لوامع الأنوار ص ٦٢٣ وقوله ﷺ: «في كل خلف من أمتي عدول من أهل بيتي، ينفون عن هذا الدين تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين؛ ألا وإن أئمتكم وفدكم إلى الله، فانظروا من تفدون»... إلخ.

قال الإمام شرف الدين: روى هذا الحديث أحمد بن حنبل، والحاكم في المستدرک، وغيرهما ممن ذكره في مجمع الزوائد، ورواه الملا في سيرته بلفظه). انظر لوامع الأنوار ص ٦٦٢.

تقتضي خلاف ما دلت عليه، والله أعلم.

ثم إن الآية تدل على أن لكل قوم هادٍ على جهة الدوام بحيث يكون حجة عليهم سواء كان الهادي هو النبي أو غيره، من أئمة الهدى ومصابيح الدجى بدءاً بالإمام علي عليه السلام وانتهاءً بالمهدي المنتظر لما جاء في الروايات، فلا بد من التأمل جيداً حتى لا تقيد نصوص القرآن بروايات الله أعلم بصحتها، ولا شك أن الإمام علياً عليه السلام الهادي وكذلك الأئمة من بعده عليهم السلام. تمت شمس الدين.

وكذلك قوله : «إن عند كل بدعة تكون من بعدي يُكاد بها الإسلام، ولياً من أهل بيتي موكلاً، يذب عنه، يعلن الحق وينوره، ويرد كيد الكائدين؛ فاعتبروا يا أولي الأبصار، وتوكلوا على الله»؛ رواه الإمام الناطق بالحق أبو طالب عليه السلام

قال في اللوامع ص ٦٦٢ ما لفظه (قال الزيلي الشافعي . رحمه الله .: وفي أحاديث التمسك بأهل البيت عليهم السلام إشارة إلى عدم انقطاع متأهل منهم بالتمسك به إلى يوم القيامة، كما أن الكتاب العزيز كذلك؛ ولذا كانوا أماناً لأهل الأرض كما تقدم، وشهد لذلك الخبر الوارد: «في كل خلف من أمتي عدول من أهل بيتي ... إلخ».

١١ - ومنها قوله تعالى ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ ^(١) [يوسف: ١٠٨] روى فرات الكوفي في تفسيره عن زيد بن علي عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله قال في قوله تعالى ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨] من أهل بيتي لا يزال الرجل بعد الرجل يدعو إلى ما أدعو إليه) وروى ذلك عنه الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل، ويشهد لذلك من السنة قول النبي صلى الله عليه وآله (من سمع واعيتنا أهل البيت ولم يجيبها كبه الله على منخريه في نار جهنم).

رواه الإمام أحمد بن سليمان عليه السلام في أصول الأحكام والحاكم الجشمي في تنبيه الغافلين ورواه المؤيد بالله في شرح التجريد ورواه الطحاوي وذكره الإمام الهادي عليه السلام في المجموع والإمام المنصور بالله في شرح الرسالة الناصحة وهو في الشفاء وغير ذلك ويشهد للآية والخبر تاريخهم عليهم السلام فإنهم قد هجروا أوطانهم وفارقوا أهاليهم وأموالهم في سبيل الدعوة إلى الله ونشر دينه وتجديد شرعه في آفاق واسعة من الأرض أولهم النبي صلى الله عليه وآله فقد ترك أحب البلاد إليه وهي مكة وهاجر إلى المدينة المنورة التي

(١) لا يخفى على الناظر عموم الكلام بالإثبات بلفظ العموم (من) وعند الاستدلال يؤتى بما يدل على المطلوب بخصوصه حتى يسلم من الاعتراض، والدعوة إلى الله كما قام بها الأنبياء والأولياء السابقون بإمكان أولياء الله اللاحقين أن يقوموا بها لاسيما أنهم لم يأتوا بجديد غير ما جاء به النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم سواء كانوا من أهل البيت عليهم السلام أم من شيعتهم وأتباعهم. تمت شمس الدين.

كانت مقراً لنشر دينه بين العباد.

ثم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام هاجر إلى العراق وجاهد على تطبيق دين الله بين العباد كما قاتل النبي صلى الله عليه وآله على تنزيله قال له صلى الله عليه وآله (قاتلت على تنزيل القرآن وستقاتل على تأويله).

ثم قام بعده ولده الإمام الحسن بن علي عليه السلام بالدعوة إلى الله إلى أن توفي مسموماً شهيداً بالمدينة المنورة.

ثم الإمام الحسين عليه السلام خرج من المدينة إلى العراق داعياً إلى الله فقتل بأرض كرب وبلاء.

ثم قام الإمام الحسن بن الحسن عليه السلام داعياً ومجاهداً للظالمين حتى توفي بالمدينة المنورة مسموماً شهيداً.

وقام لتجديد دين الله وإحياء شرعه الإمام زيد بن علي بن الحسين بن علي عليه السلام فقتل وصلب وأحرق جسده الشريف بالعراق وقصته مشهورة.

وقام بعده ولده الإمام يحيى بن زيد عليه السلام داعياً إلى الله مجاهداً في سبيله حتى قتل في الجوزجان شمال شرق إيران.

ودعا إلى الله من بعده الإمام محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن عليه السلام المعروف بالنفس الزكية وقتل بالمدينة المنورة وقتل ولده الإمام عبد الله داعياً إلى الله بكابل عاصمة أفغانستان اليوم.

ودعا بعده أخوه الإمام إبراهيم بن عبد الله عليه السلام وقتل بباهري في العراق ومات ولده الإمام الحسن بن إبراهيم عليه السلام داعياً إلى الله بالعراق.

وقتل الإمام الحسين بن علي الفخي بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام بفخ جوار مكة المكرمة شهيداً محرماً.

ومات الإمام موسى بن عبد الله عليه السلام متوارياً من الظالمين لا يعرف مكانه.

وخرج أخوه الإمام يحيى بن عبد الله عليه السلام داعياً إلى الله إلى بلاد اليمن ومكث بها ثمانية أشهر يعلم الناس معالم الدين ثم خرج إلى بلاد الديلم ثم توفي ببغداد في سجن أبي الدوانيق واختلف في كيفية قتله.

ومات الإمام عيسى بن زيد بن علي عليه السلام ببلد الهند متوارياً من الظالمين داعياً إلى دين رب العالمين.

وخرج الإمام إدريس بن عبد الله عليه السلام داعياً إلى الله إلى بلاد المغرب فمات مسموماً ببلاد المغرب وقبره مشهور بها.

ودعا إلى الله بعده ولده الإمام إدريس بن إدريس عليه السلام واستجاب لدعوته أهل تونس وطرابلس وسائر بلاد المغرب وأقام بينهم العدل إلى أن توفي بمدينة فأس بالمغرب.

وخرج الإمام محمد بن جعفر بن يحيى بن عبد الله عليه السلام داعياً إلى الله إلى بلاد الجزائر فأقام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بينهم إلى أن توفي بتاهرت السفلى شمال الجزائر.

ودعا إلى الله الإمام علي بن العباس بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام وتوفي بالسبيل في المدينة المنورة.

ودعا الإمام الحسين بن زيد بن علي عليه السلام وتوفي بالمدينة.

ودعا الإمام أحمد بن عيسى بن زيد عليه السلام وتوفي بالبصرة.

ودعا الإمام محمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي عليه السلام بالكوفة وجاهد الظالمين جهاداً عظيماً.

ودعا بعده الإمام محمد بن محمد بن زيد بن علي عليه السلام فسار على منواله في مجاهدة الظالمين وقتل في أيامهما من جنود الظالمين مأتا ألف وخمسون ألفاً.

ودعا الإمام القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي عليه السلام ودخل إلى اليمن وإلى مصر وإلى السودان ثم رجع إلى جوار المدينة المنورة إلى الرس وبه توفي.

ودعا إلى الله الإمام علي بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق عليه السلام وتوفي مسموماً بمدينة طوس المعروفة اليوم بمدينة مشهد بإيران.

ودعا إلى الله الإمام محمد بن جعفر الصادق عليه السلام وتوفي بجرجان ودعا إلى الله الإمام محمد بن سليمان بن الحسن بن الحسن بن علي عليه السلام ومات بالمدينة المنورة.

ودعا إلى الله الإمام القاسم بن عبد الله بن الحسين بن زين العابدين عليه السلام وتوفي بالعراق.

ودعا إلى الله الإمام عبد الله بن الإمام موسى بن عبد الله عليه السلام ومات متوارياً لا يعرف مكانه كوالده.

ودعا إلى الله الإمام محمد بن صالح بن عبد الله عليه السلام ومات بالعراق

ودعا إلى الله الإمام محمد بن القاسم بن علي بن عمر بن زين العابدين عليه السلام بخراسان واختلف في وفاته فقليل بواسط في العراق وقيل غير ذلك

ودعا الإمام يحيى بن عمر بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي عليه السلام وقتل بالكوفة

ودعا الإمام إسماعيل بن يوسف بن إبراهيم بن الإمام موسى بن عبد الله عليه السلام وتوفي بمكة ودعا الإمام محمد بن جعفر بن الحسن بن جعفر بن الحسن بن الحسن السبط عليه السلام وتوفي بالسجن بسر من رأى بالعراق.

ودعا الإمام علي بن زيد بن الحسين بن عيسى بن زيد بن علي عليه السلام وتوفي بالعراق شهيداً.

ودعا إلى الله الإمام الحسين بن محمد بن حمزة بن عبيدالله بن الحسين بن زين العابدين عليه السلام وتوفي بالكوفة.

ودعا إلى الله الإمام أحمد بن محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن السبط عليه السلام ببلاد مصر فقتل بها.

ودعا إلى الله الإمام الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن السبط عليه السلام في بلاد طبرستان وقام من بعده أخوه الإمام محمد بن زيد عليه السلام فقام بهما العدل بين العباد والتوحيد لرب الأرباب.

ودعا إلى الله الإمام الناصر الأطروش عليه السلام ببلاد الجليل والديلم فأسلم على يديه مليون نسمة وعلمهم معالم الإسلام وخرج إلى الله داعياً الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم عليه السلام إلى بلاد اليمن بعد أن طلبوه للخروج إليهم فأحيا الله به الدين في اليمن الميمون والدر المكنون.

فهؤلاء الأئمة الدعاة من أهل البيت إلى رأس المئة الثالثة للهجرة وهم إلى وقتنا هذا أكثر من مئة وعشرين إماماً دون من قام بالإحتساب منهم فهم الذين امتثلوا لقوله تعالى ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤] الذين صدق عليهم قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: ١٤] وهم المقصودون بقوله تعالى ﴿وَمَنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨١].

وأقول انظر أيها المطلع إلى تشتت مصارع هؤلاء الأئمة وتباين مواضع قبورهم وذلك يدل على صحة مارواه الإمام أبو طالب عليه السلام بإسناده إلى أمير المؤمنين عليه السلام

قال: (زارنا رسول الله ﷺ فعملنا له خزيرة...) ^(١) وساق الحديث حتى قال - حاكياً عن النبي ﷺ: (ثم استقبل القبلة، فدعا الله جل ذكره ما شاء، ثم أكب إلى الأرض بدموع غزيرة مثل المطر، ثم أكب إلى الأرض ففعل ذلك ثلاث مرات، فبهنا أن نسأله، فوثب الحسين فأكب على رسول الله ﷺ وبكى، فضمه إليه، وقال له: بأبي أنت وأمي وما يبكيك؟ فقال: يا أبت رأيتك تصنع ما لم تصنع مثله، فقال: يا بني إني سررت بكم اليوم سروراً لم أسر بكم قبله مثله، وإن حبسني جبريل أتاني فأخبرني أنكم قتلي، وأن مصارعكم شتى، فأحزنني ذلك، فدعوت الله لكم، فقال الحسين عليه السلام: يا رسول الله، من يزورنا على تشنتنا وتباعد قبورنا؟! فقال رسول الله ﷺ: «طائفة من أمتي، يريدون بذلك بري وصلتي، إذا كان يوم القيامة زرتهم بالموقف، فأخذت بأعضادهم، فأنجيهم من أهوالها وشدائدها».

١٢ - ومنها قوله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [الحج: ٧٨] هذه الآية ذكر نزولها في أهل البيت كثير من أئمة الزيدية وعلمائها وذكر إجماع العترة على ذلك الشرقي في تفسير المصابيح ^(٢).

ويدل على ذلك قول أمير المؤمنين علي عليه السلام: (إن الله تعالى عنانا بقوله: ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣]، فرسول الله ﷺ هو الشاهد علينا، ونحن شهداء الله على

(١) الخزيرة: طعام مصنوع من لحم ودقيق.

(٢) أيضاً لا يخفى على الناظر توجه الخطاب إلى سائر أفراد الأمة الإسلامية بالجهاد في سبيل الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر المخوف إلا من خصه الدليل حتى إذا قاموا بواجبهم كانوا حجة على الناس الكافرين والظالمين والمنافقين وشهداء عليهم، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ وقوله: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ وكان القياس عند الاستدلال الإثبات بما يدل على المطلوب بخصوصه ولا شك أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وآله الطاهرين حجج على البرايا وشهداء عليهم، ويكفي دليلاً على ذلك حديث الثقلين. وغاية ما يدل عليه كلام الأئمة عليهم السلام أنهم امتثلوا أمر الله تعالى بالجهاد في سبيله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فكانوا حجج الله على من جاؤوا إليه وشهداء عليه. تمت شمس الدين.

خلقه، وحججه في أرضه، ونحن الذين قال الله - عز اسمه - : ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣]. أخرجه الحاكم الحسكاني، عن سليم بن قيس، عن علي عليه السلام.

ويدل على ذلك أيضاً ما رواه في تفسير فرات الكوفي عن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣] قال في الآية: (نحن الأمة الوسط ونحن شهداء الله على خلقه وحججه في أرضه).

وكذلك ما رواه الحاكم الحسكاني عند تفسير الآية عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال (منا شهيد على كل زمان علي بن أبي طالب في زمان والحسن في زمان والحسين في زمان وكل من يدعو منا إلى أمر الله).

يؤكد ذلك ما روي عن الإمام الحسن بن علي عليه السلام في خطبته التي قالها بعد وفاة أبيه قال عليه السلام: (الحمد لله وهو للحمد أهل، الذي منّ علينا بدين الإسلام، وجعل فينا النبوة والكتاب، واصطفانا على خلقه، وجعلنا شهداء على خلقه، وجعل الرسول علينا شهيداً) ثم ساق في ذلك إلى أن قال: من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن محمد عليه السلام.

ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي﴾... الآية [يوسف: ٣٨]، وأنا ابن البشير، وأنا ابن النذير، وأنا ابن الداعي إلى الله وابن السراج المنير، أنا ابن الذي أرسل رحمة للعالمين، وأنا من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، وأنا من أهل البيت الذين كان جبريل ينزل عليهم، وعنهم كان يعرج، وأنا من أهل البيت الذين افترض الله مودتهم وولايتهم، فقال فيما أنزل على محمد عليه السلام: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً﴾... إلخ [الشورى: ٢٣]، واقتراف الحسنة مودتنا). انتهى من الأربعين للصفار.

وروى هذه الخطبة أئمة أهل البيت ومن غيرهم الكنجي وابن جعفر في المنح

وحسن إسنادها وأخرجها أبو علي الصفار وأبو الفرج الأصفهاني والنسائي في الخصائص والدولابي وابن أبي الحديد وأبو جعفر الطبري في تاريخه وغيرهم.

ويشهد لذلك من السنة الحديث المتواتر بين الأمة وهو قوله عليه السلام (لا تزال طائفة من أمتي على الحق قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون) فهم الظاهرون بجهادهم للظالمين كما سيأتي ذكره إن شاء الله تعالى

١٣ - ومنها قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّكَ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ [طه: ٨٢] قال ابن حجر الهيتمي في الصواعق عند تفسيره الآية مالفظة: (قال ثابت البناني اهتدى إلى ولاية أهل بيته عليه السلام)^(١) ذكر ذلك عنه في لوامع الأنوار ص ٧١٣ وقال فيها (قلت: وروى الحاكم الحسكاني، بسنده إلى الحسين بن علي عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّكَ تَابَ...﴾ إلى قوله: ﴿ثُمَّ اهْتَدَى﴾ [طه: ٨٢] فقال لعلي عليه السلام: (لولايتك).

وعن أبي ذر: إلى حب آل محمد عليه السلام.

وعن الباقر قال: إلى ولايتنا أهل البيت.

رواه عنه من طريقين؛ أفاده. أيده الله. في التخريج؛ وقد سبق.

قال ابن حجر الهيتمي: وجاء ذلك عن أبي جعفر الصادق. انتهى ص ٣١٣

ويشهد لذلك قول النبي عليه السلام: «لكل شيء أساس وأساس الإسلام حبننا أهل البيت» رواه في أمالي أبي طالب وفي تاريخ دمشق وقوله عليه السلام: «أتاني جبريل آنفاً، فقال: تختموا بالعقيق، فإنه أول حجر شهد الله بالوحدانية، ولي بالنبوة، ولعلي بالوصية، ولولده بالإمامة، ولشيعة بالجنة»، رواه ابن المغازلي بإسناده عن علي عليه السلام؛ وأخرجه ابن السمان، عن علي أيضاً. انتهى من شمس الأخبار؛ ورواه الخوارزمي.

(١) أيضاً هنا الدليل لا يدل على المطلوب بخصوصه فالمراد (ثم اهتدى) أي استمر على إيمانه وهداه وعمله الصالح، ومن جملة ذلك ولاية أهل البيت عليهم السلام تأمل. تمت شمس الدين.

انتهى من تفريج الكروب (ويشهد لذلك أيضاً ما رواه ابن المغازلي بإسناده عن السدي في قوله عز وجل ﴿وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾ [الشورى: ٢٣] قال المودة في آل الرسول وروى ذلك المرشد بالله في الأمالي الخميسية والإثنية وفي المناقب للكوفي وذخائر العقبي ومسند أحمد والمستدرک وشواهد التنزيل وتفسير القرطبي ومجمع البيان وغير ذلك.

١٤ - ومنها قوله تعالى ﴿وَقَفَّوهُمْ إِيَّاهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ [الصافات: ٢٤] قال في جواهر العقدين مالفظه قال الحافظ جمال الدين الزرندي عقيب حديث «من كنت مولاه فعلي مولاه» قال الإمام الواحدي: هذه الولاية التي أثبتها النبي ﷺ مسؤول عنها يوم القيامة وروى في قوله تعالى: ﴿وَقَفَّوهُمْ إِيَّاهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ [الصافات: ٢٤] أي عن ولاية علي وأهل البيت) وروى ابن شيرونة الديلمي بإسناده إلى أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَقَفَّوهُمْ إِيَّاهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ [الصافات: ٢٤] قال عن ولاية علي بن أبي طالب^(١).

وأخرج ذلك الإمام المنصور بالله والحاكم الحسكاني ومحمد بن سليمان الكوفي والحاكم الجشمي في تنبيه الغافلين ورواه ابن البطريق في العمدة من كتاب الفردوس. ورواه الكنجي وأبو العلا الهمداني والخوارزمي عن أبي إسحاق. ورواه ابن جرير مرفوعاً إلى ابن عباس.

أقول وفي أكثر الروايات أنهم يسألون عن ولاية علي بن أبي طالب ﷺ ولا شك أن ولايته هي من أعظم الأشياء التي ركز عليها النبي ﷺ من ابتداء الإسلام إلى وقت وفاته وولاية أهل بيته هي فرع عن ولايته ولا بد من السؤال عن ولايتهم جميعاً كما وردت به الأخبار.

ويشهد لذلك من السنة قول النبي ﷺ (ما بال أقوام من أمتي إذا ذكرَ عندهم آل

(١) والكلام في الاستدلال بهذه الآية كالكلام في الاستدلال بما سبق. تمت شمس الدين.

إبراهيم استبشرت قلوبهم وتهللت وجوههم، وإذا ذُكِرَ عندهم أهل بيتي اشمأزت قلوبهم، وكلحت وجوههم، والذي بعثني بالحق نبياً لو أن الرجل منهم لقي الله بعمل سبعين نبياً ثم لم يلقه بولاية أولي الأمر من أهل بيتي ما قَبِلَ الله منه صرفاً ولا عدلاً» رواه الإمام أحمد بن سليمان رحمته الله في حقائق المعرفة.

قال في لوامع الأنوار ص ٥٤٥ مالفظه (وأخرج ابن المغازلي، ورفعته إلى أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان يوم القيامة ونصب الصراط على شفير جهنم، لم يجز عليه إلا من كان معه كتاب ولاية علي بن أبي طالب رضي الله عنه».

وقال في موضع آخر: وعن أبي بردة . رضي الله عنه .، قال: قال رسول الله ﷺ، ونحن جلوس ذات يوم: «والذي نفسي بيده، لا تزول قدم عن قدم يوم القيامة، حتى يسأل الله الرجل عن أربع: عن عمره فيم أفناه؟ وعن جسده فيم أبلاه؟ وعن ماله فيم كسبه وفيم أنفقه؟ وعن حبا أهل البيت».

قال عمر: ما آية حبكم؟

فوضع يده على رأس علي وهو جالس إلى جانبه، وقال: «آية حبي حبّ هذا من بعدي».

قال: وعن ابن عباس . رضي الله عنهما . مرفوعاً: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة، حتى يُسأل عن أربع»... الخبر بلفظه إلا أن فيه: «وعن ماله فيم أنفقه ومن أين اكتسبه؟» ، انتهى وغير ذلك

١٥ - ومنها أحاديث السنة النبوية وهي كثيرة لا طاقة لنا بحصرها وقد ذكر الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة رحمته الله ماورد في كتب السنة دون مذكر أئمة العترة والشيعة فقال: (وفصول ما تناولته هذه الكتب مما يختص بالعترة الطاهرة خمسة وأربعون فصلاً، تشتمل على تسعمائة وعشرين حديثاً، منها من مسند أحمد بن حنبل مائة وأربعة وتسعون حديثاً، ومن صحيح البخاري تسعة وسبعون حديثاً، ومن

صحيح مسلم خمسة وتسعون حديثاً، ثم ساق ذلك حتى تم (عليه السلام) انتهى نقلاً من التحف ص ٤٢٨.

هذا ما ذكره (عليه السلام) في ذلك الزمان مع عدم وسائل البحث الحديثة التي ظهرت في زماننا هذا.

وسوف أجمعها إن شاء الله في كتاب مستقل يعني ماورد في العترة جميعاً فأما ما يخص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) فهي كثيرة وقد ألفت فيها مؤلفات منفردة فهناك مئات المؤلفات من المطبوعة دون المخطوطة من علماء المذاهب الإسلامية في ذلك الشأن

نعم والأحاديث الواردة في أهل البيت قاضية بوجوب اتباعهم وطاعتهم وأنهم الخلفاء والأئمة من بعد جدهم المصطفى (عليه السلام) ونذكر منها في كتابنا هذا حديثاً واحداً وهو حديث الثقلين المشهور والمتواتر بين الأمة الإسلامية جميعاً وهو قوله (عليه السلام) (إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبداً، كتاب الله، وعترتي أهل بيتي، إن اللطيف الخبير نبأني أنها لن يفترقا حتى يردا علي الحوض).

وهذا الحديث مفيد للإمامة لأن المعنى أنه (عليه السلام) ترك في أمته من يقوم مقامه فيما تحتاج إليه الأمة وأن الله سبحانه قد أخبره أن العترة لا تفارق الكتاب إلى يوم القيامة ففيه دلالة على عصمتهم وإمامتهم لأنه لا معنى لتركهم في أمته إلا لكونهم قائمين مقامه في معنى الإمامة وكونهم شهداء على الناس وعلى أنه لا تخلو الأرض من مجتهد منهم صالح للإمامة لئلا تبطل حجج الله سبحانه.

فكما أن الكتاب حجة بلا خلاف فكذلك هم إذ هم أحد الثقلين، وأما من يعارض هذا الحديث المتواتر بحديث آحادي مذكور فيه كتاب الله وسنتي.

فنقول له لا معارضة بين الحديثين فالنبي (عليه السلام) يوصينا بإتباع الكتاب والسنة والعترة

وقد روى الإمام زيد بن علي عليه السلام عن النبي ﷺ أنه قال: «يا أيها الناس إني خلفت فيكم كتاب الله وسنتي وعترتي أهل بيتي فالمضيع لكتاب الله كالمضيع لسنتي، والمضيع لسنتي كالمضيع لعترتي، أما إن ذلك لن يفترقا حتى ألقاه على الحوض».

١٦ - ومنها إجماع الأمة الإسلامية على صحة الإمامة في ذرية الحسين واختلافهم فيمن عداهم والحق ما أجمعوا عليه لا ما اختلفوا فيه.

وبيان ذلك أن علماء الأمة قد اشترطوا أن يكون الإمام قرشياً وقالوا بأن المتولي من غير قریش لا عبرة به وإنما هو متغلب كما ذكر ذلك ابن حجر العسقلاني وقد أورد كلام علماء السنة حول الأحاديث التي تدل على اشتراط أن يكون الإمام قرشياً كقوله عليه السلام (الأئمة من قریش) في كتابه فتح الباري شرح صحيح البخاري ولا حاجة إلى الإكثار بذكر ما قالوه قال ابن حجر في آخر ذلك المبحث ما لفظه: (وإلى هذا ذهب جمهور أهل العلم أن شرط الإمام أن يكون قرشياً وقيد ذلك طوائف ببعض قریش، فقالت طائفة: لا يجوز إلا من ولد علي. وهذا قول الشيعة إلى قوله: وقالت الخوارج، وطائفة من المعتزلة: يجوز أن يكون الإمام غير قرشي. ثم قال: وقال أبو بكر بن الطيب: لم يعرج المسلمون على هذا القول بعد ثبوت: «الأئمة من قریش» وعمل المسلمون به قرناً بعد قرن، وانعقد الإجماع على اعتبار ذلك قبل أن يقع الاختلاف. إلى قوله: وقال عياض: اشتراط كون الإمام قرشياً مذهب العلماء كافة وقد عدوها في مسائل الإجماع، ولم ينقل عن أحد من السلف فيها خلاف، وكذلك من بعدهم في جميع الأمصار قال: ولا اعتبار بقول الخوارج ومن وافقهم من المعتزلة لما فيه من مخالفة المسلمين) انتهى من الجزء ١٣ ص ١١٤ في إحدى الطبعات وفي طبعة أخرى في الجزء ١٦ ص ٢٣٠ انتهى المراد نقلاً من مجمع الفوائد ص ٢٨٣.

فقد رأيت أيها المطلع أن القول بمنصب الإمامة هو قول علماء الأمة إلا من لا يعتد به فقد أجمعوا على صحة الإمامة في ذرية الحسين واختلفوا في صحتها في بقية قریش

فقال الزيدية وسائر طوائف الشيعة بأنها لا تصح فيهم محتجين على ذلك بالأدلة المخصصة لها بذرية الحسين وهي كثيرة وقال غيرهم بصحتها فقد اختلفوا في ذلك كما ترى وأجمعوا على صحتها في ذرية الحسين والحق هو ما أجمعوا عليه لا ما اختلفوا فيه.

١٧ - ومنها إجماع العترة على أن الإمامة فيهم وإجماعهم حجة يجب اتباعها كما وردت به الأدلة والأدلة على ذلك كثيرة نذكر واحداً منها يغني عما سواه فنقول قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ [الأحزاب: ٣٣] فقد أخبرنا الله بإذهاب الرجس عنهم لأن ما أراده الله من الأفعال الراجعة إليه كان لا محالة لأنه ﴿فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٧] والرجس يطلق في اللغة على معنيين حقيقي وهو النجس ومجازي وهو ما يستخبث من الأقوال والأفعال والمقصود هو المعنى المجازي لأن المعنى الحقيقي وهو النجس موجود فيهم كغيرهم من الناس فلم يبق إلا المعنى المجازي وهو إذهاب الخبث في الأقوال والأفعال وقد رأينا الخبث في الأقوال والأفعال يصدر من بعضهم فلم يبق أن يكون المراد إلا إذهابه عن جماعتهم وإلا لم يبق للآية معنى وذلك لا يجوز.

فثبت ما ذكرنا وهو أن إجماعهم حجة يجب اتباعها وقد ذكر ابن تيمية أن إجماع أهل البيت حجة نص على ذلك في فتاواه.

١٨ - ومنها فتاوى علماء الأمة الإسلامية بالقيام مع أئمة أهل البيت عليهم السلام قال في مقاتل الطالبين في سيرة محمد بن عبد الله النفس الزكية عليه السلام ما لفظه: (وكان مالك قد أفتى بالخروج مع محمد وبايعه فلذلك تغير عليه المنصور فيقال إنه خلع أكتافه) انتهى.

وقال المنصور بالله في الشافعي ما لفظه (وفزع الناس إلى مالك بن أنس الأصبحي يستفتونه في بيعه محمد بن عبد الله والقيام معه فأفتاهم بوجوب ذلك عليهم) انتهى.

وقال في مقاتل الطالبين في ذكر الإمام إبراهيم بن عبد الله عليه السلام ما لفظه: (قال أبو إسحاق الفزاري -: جئت إلى أبي حنيفة، فقلت له: ما اتقيت الله حيث أفتيت أخي بالخروج مع إبراهيم بن عبد الله بن الحسن حتى قتل، فقال: قُتِلَ أخيك حيث قُتِلَ يعدل قَتْلَهُ لو قُتِلَ يوم بدر، وشهادته مع إبراهيم خيرٌ له من الحياة، قلت له: ما منعك أنت من ذلك، قال: ودائع الناس كانت عندي.

وفيه بسنده، قال: ما زلت أسمع أن شعبة كان يقول في نصرة إبراهيم بن عبد الله للناس إذا سألوه: ما يقعدكم؟ هي بدر الصغرى) انتهى نقلاً من التحف ص ١٠٤.

وقال في الشافي في سيرة الإمام إبراهيم بن عبد الله ما لفظه (وكان معه المفضل بن محمد الضبي صاحب الاختيارات إلى قوله: قال: حدثني إبراهيم بن سويد الحنفي، قال: سألت أبا حنيفة، وكان لي مكرماً أيام إبراهيم، قلت: أيهما أحب إليك بعد حجة الإسلام الخروج إلى هذا الرجل أو الحج، قال: غزوة بعد حجة الإسلام أفضل من خمسين حجة) انتهى ص ١٠٤ من التحف وقال الزمخشري في الكشاف ص ١٨٣ الجزء الأول ما لفظه: (وكان أبو حنيفة رحمه الله يفتي سراً بوجوب نصرة زيد بن علي رضوان الله عليهما وحمل المال إليه والخروج معه على اللص المتغلب المتسمي بالإمام والخليفة كالدوانقي وأشباهه وقالت له امرأة أشرت على ابني بالخروج مع إبراهيم ومحمد ابني عبد الله بن الحسن حتى قتل فقال ليتني مكان ابنك) انتهى وغير ذلك.

١٩ - ومنها مبايعة علماء الأمة لأئمة أهل البيت ومناصرتهم بالأقوال والأفعال وسأذكر نبذة يسيرة من ذلك.

فممن بايع الإمام زيد بن علي عليه السلام سلمة بن كهيل ويزيد بن أبي زياد وهارون بن سعد وأبو هاشم الرماني ومنصور بن المعتمر وغيرهم، وكان من أنصاره أبو حنيفة رضي الله عنه وأعاناه بهال كثير وقد قامت معه جميع طوائف الأمة إلا طائفة واحدة سماها زيد الرافضة (روى السيد أبو طالب يحيى بن الحسين بن هارون الحسيني في

كتاب الدعامة: أن جميع فرق الأمة اجتمعت على إمامة زيد بن علي عليه السلام إلا هذه الفرقة التي تقدم ذكرها، فقال لما شهر فضله وتقدمه وظهر علمه وبراعته، وعُرف كماله الذي تقدم به أهل عصره اجتمع طوائف الناس على اختلاف آرائهم على مبايعته فلم يكن الزيدي أحرص عليها من المعتزلي، ولا المعتزلي أسرع إليها من المرجي، ولا المرجي من الخارجي، فكانت بيعته عليه السلام مشتملة على فرق الأمة مع اختلافها ولم يشذ عن بيعته إلا هذه الطائفة القليلة التوفيق) انتهى نقلاً من التحف ص ٧١.

أقول إن قيام كل الطوائف معه لدليل واضح على أحقية منهجه وأنه المنهج الذي يصلح أن يتوحد المسلمون عليه كما سيأتي:

وممن بايع الإمام محمد بن عبد الله النفس الزكية عليه السلام (أبو حنيفة) وعمرو بن عبيد وجعفر الصادق وعبد الله بن هرمز شيخ الإمام مالك ومحمد بن عجلان وعبد الله بن عامر الأسلمي القاري وعبد العزيز الدراوردي وابن خضير وغيرهم.

وخرج معه المنذر بن محمد بن عبد الله بن الزبير وابنه عبد الله بن مصعب وأبو بكر بن أبي سبرة الذي يروي عنه الواقدي.

وممن خرج مع الإمام إبراهيم بن عبد الله عليه السلام هارون بن سعد وعامر بن كثير السراج وحمزة التركي وسلام الحذاء وخليفة بن حسان وعباد بن العوام وهشيم بن بشير وإسحاق بن يوسف الأزرق ويزيد بن هارون ومسلم بن سعيد والأصبع بن زيد وشعبة بن الحجاج والمفضل بن محمد الضبي وأبو خالد الأحمر وأبو داود الطهوي وبشير الرحال وسالم الحذاء وعباد بن منصور وممن بايعه أيضاً أبو حنيفة ومطر الوراق وإبراهيم بن نميلة والمضا بن القاسم الثعلبي ومعاوية بن حرب بن قطن وحكم المعتزلي وغيرهم.

وممن خرج مع الإمام الحسين بن علي الفخي عليه السلام سعيد بن خيثم وعلي بن هشام بن البريد ويحيى بن يعلى وعامر بن كثير السراج وغيرهم.

وأما من قاموا مع الإمام يحيى بن عبد الله عليه السلام فقال في كتاب أخبار فخ ص ٧٣ مالفظه: (لما ظهر يحيى بن عبد الله عليه الصلاة والسلام أيام الرشيد بالديلم وعلا صوته في الآفاق وكثر الدعاة إليه، وأجابه الناس وسارع إليه كل من له رغبة في الدين وأهل النيات من المسلمين، وكان له سبعون رجلاً من علماء زمانه دعاة إليه، وإلى نصرته يتفرقون القرى يدعون إلى حكم الكتاب، ونصرة الدين، ودفع الجور، ومنع الظالمين، وإظهار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. منهم:

محمد بن إدريس الشافعي، ومحمد بن عامر، ومُحَوَّل بن إبراهيم فقيه أيضاً.

وحسن بن الحسين، وإبراهيم بن إسحاق، وسليمان بن جرير، وعبد العزيز بن يحيى الكناني، وبشر بن المعتمر، وفليت بن إسماعيل، ومنصور البخاري، ومحمد بن أبي نعيم، ويونس بن إبراهيم (الرازي)، ويونس البجلي، وابن عورك اللّهيبي، وحبيب بن أرطاة، وسعيد بن خيثم الهلالي.

وغيرهم من فقهاء المدائن وعلماء الأمصار وأهل البصائر). انتهى، وقال الإمام مجد الدين المؤيدي عليه السلام في كتابه التحف: وكان من دعاة الإمام يحيى بن عبد الله: محمد بن إدريس المطلب الشافعي رضي الله عنه، المتوفى سنة ثلاث ومائتين، وهو أجل أتباع آل محمد، وأهل الإخلاص في ولاية أبناء الرسول، وهو القائل:

يا أهل بيت رسول الله حبُّكم فرض من الله في القرآن أنزله
كفاكم من عظيم الشأن أنكم من لم يصلّ عليكم لا صلاة له

وقوله:

يا ركباً قف بالمحصب من منى واهتف بواقف خيفها والناهض
قف ثم ناد بأنتي لمحمد ووصيه وابنيه لست بياغض
إن كان رفضاً حب آل محمد فليشهد الثقلان أني رافضي

وأفعاله وأقواله في هذا الباب أكثر من أن تحصر.

وكذلك غيره من علماء الأمة الحنيفة، وفضلاء الملة الشريفة، لا يعدلون عن أهل بيت نبينهم، ولا يميلون عن طريق هدايتهم.

فالشافعي أخذ العلم عن يحيى بن خالد المدني، وإبراهيم بن أبي يحيى المدني، وهما قراء على الإمام زيد بن علي، وكذلك أبو حنيفة النعمان بن ثابت المتوفى سنة مائة وخمسين من تلامذة الإمام زيد بن علي وأتباعه، ومالك بن أنس الأصبحي المتوفى سنة مائة وتسع وسبعين قرأ على الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، وأفتى بالخروج مع محمد بن عبدالله وأخيه الإمام إبراهيم بن عبدالله عليه السلام، وأحمد بن حنبل المتوفى سنة (٢٤١هـ) أخذ عن الشافعي وألف المناقب.

وغيرهم من أتباع الأئمة، ودعاة أهل البيت الذين استجاب الله فيهم دعوة أئمتنا إبراهيم خليل الله في قوله: ﴿فَجَعَلَ أَفْنَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾ [إبراهيم: ٣٧]. انتهى

ومن بايع الإمام محمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي عليه السلام يحيى بن آدم وأبو بكر وعثمان ابنا أبي شيبه وأبو نعيم الفضل بن دكين وعبد الله بن علقمة وغيرهم. فهذه نبذة يسيرة منهم والمقصود الإشارة

٢٠- ومنها شهادة علماء الأمة لأئمة أهل البيت بالإمامة والعدالة وحسن السيرة وسوف أذكر بعضاً من كلام علماء السنة دون غيرهم من علماء المذاهب الإسلامية إذ ذلك يخرجنا عن المقصود من الاختصار:

١ - فمنهم ابن تيمية: قال الإمام مجد الدين المؤيدي رحمته الله في كتابه مجمع الفوائد ص ٢٧٢ مالفظه (قال ابن تيمية أيضاً في الجزء الأول من المنهاج صفحه (٢١): لفظ: الرافضة، إنما ظهر لما رفضوا زيد بن علي بن الحسين في خلافة هشام وقصة زيد بن علي بن الحسين كانت بعد العشرين ومائة سنة (١٢١ هـ) أو (١٢٢ هـ) في

آخر خلافة هشام. قال ابن تيمية: قال أبو حاتم البستي: قتل زيد بن علي بن الحسين بالكوفة سنة (١٢٢ هـ)، وصلب على خشبة، وكان من أفاضل أهل البيت وعلمائهم وكانت الشيعة تتحلله. قال. أي الشيخ ابن تيمية: ومن زمن خروج زيد افترقت الشيعة إلى رافضة وزيدية) انتهى.

٢- ومنهم ابن حجر: قال الإمام الحجة مجد الدين المؤيدي رحمته الله في كتاب التحف ص ١٦٩ (ومن الشهادات التاريخية الحققة ما شهد به للإمام الهادي إلى الحق وللأئمة من أهل البيت الحافظ ابن حجر في فتح الباري شرح البخاري، حيث فسر بهم الخبر النبوي المروي في البخاري وغيره، وهو: «لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي منهم اثنان»، فأفاد أنه صدق الحديث ببقاء الأمر في قريش باليمن من المائة الثالثة في طائفة من بني الحسن، قال: ولا يتولى الإمامة فيهم إلا من يكون عالماً متحريراً للعدل.

إلى قوله: والذي في صعدة وغيرها من اليمن، لا شك في كونه قرشياً؛ لأنه من ذرية الحسن بن علي) انتهى

٣- ومنهم محمد بن جرير الطبري: قال في تاريخه عند ذكره للإمام الناصر الأطروش رحمته الله ص ٣٥٧ الجزء الثامن ما لفظه (ولم ير الناس مثل عدل الأطروش وحسن سيرته وإقامته الحق).

٤- ومنهم ابن حزم: قال في كتابه جمهرة أنساب العرب ص ٥٤ في ذكر الإمام الأطروش رحمته الله ما لفظه: (الحسن الأطروش - الذي أسلم على يديه الديلم - بن علي بن الحسن بن علي بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب.

إلى قوله: وكان هذا الأطروش فاضلاً حسن المذهب عدلاً في أحكامه ولي طبرستان.. إلى آخر كلامه.) وقال في ص ٤٤ في ذكر أولاد الإمام الناصر ابن الهادي - ما لفظه: والحسن المنتخب، والقاسم المختار، ومحمد (المهدي)، بنو أحمد الناصر بن يحيى الهادي بن الحسين بن القاسم الرسي بن إبراهيم طباطبا، ويحيى هذا الملقب

بالحادي رأي في أحكام الفقه قد رأيته لم يبعد فيه عن الجماعة كل البعد.. إلى آخره.)

٥- ومنهم نشوان الحميري: قال في كتابه الخور العين ص ١٩٦ ما لفظه: وأول من دعا باليمن إلى مذهب الزيدية ونشر مذهب أئمتهم يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، ولقبه الهادي إلى الحق، وقال (أي نشوان):

والله والله العظيم أليّةً يهتز عرش الله منها الأعظم
إني لودك يا حسين لمضمّر في الله أبديّه وحيناً أكتم

إلى قوله:

وَلَوْ دُسَّائِرِيَّتْ آلِ مُحَمَّدٍ فودادهم فرض عليّ ومغنم
قوم أدين بحبهم وبدينهم ونصوصهم أفتي الخصوم وأحكم

وقال أيضاً :

وذكرت آل محمد وودادهم فرض علينا في الكتاب مؤكد

٦- ومنهم ابن الأثير: قال في تاريخه الكامل عند ذكر الإمام الأطروش عليه السلام ص ٤٨٤ الجزء السادس طبعة دار الكتب العلمية ما لفظه: (وكان الحسن بن علي حسن السيرة عادلاً ولم ير الناس مثله في عدله وحسن سيرته وإقامته الحق) انتهى

٧- ومنهم ابن خلدون: قال في تاريخه ص ٤٥٨ الجزء الثالث عند ذكره للإمام الأطروش ما لفظه: (وكان الأطروش زيدي المذهب) وقال: (وكان هذا الأطروش عادلاً حسن السيرة لم ير مثله في أيامه).

وقال: (أيضاً أسلم الديلم على يد هذا الأطروش وملك بهم طبرستان).

٨- ومنهم العامري: قال الإمام مجد الدين المؤيدي عليه السلام في كتابه التحف ص ١٦٩ ما لفظه (وقال العلامة إمام المحدثين في عصره، مؤلف بهجة المحافل يحيى بن أبي بكر العامري في الرياض المستطابة ما لفظه ثم في زمن المعتمد والمعتضد والمقتدر

إلى المستعصم آخر ملوك العباسيين، تخرز أهل البيت إلى بلدان لا يقدر عليهم فيها مثل: جيلان وديلماني وما يواليها من بلاد العجم، ومثل نجد اليمن كصنعاء وصعدة وجهاتها، واستوثق أمرهم وقاموا بالإمامة بشروطها قاهرين ظاهرين، فقام منهم بنجد اليمن نحو بضع وعشرين إماماً أولهم وأولاهم بالذكر الإمام الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن المثنى، كان مولده بالمدينة، ومنشأؤه بالحجاز، وتعلمه به وبالعراق، وظهور سلطانه باليمن سنة ثمانين ومائتين، وكان جاء إلى اليمن وقد عم بها مذهب القرامطة والباطنية، فجاهدهم جهاداً شديداً، وجرى له معهم نيف وثمانون وقعة لم يهزم في شيء منها، وكان له علم واسع، وشجاعة مفرطة.

إلى قوله: ثم قام بعد الهادي ولده المرتضى محمد بن يحيى، ثم ولده الناصر أحمد بن يحيى، وكانا ممن جمع خصال الكمال والفضل كأبيهما، ودفنا إلى جنبه بصعدة، ومن ذريتهما أكثر أشرف اليمن.

ثم ساق في تعداد الأئمة فأورد قطعة تاريخية، وبحثاً نفيساً يدل على غزارة علم واطلاع وإنصاف واعتراف بالحق وبعد عن الإنحراف).

٩- ومنهم ابن الجوزي: قال العامري في الرياض المستطابة ما لفظه (وقد ذكر ابن الجوزي وغيره: أن الأئمة المتبوعين في المذاهب بايع كل واحد منهم لإمام من أئمة أهل البيت، بايع أبو حنيفة لإبراهيم بن عبدالله بن الحسن، وبايع مالك لأخيه محمد، وبايع الشافعي لأخيها يحيى) انظر التحف ص ١٧٠

١٠- ومنهم الذهبي: قال في سيرة الإمام الأطروش عليه السلام في كتابه تاريخ الإسلام (١٥/٢٣) ما لفظه: (الحسن بن علي العلوي الأطروش وتلقب بالداعي ودعا الديلم إلى الله وكانوا مجوساً فأسلموا وبنى لهم المساجد وكان فاضلاً عاقلاً له سيرة مدونة وأصلح الله الديلم به) انتهى

ومن ذكر ذلك ابن تغري في النجوم الزاهرة والمزي في تهذيب الكمال والمقريري الشافعي في الخطط والآثار والدامغاني في رسالته انظر الاختيارات المؤيدية ص ٢٩٤.

١١ - ومنهم الخزرجي: في كتابه المسمى الفاخر الحسن في طبقات أكابر اليمن أرخ فيه لعدة من الأئمة الزيدية في اليمن ومن جملة ما ذكر قوله (الإمام أبو الحسن المتوكل على الله سبحانه أحمد بن سليمان بن محمد بن مطهر بن علي بن أحمد الناصر بن الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن أبي طالب رضي الله عنهم، كان إماماً جليلاً فاضلاً نبيلاً، وهو أحد الأئمة الزيدية المشهورين بالعلم والعمل، جمع محاسن الخصال، وفاز بصفات الكمال، وله الدلالة على العلم الواسع، والفهم الغزير في الأصول والفروع، وكان حسن التصنيف، ومن تصانيفه كتاب أصول الأحكام في الأحاديث النبوية، ذكر فيه فوايد الأخبار، وسلك طريقة الترجيح لمذهب الهادي، فيه ثلاثة آلاف حديث وثلاثمائة واثنان عشر، وكان شاعراً فصيحاً خطيباً بليغاً حسن المخاطبة حلّو المراجعة لطيف المحاور، برأ فاضلاً كريماً.... إلى قوله: ومات بحيدان من بلاد خولان سنة ست وستين وخمسمائة، وكان ميلاده سنة خمسمائة رحمه الله تعالى.. إلخ) انتهى.

انظر عيون المختار للإمام مجد الدين المؤيدي ص ١٣٦ وكذلك ذكرهم في كتابه المسمى تحفة الزمن في أخبار ملوك اليمن ومن جملة ما ذكر قوله (وفيه: قيام الإمام عبدالله بن حمزة عليه السلام، وكان من أعيان أهل البيت عليهم السلام، له التصانيف العجيبة في فنون العلم، يحفظ أشعار العرب أكثر من مائة ألف بيت)... إلخ كلامه انتهى نقلاً من عيون المختار ص ١٧٢.

١٢ - ومنهم السلطان الملك الأشرف: أبو حفص عمر بن السلطان يوسف بن عمر بن علي بن رسول الغساني في كتابه المسمى طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب قال فيه ما لفظه: (ذكرُ الأشراف باليمن والحجاز ومعرفة نسبهم متصلاً بعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه في الجنة:

اعلم أن الشرف لا يطلق على كل من كان من ذرية علي رضي الله عنه؛ بل على كل من كان من ذرية أولاده من فاطمة بنت النبي ﷺ وهما الحسن والحسين، ومن كان من

غيرهما من أولاد علي رضي الله عنه سموا علويين ولا يسمون أشرفاً، ومن كان من الخلف من أولاد العباس بن عبدالمطلب رضي الله تعالى عنه قيل لهم العباسيون، ومن كان من الخلفاء بني أمية قيل لهم الأمويون.

قال: والآن نبدأ بذكر الأشراف الذين في اليمن والحجاز مبيناً إن شاء الله تعالى نسب الأشراف الرسوس باليمن الذين هم بنو حمزة وبنو الهادي وبنو القاسم وهم أولاد ترجمان الدين القاسم بن إبراهيم الرسي، الذي هاجر إلى الرس في أيام المأمون بن هارون الرشيد، فمن ذلك أولاد ترجمان الدين القاسم بن إبراهيم اثنان الحسين بن القاسم ومحمد بن القاسم، أولاد الحسين بن القاسم نفران عبدالله الحافظ جد بني حمزة ويحيى الهادي جد بني الهادي)... إلخ انتهى فأورد قطعة تاريخية في الأئمة من أهل البيت وأتباعهم وقد ذكر بعضها في عيون المختار انظر ص ١٣٦ وغير ذلك من كلامهم والمقصود الإشارة.

وأقول انظروا أيها الإخوة إلى كلام هؤلاء العلماء ومدحهم لأئمة أهل البيت وذكرهم لهم بلفظ آل محمد ولفظ أهل البيت وبذلك يظهر كذب النواصب الذين ينكرون أهل البيت ويقولون قد انتهوا في كربلاء أو إن أهل البيت هم كل الأمة أو آل محمد كل تقي ونحو ذلك من الألفاظ التي يحاولون بها صد الناس عن أهل البيت وكل ذلك لحقدهم على النبي ﷺ لأنه لا يكره الأولاد إلا من يكره الوالد كما هو مشاهد معلوم.

وإلا فإن ظهور أهل البيت بيننا كظهور الشمس في ضحاها

ولذا نسميهم في بلادنا سادة وفي بعض البلدان يطلقون عليهم (الأشراف) وفي بعضها غير ذلك حتى جعلوا لهم في بعض الأمصار لباساً يتميزون به

كما قال الشاعر :

جعلوا لأبناء النبي علامة إن العلامة شأن من لم يشهر
نور النبوة في طراز وجههم يغني الليب عن الطراز الأخضر

قال الشيخ العلامة صالح بن مهدي المقبلي -تولى الله مكافأته- في العلم الشامخ في ذكر أهل البيت : وسر النبوءة فيهم لائح على أعمالهم ومكارم أخلاقهم بل على صورهم الحسية يرى غالب الناس الرجلين بديهة فيقطع أو يظن أن أحدهما من أهل البيت النبوي ولقد كنا في اليمن ما يكاد يختلف هذا علينا لصحة أنسابهم إلى قوله فكان عدم العلامة هو العلامة. انتهى

فهذه عشرون دليلاً كل واحد منها كافٍ في الدلالة على إمامتهم وهناك كثير من الأدلة تركناها خشية الإطالة وقد نوه الله بشرفهم وفضلهم بأن فرض الصلاة عليهم مع جدهم في الصلاة التي هي أشرف العبادات كما وردت بذلك الأخبار قال الإمام الشافعي رضي الله عنه

يا أهل بيت رسول الله حبكم
فرض من الله في القرآن أنزله
كفاكم من عظيم الشأن أنكم
من لم يصل عليكم لا صلاة له

وقال العلامة محمد بن إبراهيم الوزير:

وأحب آل محمد نفسي الفدا	لهم فما أحد كآل محمد
هم باب حطة والسفينة والهدى	فيهم وهم للظالمين بمرصد
وهم النجوم لخَيْرٍ متعبِّدٍ	وهمُ الرجوم لكل من لم يعبد
وهم الأمان لكل من تحت السماء	وجزاء أحمد ودهم فتودد
والقوم والقرآن فاعرف قدرهم	ثقلان للثقلين نص محمد
وكفى لهم شرفاً ومجداً باذخاً	شرع الصلاة لهم بكل تشهد
ولهم فضائل لست أحصي عدها	من رام عد الشهب لم تتعدد

أقول ويكفي كل مسلم في الدلالة على أن آل النبي هم القادة لأهل الإسلام كونهم (آل النبي) فلو لم يرد فيهم شيء مما ذكرنا لكان ذلك كافياً لنا فإن المضاف يشرف بشرف المضاف إليه كما هو معلوم فيكفينا أيها الإخوة في كونهم قادة لنا كونهم (آل النبي) لا آل معاوية ولا آل عباس كلا ولا آل سعود.

فصل

في بيان دور السياسة الظالمة في تزيف الحقائق

قد قدمنا لكم أيها الإخوة المسلمون أنه لا بد وأن يبين الله لنا أمر القائد للمسلمين الذي يجمع شمل المسلمين وقيم الشرع الحنيف بينهم وينصف للمظلومين من الظالمين وقيم شعائر الإسلام ويدفع عنه المعتدين.

وبينا أن ذلك الأمر في آل نبينا ﷺ بما قدمنا من الأدلة الكافية لمن أنصف. فأما المعاند فلا سبيل إلى إقناعه لأنه مهما تليت عليه الأدلة والبراهين فلا يزداد بها إلا بعداً ونكوصاً والأمر الذي نعاني منه هو أن السياسة الظالمة قد شوهت أمر الإمامة وشوشت على عقول كثير من الناس بالإعلام المزيف الذي صور للناس أن الإمامة هي الظلم والتخلف والرجعية والكهنوتية ونحو ذلك مستغلاً في ذلك بعض الأحداث التاريخية عن بعض من تحملها من الآل بغير استحقاق حتى صارت الإمامة من الأمور المستكرهة لدى كثير من الناس مع أنها هي التشريع الإلهي في دين الإسلام وهي المخرج الوحيد للإمة الإسلامية من أوضاعها السيئة في دينها ودنياها وذلك إذا أُقيمت على الشروط المعتمدة التي اشترطها أئمة الزيدية وعلمائها علماً بأن تلك الشروط موجودة لدى غيرهم من علماء المذاهب الإسلامية مع بعض الزيادات المتفرعة من الأدلة الشرعية الصحيحة فالإمامة في الواقع هي الحكومة المدنية العادلة التي ينشدها كل الناس التي تبني على الكفاءات في كل المجالات والإمام إنما هو

المرجع عند الاختلاف لإيضاح شرع الله وبيانه.

وعليكم أيها الإخوة بالاطلاع على سيرة أئمة أهل البيت من مصادرها الصحيحة وسوف تعرفون أنهم هم الذين حكموا بالعدل بين الناس الذي أمر الله به في قوله تعالى ﴿لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥] وساروا بسيرة الأنبياء والمرسلين بين العباد ولقد أقسم بعض الأئمة لمن كانوا في عصره أنه سوف يسير بهم سيرة رسول الله إن هم أطاعوه وأنه لن يغيب عنهم من رسول الله إلا شخصه فتاريخهم عليه السلام يشهد بأنهم خلفاء رسول الله ﷺ ولو لم يرد فيهم أي دليل من الكتاب والسنة فأقوالهم وأفعالهم شاهدة عليهم.

هذا عهد الإمام علي عليه السلام للأشتر النخعي الذي بين فيه القوانين الإسلامية التي لو طبقت بين الناس لعاشوا في سعادة عظيمة في الدنيا والآخرة. وقد بلغني أن بعض الدول الكفرية قد أخذت منه في قوانينها.

ولقد حكم أئمة أهل البيت في بلاد اليمن أكثر من ألف ومأتي عام وحرروها من كل الاستعمارات الخارجية بمناصرة أهل اليمن لهم الذين استجاب الله فيهم دعاء نبيه إبراهيم الخليل صلوات الله عليه في قوله: ﴿فَاجْعَلْ أَفْتِدَاءَ مَنِ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾ [إبراهيم: ٣٧]. فكانوا أنصار رسول الله ﷺ وأنصار وصيه وأنصار أهل البيت إلى هذا الزمان وإلى أن يقوم الناس لرب الأنام فلو لم تكن سيرتهم هي السيرة النبوية المبنية على العدل في الرعية والقسم بالسوية لما صبر أهل اليمن وهم أهل الإباء والضميم على الذل والظلم والاستبداد كما يزعمه أولو النصب والعناد ولكن هيهات أن يؤثر كلامهم على قلوب أهل الإيثار الذين رسخت في قلوبهم محبة أهل البيت رسوخ الجبال الرواسي الذين أثنى الله عليهم بقوله تعالى ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٤٥] وأثنى عليهم رسوله بقوله ﷺ (الإيمان يمان والحكمة يمانية).

فصل

في وجوب الاعتصام لنصرة الإسلام ولإذلال الكفرة الطغام

أيها الإخوة المسلمون قد ترون ما يفعله أعداء الإسلام من اليهود الكافرين بإخواننا المسلمين في فلسطين طوال هذه الفترة الماضية فقد انتهت أعمار من قبلنا وشارفت أعمارنا على الانتهاء وفلسطين لازالت في ذلة ومهانة وقتل واستعباد ولم تنفع الصحف والمجلات التي يكتبها المسلمون في التنديد بالعدوان الإسرائيلي فقد كتبوا من الأوراق ما لو جُمع لأحرق إسرائيل فلم تندفع بشيء ولا ينفع إلا القيام بقتالهم كما أمر الله تعالى بقوله ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ ولكن قتالهم لا يكون نافعا حق النفع إلا إذا قاتلناهم أيها الإخوة المسلمون جميعاً كما أمرنا الله بقوله: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾ [التوبة: ٣٦].

وقد أمرنا الله بالاعتصام بحبله وأخبرنا بما في ذلك من الفوائد الكبيرة ونهانا عن التفرق والاختلاف وأخبرنا بما في ذلك من المفسدات الكثيرة التي استطاع من خلالها أعداء المسلمين من اليهود وغيرهم من الكافرين أن يضربوا المسلمين ببعضهم مستخدمين في ذلك كل الأوراق التي تمكن من العنصرية القومية والمناطقية والمذهبية وكل ما يروج لها حتى جعلوا بلاد المسلمين ساحة للقتال والخراب والدمار والإرهاب وبلدناهم خالية من ذلك فليس لنا أيها الإخوة مخرج من هذا الوضع السيء إلا بالعودة إلى الامتثال لأمر خالقنا

﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾ [آل عمران: ١٠٣] ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا﴾ [الأنفال: ٤٦] فالمخرج هو في التوحد لا في التفرق ولكن التوحد الحقيقي لا يكون إلا بالتوحد في العقائد والتوحد في العقائد قد أصبح من الأمور الصعبة والشديدة بل يكاد أن يكون شبه المستحيل، ولكنني سأشير عليكم أيها الإخوة بطريقة يسيرة غير عسيرة سهلة على الجميع

ألا وهي أن نتوحد في توجيه العداء لأولئك الكفار ونقوم بجهادهم وقتلهم جميعاً كما أمر الله ولكن هذا الأمر وهو القيام بجهادهم لا يتم إلا تحت قيادة واحدة لنا جميعاً.

وقد قدمنا لكم أيها الإخوة بعضاً من الأدلة التي تدل على وجوب اتباع أهل البيت في كل شي فإذا كنتم أيها الإخوة لا ترون أنها تدل على ذلك فعلى الأقل أن تدل على وجوب اتخاذ القائد لنا منهم وإلا كانت عبثاً لا فائدة لها وذلك لا يجوز لأنها من كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ومن كلام رسوله الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى

وهذه الطريقة وهي اتخاذ القائد من أهل البيت عليه السلام والقيام بجهاد الكفار تحت رايته هي أفضل طريقة للنصر عليهم وهي أفضل طريقة للتوحد في المبادي والعقائد في المستقبل لأن العداء المذهبي حينئذ سيقول وربما ينعدم وعند ذلك تتقارب الأفكار والأنظار فيحصل التوحد المطلوب من الله جل وعلا.

وهذه الطريقة هي التي أشار إليها القرآن بقوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١] بماذا حصلت هذه الولاية بقوله: ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [التوبة: ٧١].

وليس هناك أمرٌ بمعروف ولا نهْيٌ عن منكر أفضل من جهاد أعداء الإسلام من اليهود الكافرين المعتدين الذين هانوا كرامة جميع المسلمين.

وهذه الطريقة هي التي دعا إليها الإمام زيد عليه السلام أسلافكم من علماء المسلمين فاستجابوا له وهي التي عبر عنها في رسالته إلى علماء الأمة بقوله عليه السلام: (عباد الله فأعينونا على من استعبد أمتنا، وأخرب أمانتنا، وعطل كتابنا، وقد وثقنا من نفوسنا بالمضي على أمورنا، والجهاد في سبيل خالقنا، وشرعية نبينا عليه السلام، صابرين على الحق، لا نجزع من نائبة من ظلمنا، ولا نرهب الموت إذا سلم لنا ديننا، فتعاونوا تنصروا يقول الله عز وجل في كتابه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧]،

ويقول الله عز وجل: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ الَّذِينَ إِنْ مَكَنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤٠ - ٤١].

عباد الله فالتمكين قد ثبت بإثبات الشريعة، وبإكمال الدين بقول الله عز وجل: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ﴾ [الذاريات: ٥٤]، وقال الله عز وجل فيما احتج به عليكم: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

عباد الله فقد أكمل الله تعالى الدين، وأتم النعمة، فلا تنقصوا دين الله من كماله، ولا تبدّلوا نعمة الله كفرًا فيحل بكم بأسه وعقابه).

فأدعوكم أيها الإخوة إلى التجربة لهذه الطريقة وسيكون الفرج لنا ولكم ولجميع المسلمين بعون الله وتوفيقه.

فصل

في الوسطية والاعتدال

التوسط في الأمور هو أحسن طريق يسلكها الإنسان وهو ممدوح في كل شي وفي الأثر (خير الأمور أوسطها).

وقال الشاعر :

عليك بأوساط الأمور فإنها سبيل إلى نيل المراد قويم
ولا تك إما مفرطاً أو مفرطاً كلا طرفي قصد الأمور ذميم

فالإفراط والتفريط مذمومان.

والإنسان الباحث عن الحق المتجرد عن التعصب والأهواء إذا اطلع على أقوال المذاهب الإسلامية وحاول المقارنة والمقاربة بينها يجد أن منهج الإمام زيد بن علي عليه السلام هو المنهج المعتدل في أصول الدين وفروعه ويرى أن هذا المنهج هو المنهج الذي لو قدر

للمذاهب أن تتحد لما اتحدت إلا عليه لتوسطه واعتداله في كل المسائل.
وسأضرب لكم أيها الإخوة بعض الأمثلة الحساسة لمعرفة وسطية مذهب الإمام
زيد بن علي عليه السلام وذلك من خلال ثلاث مسائل:-

١- المسألة الأولى

مسألة الحب والبغض للإمام علي عليه السلام فقد ثبت في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال
لعلي عليه السلام: (لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق) هذا الحديث روي بروايات
كثيرة مختلفة في اللفظ متفقة في المعنى ففيه التواتر المعنوي المعروف في علم الأصول.
فلننظر أيها الإخوة إلى مواقف المذاهب الإسلامية أمام هذا الأمر أعني أمر المحبة
والبغض لأمر المؤمنين علي عليه السلام فهناك إفراط وتفريط.

فقد ذهب أهل الغلو من الشيعة إلى الإفراط وتجاوز الحدود في محبته عليه السلام فاخترعوا
له فضائل ما أنزل الله بها من سلطان مع أنه غني عنها بفضائله الصحيحة التي اتفق
على روايتها كل علماء الأمة.

ولكنهم زادوا على ذلك من تلقاء أنفسهم بل وفضلوه على سائر الأنبياء المرسلين من
قبل نبينا محمد صلوات الله عليه وعليهم وعلى آل نبينا الطاهرين كما هو موجود في كتبهم.

وذلك كله بسبب الغلو المذموم الذي نهى الله عنه بمثل قوله تعالى ﴿لَا تَغْلُوا فِي
دِينِكُمْ﴾ [النساء: ١٧١].

وذهب أهل النصب من أهل السنة إلى التفريط في حقه عليه السلام بالتنقيص له عما ثبت
له من الفضائل الصحيحة الموجودة في كتبهم فقد روى علماء السنة له عليه السلام كثيراً من
الفضائل التي لم تكن لأحد من الصحابة على الإطلاق كما هو ظاهر لمن بحث في كتبهم
(قال في الجزء السابع من فتح الباري شرح البخاري صفح (٧١) مالفظة: قال أحمد
وإسماعيل القاضي والنسائي وأبو علي النيسابوري لم يرد في حق أحد من الصحابة

بالأسانيد الجياد أكثر مما جاء في علي.

وقال في صفح (٥٨) منه بعد كلام مالفظه: ويؤيده مارواه البزار عن ابن مسعود.
قال: كنا نتحدث أن أفضل أهل المدينة علي بن أبي طالب، رجاله موثقون انتهى.

قلت: وقال الحافظ ابن عبد البر في الاستيعاب: وقال أحمد بن حنبل وإسماعيل بن اسحاق القاضي: لم يرو في فضائل أحد من الصحابة بالأسانيد الحسان ماروي في علي بن أبي طالب، وكذلك أحمد بن شعيب بن علي النسائي رحمه الله، انتهى من صفح (٥١) من الجزء الثالث في الاستيعاب أيضاً، وهو كذلك في طبعة دار الكتاب العربي - بيروت السطر السابع) انتهى نقلاً من مجمع الفوائد للإمام مجد الدين المؤيدي ص ٢٥٣.

ومع ذلك نجد أهل النصب من أهل السنة لم يدينوا بمقتضى تلك الأحاديث بل لم يجعلوا له مكانة واحد من خلفاء الصحابة أعني أبا بكر وعمر وعثمان.
وتبيين ذلك يكون بتوضيح ثلاثة أمور:

الأمر الأول: أنهم حكموا على القاتل لعمر بن الخطاب بأنه كافر مجوسي خارج عن ملة الإسلام.

وحكموا على القاتل لعلي بأنه مجتهد مأجور بل قال ابن العربي بأنه مأجور بالإجماع كما حكى ذلك عنه ابن حجر العسقلاني مع أنه أشقى الآخرين كما ورد عن النبي ﷺ
الأمر الثاني: أنهم قالوا في الخارجيين على عثمان إنهم أهل فتنة كما ذكر ابن تيمية في الجزء الثالث عشر من فتاواه ص ٣٢ الطبعة الأولى حيث قال مالفظه: (وقام قوم من أهل الفتنة والظلم فقتلوا عثمان فتفرق المسلمون) انتهى

وقالوا في الخارجيين على علي عليه السلام إنهم مجتهدون مأجورون.

مع أن الخارجيين على عثمان هم معظم الصحابة بل كل الصحابة لأنهم كانوا ما بين فاعل مباشر وتارك خاذل وسبب خروجهم عليه هي الأحداث التي خالف بها سيرة

رسول الله وسيرة أبي بكر وعمر.

والذين خرجوا على علي عليه السلام هم الناكثون والقاسطون والمارقون الذين هو مأمور بقتالهم على لسان النبي ﷺ كما وردت به الأخبار.

قال الإمام مجد الدين المؤيدي رحمته الله في لوامع الأنوار ص ٥٦٣ أثناء كلامه عن الأحاديث في الناكثين والقاسطين والمارقين مالفظه (ومن طرقها: ما رواه الإمام الأعظم زيد بن علي، عن أبيه، عن جده، عن علي عليه السلام قال: أمرني رسول الله ﷺ بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين؛ وما كنت لأترك شيئاً مما أمرني به حبيبي رسول الله ﷺ).

قال أيده الله في التخريج: قال في التلخيص: رواه النسائي في الخصائص، والبزار، والطبراني.

وفي كنز العمال: أخرجه ابن عدي، والطبراني في الأوسط، وعبد الغني بن سعيد في إيضاح الإشكال، والأصفهاني في الحجة، وابن مندة في غرائب شعبة، وابن عساكر من طرق، وفي رواية عن علي عليه السلام: أمرت بقتال ثلاثة: القاسطين، والناكثين، والمارقين؛ فأما القاسطون فأهل الشام، وأما الناكثون. فذكرهم. وأما المارقون فأهل النهروان. أخرجه الحاكم في الأربعين، وابن عساكر.

وأخرجه الحاكم من طريقين عن أبي أيوب بلفظ: أمر رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين.

وفي الرواية الأخرى بلفظ: سمعت رسول الله ﷺ يقول لعلي بن أبي طالب: «يقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين»، وساقه بإسنادين مختلفين

إلى أبي أيوب... إلخ. [انتهى] من تنمة الروض النضير.

وفي الروض النضير: قال: أخرجه الحاكم، وغيره عن أبي أيوب، وهو متلقى بالقبول إن لم يكن متواتراً، انتهى.

وقد مرّ الحديث عن ابن عباس، وفيه: «اشهدي يا أم سلمة أنه قاتل الناكثين والقاسطين والمارقين»، من رواية الإمام في الشافي، والقاسم بن إبراهيم، وأبي العباس الحسني، والفقيه حميد الشهيد، وعبدالله بن طاهر، والعقيلي، والكنجي.

ورواه ابن المغازلي من حديث المناشدة؛ وروى الكنجي بإسناده إلى أبي سعيد الخدري، قال: أمرنا رسول الله ﷺ بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين، مع علي بن أبي طالب. وقال: أخرجه الحاكم أبو عبدالله، وأخرجه الكنجي أيضاً عن علي.

قال أيده الله: وأخرجه إبراهيم بن ديزيل عن أبي أيوب، وقال عمار بن ياسر: أما إني أشهد أن رسول الله ﷺ أمر علياً بقتال الناكثين والقاسطين.

رواه أبو مخنف؛ قاله عمار رداً على أبي موسى، لما ثبت الناس عن الجهاد مع علي عليه السلام.

ورواه محمد بن سليمان الكوفي عن علقمة، وعن أبي سعيد التيمي، كليهما عن علي؛ لفظ أبي سعيد: عهد إليّ رسول الله ﷺ أن أقتل الناكثين والقاسطين والمارقين، فقال: الناكثين أهل الجمل، والقاسطين أهل الشام، والمارقين الخوارج. قلت: بالنصب على الحكاية.

قال أيده الله: ولفظ علقمة: أمرت أن أقتل... إلخ.

وعن أبي سعيد التيمي، عن علي عليه السلام، نحو الأول من طريق أخرى، ورواه عن إبراهيم، عن علي نحو حديث علقمة. وروى نحوه عن أبي أيوب.

وقال عمار بن ياسر: أمرني رسول الله ﷺ بقتال الناكثين، وقد فعلت، وأمرني بقتال القاسطين، وأنتم هم. يخاطب عمرو بن العاص في صفين. وأما المارقون فلا أدري أدركهم أو لا. رواه نصر بن مزاحم. انتهى إلى غير ذلك من الروايات

وسبب خروجهم على أمير المؤمنين علي عليه السلام هو العدل الذي أفشاه بينهم فقال أهل النصب إن الخارجين عليه مجتهدون مأجورون.

فقالوا في رأس الفئة الباغية معاوية بن أبي سفيان إنه هو ومن قاتل معه من المجتهدين المأجورين كما قال ابن حجر الهيثمي في صواعقه (إن معاوية باغ على علي، ثم على الحسن عليه السلام)، حتى نزل الحسن عن الخلافة؛ ولكنه غير آثم، بل مأجور؛ لأنه فعل باجتهاده... إلخ.

وقال: إن معاوية، وعمر بن العاص مجتهدان أخطئنا. انتهى

مع أن معاوية قد قتل أصحاب رسول الله ﷺ فقد قتل في معركة صفين خمسة وعشرين ألفاً من أصحاب الإمام علي عليه السلام منهم سبعون رجلاً من الصحابة البدرين الذين قاتلوا مع رسول الله ﷺ في معركة بدر منهم عمار بن ياسر الذي قال له رسول الله ﷺ: «تقتلك الفئة الباغية تدعوهم إلى الجنة ويدعونك إلى النار» وخزيمة بن ثابت ذو الشهادتين وغير ذلك من فضلاء الصحابة فلم يكن معاوية صاحب فتنة وإنما هو مأجور لدى النواصب.

الأمر الثالث: قالوا فيمن يسب أو يلعن أبا بكر وعمر وعثمان إنه فاجر فاسق زنديق كافر.... إلخ

وقالوا فيمن كان يسب ويلعن علياً عليه السلام من فوق منابر المسلمين وهو معاوية بن أبي سفيان إنه مجتهد مأجور كما قدمنا مع أنه قد فعل ما هو أعظم من السب واللعن وهو القتل والقتال لأمير المؤمنين عليه السلام وأصحابه كما قدمنا مع أن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣] وقد وردت الروايات من كتب أهل السنة بأن بني أمية هم الشجرة الملعونة^(١) في القرآن قال الإمام مجد الدين المؤيدي عليه السلام مالفظة: (أخرج ابن أبي حاتم

(١) عِدَاء بني أمية للنبي وآل بيته معروف ومسطور ومشهور لا شك في ذلك غير أن حصر تأويل الآية فيهم فيه نظر سيما وقد ورد أنها شجرة الزقوم ﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُومِ * طَعَامُ الْأَثِيمِ﴾ على أن هذه الأسرة ما زالت الذرية منها موجودة الآن وفيهم الصالح وفيهم الطالح شأنهم كشأن بقية الناس فتأويل الآية بهذا أمر فيه نظر، والله أعلم، تأمل موثقاً. تمت شمس الدين.

وابن مردويه، والبيهقي في الدلائل، وابن عساكر؛ عن سعيد بن المسيب، قال: رأى النبي ﷺ بني أمية على منابرهم؛ فسأه ذلك، فأوحى الله إليه (إنما هي دنيا أعطوها)؛ ففرت عينه، وهو قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ [الإسراء: ٦٠].

قال فخر الدين الرازي في تفسيره: وهذا هو قول ابن عباس، عن عطاء.

ثم قال أيضاً: قال ابن عباس: الشجرة الملعونة في القرآن: بنو أمية.

قال: ورأى رسول الله ﷺ في المنام بني مروان يتداولون.

وقال النيسابوري في تفسير سورة القدر: ذكر القاسم بن المفضل، عن عيسى بن مازن، عن الحسن بن علي عليه السلام، أن رسول الله ﷺ رأى في منامه بني أمية، يطئون منبره واحداً بعد واحد. وفي رواية: ينزون على منبره نزو القردة. فشق ذلك عليه، فأنزل الله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ١] إلى قوله: ﴿خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القدر: ٣] يعني: ملك بني أمية.

وروى السيوطي في تاريخ الخلفاء (ص ١٣) عن الترمذي، بسنده إلى الحسن بن علي عليه السلام، أن النبي ﷺ، رأى بني أمية على منبره، فسأه ذلك، فنزلت: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: ١] ونزلت: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ١].

إلى قوله: قال: ﴿خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القدر: ٣] يملكها بنو أمية، يا محمد)

قال: وأخرج هذا الحديث الحاكم في مستدركه، وابن جرير في تفسيره؛ وساق سنده إلى عبد المهيم بن عباس بن سهل؛ حدثني أبي عن جدي، قال: رأى رسول الله ﷺ، بني الحكم بن أبي العاص ينزون على منبره نزو القردة، فسأه ذلك، فما استجمع ضاحكاً حتى مات؛ وأنزل الله في ذلك: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ [الإسراء: ٦٠].

قال: إسناده ضعيف، لكن له شواهد من حديث عبدالله بن عمر، ويعلى بن مرة،

والحسن بن علي، وغيرهم؛ وقد أوردتها في كتاب التفسير، والمسند، وأشرت إليها في كتاب أسباب النزول. انتهى.

وعنه عليه السلام: «إن أهل بيتي يلقون من أمتي قتلاً وتشريداً، وإن أشد قومنا لنا بغضاً بنوا أمية وبنوا المغيرة وبنوا مخزوم» أخرجه الحاكم، وقال: صحيح الإسناد) ثم ساق عليه السلام إلى قوله (وفي البخاري بسنده إلى أبي هريرة، أنه قال: سمعت الصادق المصدوق يقول: «هلكة أمتي على يد غلظة من قريش». قال مروان: لعنة الله عليهم غلظة. قال أبو هريرة: لو شئت أن أقول بني فلان بني فلان، لقلت.

قال في فتح الباري في الجزء (١٣) ص (٩): تنبيه، يُتعجب من لعن مروان الغلظة، مع أن الظاهر أنهم من ولده، كأن الله أجرى ذلك على لسانه؛ ليكون أشد عليهم في الحجة، لعلهم يتعظون.

وقد وردت أحاديث في لعن الحكم، والد مروان، وما ولد، أخرجهما الطبراني؛ وبعضها فيه مقال وبعضها جيد. انتهى المراد.) انتهى من لوازم الأنوار ص ٢٢٥

نعم وبما قدمنا ذكره عن أهل الغلو من الشيعة وأهل النصب من أهل السنة يظهر صدق ما قاله النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام: «يهلك فيك اثنان محب غال ومبغض قال».

وأنا في كلامي هذا لا أعم كل الشيعة ولا كل أهل السنة فالأحكام العمومية غير مقصودة فليعلم ذلك.

نعم ونجد الزيدية قد اعتدلوا في هذا الأمر فدانوا بالحب للإمام علي عليه السلام وأثبتوا له فضائله الصحيحة التي رووها ورواها غيرهم من علماء الشيعة والسنة ودانوا بمقتضى تلك الأدلة ولم يجنحوا إلى الزيادة ولا إلى النقصان.

٢- المسألة الثانية

مسألة الصحابة والمقصود بالصحابة هم أبوبكر وعمر وعثمان وذلك في أخذهم الخلافة على أمير المؤمنين علي عليه السلام مع وجود الأدلة الدالة على أنه الخليفة بعد الرسول صلى الله عليه وآله وهذه المسألة من المسائل التي كثر فيها الجدل والنزاع على مر الأعصار وألفت فيها المؤلفات وكثرت فيها النقاشات والإتهامات.

وسأبين فيها أقوال من قدمنا ذكرهم في المسألة السابقة فذهب أهل الغلو من الشيعة إلى السب واللعن لأبي بكر وعمر وعثمان وحكموا عليهم بالفسق والكفر وغير ذلك من الأحكام المغلظة من أجل مخالفتهم للأدلة الدالة على إمامة أمير المؤمنين وذهب أهل النصب من أهل السنة إلى إنكار دلالة تلك الأدلة على إمامة الإمام علي عليه السلام مع وجود الروايات المصرحة بإمامته بعد الرسول صلى الله عليه وآله وقد رواها علماء السنة في كتبهم وهي أدلة واضحة على إمامته وفضله على جميع الصحابة من كتاب الله ومن سنة رسوله وذلك كآية الولاية وكذلك الآيات التي قدمنا ذكرها في كتابنا هذا وغير ذلك ولولم تكن إلا آية المباهلة التي حكم الله فيها بأن علياً نفس الرسول في قوله تعالى ﴿وَأَنْفُسَنَا﴾ [آل عمران: ٦١] فكيف يحق لنفس أن تتقدم على نفس الرسول صلى الله عليه وآله وكالأحاديث المتواترة عن النبي صلى الله عليه وآله كحديث الإنذار يوم الدار المصرح فيه بلفظ (وخليفتي من بعدي) وكذا حديث المنزلة المتكرر من النبي صلى الله عليه وآله الوارد في أحد عشر مقاماً وقد اعترف أهل الإنصاف من علماء السنة بدلالته على خلافته عليه السلام كالحافظ ابن حجر العسقلاني وغيره وكحديث الغدير الشهير وحديث الباب والراية وتبليغ سورة براءة وحديث المؤاخاة وحديث الطير وغير ذلك من الأحاديث المتواترة أما الأحادية فلا حصر لها ولولم يكن من ذلك كله إلا حديث الغدير الذي رواه جميع أهل الإسلام واشتهر اشتهاه الشمس رابعة النهار وقد اعترف بتواتره علماء السنة كما قدمنا ذكر كلامهم في كتابنا هذا وفيه قال عمر (بخ بخ لك يا بن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى

كل مؤمن ومؤمنة) فتلك الآيات والأحاديث لم تدل عند أهل النصب على شيء لا على إمامته ولا على فضله ولا على شيء مع أنها من كلام الله وكلام الرسول الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى بل إنها لم تجعل له مزية على الطلقاء وأبناء الطلقاء الذين لم يدخلوا في الإسلام إلا كرها كما سيأتي ذكره في المسألة الثالثة مع أنه ﷺ له السوابق الحميدة والفضائل الكثيرة في نصرة الإسلام والأمر فيه كما قيل

فلو لم يكن نص لقدمه الفضل

هذا مع أن الصحابة المتقدمين عليه وهم أبو بكر وعمر وعثمان لم ينكروا تلك الأدلة الدالة على إمامته بل اعتذروا بأعذار أخرى كقول عمر (استصغره الناس) لما سأله ابن عباس عن ذلك وكقوله (لا تجتمع عليه قریش لأنه قد وترهم بسيفه) وغير ذلك من الأعذار فأما الإنكار لفضله فلم يقع منهم كما وردت به الأخبار عنهم.

قال الإمام الحجة محمد الدين المؤيدي ﷺ في لوامع الأنوار ص ٥٢٠ مالفظه: (أخرج الدارقطني عن الشعبي، قال: بينا أبو بكر جالس، إذ طلع علي بن أبي طالب من بعيد؛ فقال أبو بكر: من سره أن ينظر إلى أعظم الناس منزلة، وأقربه قرابة، وأفضله حالة، وأعظمه عناء عن رسول الله - ﷺ - فلينظر إلى هذا الطالع.

انتهى من جواهر العقدين للسهمودي الشافعي.

قلت: هو كذلك في الجواهر؛ وفي رواية بلفظ: من سره أن ينظر إلى أقرب الناس قرابة من نبيهم ﷺ، وأجوده منه منزلة، وأعظمهم عند الله عناء، وأعظمهم عليه، فلينظر إلى علي.

أخرجه الخوارزمي عن شيخه الزمخشري، مسنداً إلى أبي سعد السمان، بإسناده إلى الشعبي قال: نظر أبو بكر إلى علي مقبلاً، فقال: من سره... إلخ.

أفاده في التفريج.

وفي الجواهر: قال أبو بكر: ما كنت لأتقدم رجلاً سمعت رسول الله ﷺ يقول فيه: «علي مني كمنزلي من ربي».

قال: أخرج ابن السمان في كتاب الموافقة عن ابن عباس. رضي الله عنهما. وذكر الخبر. ورواه في ذخائر العقبى بلفظه، وقال: أخرجه السمان.

وأخرج ابن المغازلي عن جابر بن عبد الله.

وفي شرح التحفة عن ابن عباس. رضي الله عنهما. بلفظ: «يا علي، منزلتك عندي كمنزلي عند الله، ومن فارقت فقد فارقتني، ومن فارقتني فارق الله»؛ أخرجه الحاكم الجشمي عن أنس، وسعيد بن جبير؛ وأخرجه الإمام في الشافي بسنده إلى الحاكم إلى قوله ﷺ وساق الإمام ﷺ في اعتراف أبي بكر وعمر، من ذلك: ما جرى للحسين ﷺ معها على المنبر؛ وقد رواه في جواهر العقدين، إلا أن الإمام استوفى الطرق، وهي ما رواه الدارقطني، عن عبد الرحمن الأصبهاني، قال: جاء الحسن بن علي ﷺ على أبي بكر، وهو على منبر رسول الله ﷺ، فقال: انزل عن مجلس أبي.

فقال: صدقتَ والله، إنه لمجلس أبيك.

وأجلسه في حجره وبكى.

قال: وروى الدارقطني في قصة أخرى في أمر المنبر اتفقت للحسين بن علي ﷺ مع عمر بن الخطاب نحو هذه، وأن عمر قال: منبر أبيك لا منبر أبي.

قال: وقد ذكر ابن سعد في طبقاته هذه القصة، وغيرها.

قلت: في الجواهر: وقال: وهل أنبت الشعر على رؤوسنا إلا أبوك؟ - أي إن الرفعة ما نلناها إلا به - انتهى.

قال الإمام: وروى قصة الحسين ﷺ الكنجي في مناقبه، وقال: أخرجها أحمد بن

حنبل في المسند، وأحمد بن سعد، وطرقها محدث الشام. يعني ابن عساكر - من طرق شتى، وذكر الذهبي قصة الحسين، وصححها - وكذلك المزي - وذكر أيضاً قصة الحسن السيوطي في جمع الجوامع، وعزاه إلى أبي نعيم، والجابري، وابن سعد. انتهى المراد.

قلت: وفي رواية الذهبي، والمزي: أن الحسين عليه السلام قال لعمر: انزل عن منبر أبي، واذهب إلى منبر أبيك. فقال: إن أبي لم يكن له منبر. وأقعه معه، وقال له: من علمك هذا؟ قال: ما علمني أحد. ثم قال له: وهل أنبت الشعر في رؤوسنا إلا الله ثم أنتم. ثم قال الذهبي: إسناده صحيح.

قلت: قد اعترضهما السبطان المعصومان المطهَّران، واعترف الشيخان بأن المجلس لأبيهما لا لهما، ولم يدلّيا بحجة ولا شبهة، في تسنّمهما لذلك المقام.

قال الإمام: ومهما وقع نزاع من المخالف في شيء مما ذكرنا، فملاكه كله قول عمر من على المنبر: إن بيعة أبي بكر كانت فلتة وقى الله شرها، فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه. وهذا الخبر معلوم عند الأمة، لا يعلم له منكر. قلت: رواه البخاري وغيره.

ومن ذلك اعتراف أبي بكر على المنبر، وقوله: وليتكم ولست بخيركم.

قال الأمير الناصر للحق الحسين بن بدر الدين عليه السلام في الينابيع. وذكر الأدلة: ومنها: إجماع الصحابة فإن أبا بكر قال على المنبر: وليتكم ولست بخيركم؛ ولم ينكر عليه منكر.

قلت: وقد استدل بذلك صاحب المحيط بالإمامة، والإمام المنصور بالله عليه السلام، وغيرهما؛ وفيه أبلغ الرد على المخالفين، من قول من يدعون له الأفضلية، وتأويلهم بأن ذلك من باب هضم النفس غير صحيح؛ لأن المقام لا يحتمله، ولأنه لا يسوغ الهضم إلا بالمعاريض، لا بالكذب الصريح.

واعتراف أبي بكر وعمر لسيدهما سيد المسلمين، خير البرية، وخير البشر. على لسان أخيه. ومن أبى فقد كفر، كما تواتر به الخبر، معلوم بين الأمة لا ينكر، في مقامات لا تعد ولا تحصر؛ ومما تواتر: لولا علي لهلك عمر.

ولم يكن في حسابها أنه سيأتي من بعدهما من يدعي لهما الفضل والحق، على أولي الفضل والسبق، أهل بيت النبوة سادات الخلق.

وإقرار الشيخين، وسائر أزواج رسول الله - ﷺ - وصحابته، ورواياتهم في أمير المؤمنين، ونفس الرسول الأمين، خصوصاً، وفي سائر أهل بيت النبوة الطيبين عموماً، بما يصرح أنه لا يوازهم ولا يدانيهم أحد من المخلوقين، بعد النبيين. صلى الله عليهم أجمعين. أكثر من أن تحصر، وأشهر من أن تذكر، مما اتفقت على روايته الأمة المحمدية، انتهى

أقول والأدلة الدالة على إمامة أمير المؤمنين علي عليه السلام أكثر من أن تحصر في كتاب ولا سبيل إلى الإتيان ببعضها في هذا المختصر فضلاً عن جميعها ومن أراد ذلك فعليه بكتاب لواضع الأنوار وغير ذلك من كتب الشيعة والسنة

نعم قد بينا ما ذهب إليه أهل الغلو من الشيعة وأهل النصب من أهل السنة في مسألة المتقدمين على علي عليه السلام فلننظر أيها الإخوة إلى منهج الزيدية في هذه المسألة فإنهم قد دانوا بمقتضى الأدلة الدالة على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام والتزموا منهجاً في التعامل مع الصحابة المتقدمين عليه فإنه عليه السلام لم يصدر منه نحوه لا لعن ولا سب ولا غير ذلك من الأحكام المغلظة بل كان يتجرم منهم ويشكي فقط كقوله (أَمَّا وَاللَّهِ لَقَدْ تَقَمَّصَهَا ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ وَإِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مُحَلِّيَّ مِنْهَا مُحَلُّ الْقُطْبِ مِنَ الرَّحَى يَنْحَدِرُ عَنِّي السَّيْلُ وَلَا يَرْقَى إِلَيَّ الطَّيْرُ فَسَدَلْتُ دُونَهَا ثَوْباً وَطَوَيْتُ عَنْهَا كَشْحاً وَطَفِقْتُ أَرْتِي بَيْنَ أَنْ أَصُولَ بِيَدٍ جَذَاءً أَوْ أَصْبِرَ عَلَى طَخِيَةِ عَمِيَاءَ يَهْرُمُ فِيهَا الْكَبِيرُ وَيَشِيبُ فِيهَا الصَّغِيرُ وَيَكْدَحُ فِيهَا مُؤْمِنٌ حَتَّى يَلْقَى رَبَّهُ).

فَرَأَيْتُ أَنَّ الصَّبَرَ عَلَى هَاتَا أَحَجَى فَصَبَرْتُ وَفِي الْعَيْنِ قَدَى وَفِي الْحَلْقِ شَجَا... إلخ).
 وقوله عليه السلام: (وَقَدْ قَالَ قَائِلٌ إِنَّكَ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ يَا ابْنَ أَبِي طَالِبٍ حَرِيصٌ فَقُلْتُ بَلْ
 أَنْتُمْ وَاللَّهِ لَا حَرَصٌ وَأَبْعَدُ وَأَنَا أَحْصُ وَأَقْرُبُ وَإِنَّمَا طَلَبْتُ حَقَّي وَأَنْتُمْ تَحُولُونَ بَيْنِي
 وَبَيْنَهُ وَتَضْرِبُونَ وَجْهِي دُونَهُ فَلَمَّا قَرَعْتُهُ بِالْحُجَّةِ فِي الْمَلَأِ الْحَاضِرِينَ هَبَّ كَأَنَّهُ بَهَتْ لَا
 يَدْرِي مَا يُجِيبُنِي بِهِ. وقوله عليه السلام: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَعِيدُكَ عَلَى قُرَيْشٍ وَمَنْ أَعَانَهُمْ فَإِنَّهُمْ
 قَطَعُوا رَحْمِي وَصَغَّرُوا عَظِيمَ مَنَزَلَتِي وَأَجْمَعُوا عَلَى مَنَازَعَتِي أَمْرًا هَوِي لِي ثُمَّ قَالُوا أَلَا إِنَّ فِي
 الْحَقِّ أَنْ تَأْخُذَهُ وَفِي الْحَقِّ أَنْ تَتْرُكَهُ).

وقوله عليه السلام لما عزموا على بيعه عثمان :

(لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي أَحَقُّ النَّاسِ بِهَا مِنْ غَيْرِي وَوَاللَّهِ لَا سُلْمَنَ مَا سَلِمَتْ أُمُورُ الْمُسْلِمِينَ
 وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا جَوْرٌ إِلَّا عَلَيَّ خَاصَّةً) إلى غير ذلك من كلماته عليه السلام.

وقد انتهج أئمة الزيدية نهجه عليه السلام فلم يصدر منهم إلا التجرم والشكوى لا غير
 كما هو معلوم لمن اطلع على كلامهم والأمر في ذلك كما قال الإمام زيد بن علي عليه السلام
 فيما رواه عنه العلامة محمد بن جرير الطبري في جوابه لمن سأله عن أبي بكر وعمر
 حيث قال مالفته (إن أشد ما أقول فيما ذكرت من إنا كنا أحق بسلطان رسول الله ﷺ من
 الناس أجمعين، وأن القوم استأثروا علينا ودفَعونا عنه، ولم يبلغ ذلك عندنا بهم كفراً قد
 ولوا فعدلوا في الناس وعملوا بالكتاب والسنة، قالوا: فلم يظلمك هؤلاء إذا كان
 أولئك لم يظلموك فلم تدعو إلى قتال قوم ليسوا بظالمين، فقال: إن هؤلاء ليسوا
 كأولئك إن هؤلاء ظالمون لي ولكم ولأنفسهم، وإنما ندعوكم إلى كتاب الله وسنة
 نبيه ﷺ، وإلى السنن أن تحيا وإلى البدع أن تطفأ، فإن أنتم أحبتمونا سعدتم، وإن أنتم
 أبيتم فليست عليكم بوكيل) انتهى ص ٢٧٢ من الجزء الثامن من تاريخ الأمم والملوك.
 وفي إحدى الطبعات ص ٥١.

فهذا قوله وقول غيره من أئمة الهدى ومصابيح الدجى من عترة المصطفى قال الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة عليه السلام في جوابه لمن سألته عن الصحابة ما لفظه: (إن الصحابة عندنا أفضل الأمة بعد الأئمة عليهم السلام قبل أحداثهم وبعد الأحداث، لنا أئمة نرجع إليهم في أمور ديننا، ونقدم حيث أقدموا، ونحجم حيث أحجموا، وهم علي وولده عليهم أفضل السلام والحادث عليهم عصيانهم ولم نعلم من أحد منهم أنه سبَّ أحدًا من الصحابة ولا لعنه ولا شتمه، لا في مدة حياتهم، ولا بعد وفاتهم، فالذي تقرر عندنا أن علياً عليه السلام أفضل الأمة بعد رسول الله ﷺ وولديه أفضلهم بعد علي عليه السلام لما ظهر فيهم من الأدلة عن الله سبحانه وعن رسوله ﷺ والمتقدم عليهم من أبي بكر وعمر وعثمان نقول بتخطئتهم ومعصيتهم لترك الاستدلال على علي عليه السلام بالنصوص الواردة عن الله سبحانه وعن رسوله ﷺ في إمامته.) وساق عليه السلام إلى أن قال: (وعلي عليه السلام وولده هم القدوة فلا نتجاوز ما بلغوه في أمر القوم، وهو نعي أفعالهم عليهم، وإعلامهم لهم أنهم أولى بالأمر منهم، ولم يظهروا لنا أحكام أولئك النفر الذين خالفوهم ولا باينوهم مباينة الفاسقين في عصرهم.) انتهى من المجموع المنصوري القسم الثاني ص ٣٨١.

أقول وحاصل ما ذكره هو وجوب التوقف في أمرهم وعدم الحكم عليهم بأي الأحكام بل نكل أمرهم إلى الله تعالى في ذلك ومعنى كلامه هو أنه لا ينبغي أن نحكم عليهم بالكفر والفسق الذين ينتج عنهما الذم والسب واللعن بسبب معصيتهم كما ذهب إليه أهل الغلو من الشيعة ولا ينبغي أن نحكم لهم بالإيمان والتقوى وكأنهم لم يفعلوا أي شيء ولم يخالفوا أي دليل كما يقوله أهل النصب من أهل السنة بل ينبغي أمر بين الأمرين وهو أن نتوقف في أمرهم ولا نحكم عليهم بأي حكم من تلك الأحكام ونكل أمرهم إلى الله والله بصير بالعباد ونتأسى في ذلك بأمير المؤمنين علي عليه السلام فإنه لم يحكم عليهم بأي حكم من تلك الأحكام فهذا هو معنى كلامه وهو قول جمهور الزيدية كما يعلمه المطلع على أقوالهم.

فانظر أيها المنصف إلى قولهم هذا أليس هو أوسط الأقوال قولاً وأعد لها حكماً فلقد صدق عليهم قول جدهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام (نحن النمرقة الوسطى إلينا يرجع الغالي وبنا يلحق التالي) ولذا يقال بأن الزيدية سنة الشيعة وشيعة السنة فإن قال قائل إذا كان الإمام علي هو الإمام بعد رسول الله ﷺ فلماذا لم يقاتل من تقدمه من الصحابة وهم أبو بكر وعمر وعثمان

فأقول وبالله التوفيق: بأنه عليه السلام قد كان ينظر لمصلحة الدين والإسلام في كل أموره فرأى أن ترك المنازعة في تلك الحال هو الأصلح كما بين ذلك الإمام مجد الدين عليه السلام في كتابه لوا مع الأنوار قال عليه السلام (وسببها عند آل محمد عليهم السلام، (أي ترك المنازعة) ومن اتبعهم إشفاقه من انتشار حبل الإسلام، واختلال أمر الملة، وذهاب الدين الحنيف لغلبة الردة؛ كما قال عليه السلام: إنه لما قبض رسول الله ﷺ قلنا: نحن أهله وعصبته وذريته، وأحق خلق الله به، لا ننازع سلطانه ولا حقه؛ وإنما لكذلك إذ انبرى لنا قوم نزعوا سلطان نبينا منا، وولوه غيرنا؛ وأيم الله، لولا مخافة فرقة المسلمين، وأن يعود الكفر الثاني، ويبور الدين، لغيرنا ما استطعنا... إلى آخر الكلام المروي في الشافي.

ورواه المدائني عن عبدالله بن جنادة في خطبة علي عليه السلام بلفظه: وأيم الله، لولا مخافة الفرقة بين المسلمين، وأن يعود الكفر ويبور الدين، لكنا على غير ما كنا لهم عليه... إلى آخر الخطبة المروية في شرح النهج.

وفيها: لما قبض رسول الله ﷺ، قلنا: نحن أهله وورثته وعترته، وأولياؤه دون الناس... إلخ.

وهذا الكلام قاله عليه السلام قبل توجهه إلى البصرة للحاق طلحة والزبير بيوم؛ أفاده في الشافي.

قال ابن عبد البر في الاستيعاب: ذكر عمر بن شبة، عن المدائني، عن أبي مخنف، عن

جابر، عن الشعبي، قال: لما خرج طلحة، والزبير.

.. إلى قوله: فقال .أي علي عليه السلام :. العجب لطلحة والزبير؛ إن الله . عز وجل . لما قبض رسوله ﷺ، قلنا: نحن أهله وأولياؤه، لا ينازعنا سلطانه أحد، فأبى علينا قومنا فولوا غيرنا؛ وأيم الله، لولا مخافة الفرقة، وأن يعود الكفر، ويبور الدين، لغيرنا؛ فصبرنا على مضض... إلخ، انتهى.

وقال: لما قبض نبيه استأثرت علينا قريش بالأمر، ودفعتنا عن حق نحن أحق به من الناس كافة؛ فرأيت أن الصبر على ذلك أفضل من تفريق كلمة المسلمين، وسفك دمائهم؛ والناس حديثو عهد بالإسلام.

رواه الكلبي. ولم يزل مع ذلك يقيم الحجة، ويوضح المحجة للأمة على كل حال، وبكل مقال، كما قال الإمام عليه السلام في الشافي، وعلى أنه عليه السلام لم يغفل الكلام، والاحتجاج والتعريف أنه أولى بالإمامة في مقام بعد مقام.... إلى قوله: فما قام عليه السلام مقاماً إلا وذكر أنه أولى بالأمر بعد رسول الله - ﷺ - فأبي بيان أوضح من ذلك لمن كان له رأي رشيد، ونظر سديد؟!

قال عليه السلام: وتلك حال يجب فيها لم الشمل ما أمكن؛ لعظم المصيبة لموت النبي ﷺ، وظهور الردة، ونجوم المنافقين، وخشية اشتقاق العصى بين المسلمين، فلهذا عمل علي عليه السلام بما يسعه العلم والدين، واستبقاء حال الإسلام والمسلمين، ففعل علي عليه السلام في كل وقت من أوقات الخلفاء، ومن بعدهم، ما يقتضيه علمه الثاقب، ورأيه الصائب، واستعمل القول اللين في وقت، ويعرض بالقول الخشن في وقت، وأطلق القول الأخشن في وقت، واستعمل السوط بل السيف في وقت.... إلى قوله: وعلى هذا وقع التخيير لعلي عليه السلام في القيام في أوقات المشايخ وبعدهم كما في الخبر: «إِنْ قُمْتَ فَالْجَنَّةُ، وَإِنْ قَعَدْتَ فَالْجَنَّةُ»، لما كان القيام غير متعين عليه لما سقط من شرائط الوجوب؛ وبعد ذلك عند التمكن وإزاحة العلة، قال ﷺ: «إِنْ قُمْتَ فَالْجَنَّةُ، وَإِنْ قَعَدْتَ فَالْجَنَّةُ».

وأخرج الإمام عليه السلام عن الشيخ الإمام العالم، صاحب المحيط، بسنده إلى أبي رافع في خبر الشورى، قول أمير المؤمنين عليه السلام: أما والله إنكم لتعرفون من أولى الناس بهذا الأمر قديماً وحديثاً، وما منكم أحد إلا وقد سمع من رسول الله ﷺ ووعى ما وعيته.

وأقواله عليه السلام في هذا المعنى أكثر من أن تحصر، والأمر كما قال في الفرائد: كل من يتصف بأدنى ذرة من إنصاف أو دين يعلم أن أقل قليل مما وقع منهم في جانبه يكفي في وضوح عذره؛ على أنه عليه السلام قد أبان عذره في كل مقام، وتكلم بما يليق بالدين والعلم، ثم نجم النفاق، وأحاطت الردة، واشتعلت نارها، فلم يسعه إلا صيانة الإسلام.

صان الوصي بها الإسلام إذ بقيت أعلام شرع يراعيها مراعيه
إلخ... انتهى ص ٥٩٢ الجزء الثاني.

٣- المسألة الثالثة

مسألة التشيع : التشيع معناه لغة هو المحبة للرجل واتباعه قال الله تعالى (وإن من شيعته لإبراهيم) أي من محبيه واتباعه وفي الاصطلاح هو المحبة للإمام علي عليه السلام فشيعة علي هم أحبابه وأتباعه

قال ابن الأثير في النهاية ما لفظه: (وقد غلب هذا الاسم على كل من يتولى علياً . رضي الله عنه .، وأهل بيته، حتى صار لهم اسماً خاصاً؛ قال: وأصلها من المشايعة، وهي المتابعة والمطاوعة) انتهى نقلاً من اللوامع ص ٥٠٠.

فالتشيع عند الزيدية هو أصل لقبول الأعمال الصالحة لقول النبي ﷺ (لا يجبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق) ولقوله ﷺ لكل شيء أساس وأساس الإسلام حبنا أهل البيت).

ولكن المحبة عند الزيدية لا تكفي مجردة عن الأعمال بل لا بد معها من الأعمال الصالحة.

وذهب أهل الغلو من الشيعة إلى أن المحبة لأمر المؤمنين علي عليه السلام كافية وإن لم تصحبها الأعمال وهذا ما عبر عنه قائلهم.

سودت صحيفة أعالي ووكلت الأمر إلى حيدر

وذهب أهل النصب من أهل السنة إلى أن التشيع خطيئة تُجرح بها العدالة مع رواية علماء السنة وغيرهم للأحاديث التي تمدح التشيع قال في لوامع الأنوار مالفظه (وأخرج ابن عساكر، عن جابر بن عبد الله، كنا عند النبي صلى الله عليه وآله، فأقبل علي عليه السلام فقال: «والذي نفسي بيده إن هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة» انتهى ص ٢٦٩ وقال في ص ١٢٩ مالفظه (وعن أبي برزة الأسلمي في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٧])، قال النبي صلى الله عليه وآله - : «هم أنت يا علي وشيعتك»، ورواه فرات الكوفي عن الباقر من ثلاث طرق، وفي واحدة بزيادة: «راضين مرضيين»، ورواه عن ابن عباس بزيادة: «وتأتي أنت وشيعتك راضين مرضيين ويأتي عدوك غضاباً مقمحين».

قال: ورواه الفضل بن شاذان المقرئ. أي بسند متصل برجال سند الحاكم، ورواه عن أبي بريدة. انتهى

وروى ابن حجر الهيثمي عن علي عليه السلام قال: (إن خليلي محمداً صلى الله عليه وآله قال: «إنك ستقدم على الله. تعالى. وشيعتك راضين مرضيين، ويقدم عليه عدوك غضاباً مقمحين» ثم جمع على يده يريهم الإقحاح) إلى غير ذلك من الأحاديث.

هذا والمعلوم عند جميع الأمة أن النصب هو البغض للإمام علي عليه السلام. قال ابن حجر العسقلاني في تحديده (والنصب بغض علي وتقديم غيره عليه) انتهى

فانظر أيها المطلع إلى تلك الروايات التي تمدح التشيع ثم انظر إلى كتب النواصب التي جرحوا فيها عدداً كثيراً من الشيعة من أجل التشيع ووثقوا فيها كثيراً من النواصب.

وقد شهد عليهم الحافظ ابن حجر في مقدمة فتح الباري (بتوثيقهم الناصبي غالباً وتوهينهم الشيعي مطلقاً) انتهى

فقد أصبحت عندهم المحبة لعلي عليه السلام جرحاً والمحبة لعدوه وهو معاوية تعديلاً مع أن العدو للإمام علي عليه السلام هو عدو لرسول الله ﷺ كما وردت به الأحاديث قال في لوامع الأنوار مالفظه (قال الإمام المنصور بالله عليه السلام في الشافي: وقال رسول الله ﷺ في علي والحسن والحسين وفاطمة عليها السلام، رويناه مسنداً في أخبار كثيرة، بألفاظ مختلفة ومتفقة، ترجع إلى معنى واحد: «أنا سلم لمن سالمكم، حرب لمن حاربكم»، وحرب رسول الله ﷺ كافر بإجماع المسلمين، انتهى. قلت: هذا الخبر وهو: «أنا سلم لمن سالمكم، حرب لمن حاربكم» في الأربعة. صلوات الله عليهم، أخرج الإمام المرشد بالله عليه السلام، ومحمد بن سليمان الكوفي بطريقين، والكنجي كذلك، وقال: أخرج الترمذي، والطبراني، وخرجه ابن ديزيل؛ كلهم عن زيد بن أرقم؛ ورواه في الجامع الكافي.

وأخرجه الحاكم الحسكاني عن أبي سعيد الخدري، والطبري في الذخائر عن أم سلمة بلفظ: «أنا حرب لمن حاربهم، سلم لمن سالمهم، عدو لمن عاداهم»، والزرندي عن أم سلمة بلفظ: «أنا حرب لمن حاربكم، سلم لمن سالمكم».

وقال الطبري: أخرج الغساني في معجمه.

وأخرجه الخوارزمي، والسمان عن أبي بكر، والإمام أبو طالب، والمرشد بالله عليه السلام، وابن المغازلي، والثعلبي، والكنجي، وأحمد، والطبراني، والحاكم، وأبو حاتم عن أبي هريرة. انتهى من تخريج الشافي باختصار.

وفي تفريج الكروب: «أنا حرب لمن حاربكم، سلم لمن سالمكم» قاله لعلي وفاطمة والحسن والحسين؛ أخرج أحمد بن حنبل، والطبراني في الكبير، والحاكم في المستدرک عن أبي هريرة، وعن زيد بن أرقم أيضاً، إلا أن لفظ الحاكم: «حاربتم، وسالتم»، انتهى.

وقوله عليه السلام لعلي. صلوات الله عليه. : «أنا حرب لمن حاربت، سلم لمن سالت»،

أخرجه الإمام المرشد بالله عليه السلام، ومحمد بن سليمان الكوفي، وابن المغازلي، وعبد الوهاب الكلابي عن ابن مسعود. رضي الله عنه؛ قال ابن أبي الحديد: ورواه الناس كافة.

وقوله عليه السلام لعلي عليه السلام: «حربك حربي، وسلمك سلمتي» أخرجه نجم آل الرسول القاسم بن إبراهيم، والإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة، من طريق الإمام الناصر الأطروش عليه السلام، ومحمد بن سليمان بطريقين، عن جابر بن عبدالله. رضي الله عنه. والكنجي، والخوارزمي، وابن المغازلي عن علي عليه السلام.

وأبو يعلى الهمداني بإسناده إلى زيد بن علي، عن أبيه، عن جده، عن علي عليه السلام، قال: قال رسول الله ﷺ: «لولا أن تقول فيك طوائف من أمتي»... إلى قوله: «حربك حربي، وسلمك سلمتي».

وابن المغازلي عن ابن عباس. رضي الله عنهما. عنه عليه السلام قال: «يا علي، سلمك سلمتي، وحربك حربي، وأنت العلم ما بيني وبين أمتي من بعدي».

انتهى من التخريج بتصرف.

وأخبار المحاربة بالنص النبوي، مما علم بالتواتر المعنوي؛ كما اعترف بذلك كثير، منهم: المقبل.

قال في أبحاثه المسددة. كما نقله عنه الإمام محمد بن عبدالله الوزير عليه السلام في الفرائد. ما نصّه: «أنا حرب لمن حاربكم، سلم لمن سالمكم» قاله لعلي وفاطمة والحسين. صلوات الله عليهم، خرّجه أحمد، والطبراني، والحاكم؛ وفي معناه عدة أحاديث بعضها يعمهم، وبعضها يخص الحسن والحسين حين يخاطبهما، وفي بعضها يعم أهل بيته في الجملة، وفي بعضها يخص أمير المؤمنين عليه السلام.

ثم قال: مجموعها يفيد التواتر المعنوي، وشواهدا لا تحصى، مثل: أحاديث «ما يلقاه فراخ آل محمد وذريته»، بألفاظ وسياقات يحتمل مجموعها مجلدًا ضخماً؛ فمن كان

قلبه قابلاً، فهو من أوضح الواضحات في كل كتاب، ومن ينبو عنها، فلا معنى لمعاناته بالتطويل) انتهى. ص ٧١٨.

هذا وقد زعم أهل النصب أنهم يتولون علياً ومعاوية معاً ولكني أقول مجيباً عليهم. أولاً: إذا كان الأمر كما زعمتم فلماذا جرحتم من يتولى علياً وعدّلتهم من يتولى معاوية فلو كنتم كما زعمتم لعدّلتهم الطرفين.

ثانياً: الجمع بين محبة الرجل وعدوه غير صحيحة كما قال الشاعر.

إذا صافى صديقك من تعادي فقد عاداك وانقطع الكلام

ثالثاً: الأحاديث التي قدمنا ذكرها قاضية بأن حرب علي حرب رسول الله ﷺ وحرب رسول الله كفر بالإجماع فكيف التولي لرسول الله وحربه فالتولي لعلي ومعاوية والحال كما ذكرنا كالتولي للكافرين والمسلمين وهو لا يجوز بإجماع المسلمين.

رابعاً: قد أجاب أمير المؤمنين علي عليه السلام على من يزعم حبه وحب عدوه بقوله عليه السلام: (نحن النجباء، وأفراطنا أفراط الأنبياء، ونحن حزب الله ورسوله، والفئة الباغية حزب الشيطان؛ فمن أشرك في حبنا عدونا، فليس منا، ولا نحن منه... الخبر؛ رواه محمد بن سليمان الكوفي. وأخرجه أحمد بلفظ: (وحزبنا حزب الله، ومن سوى بيننا وبين عدونا فليس منا)؛ وأخرجه بهذا ابن عساكر).

خامساً: قال الله تعالى ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ... إلخ﴾ [المجادلة: ٢٢] ومعاوية ممن حاد الله ورسوله كما تقدم وكما سيأتي.

سادساً: قال النبي ﷺ (إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه) حديث مشهور رواه الذهبي بعدة طرق وقواه وحديث (اللهم اركسهما في الفتنة ركساً، ودعهما في النار دعاً) (يعني معاوية وعمر بن العاص): أخرجه أحمد في المسند، وأبو يعلى عن أبي

برزة، ورواه محمد بن سليمان الكوفي بسنده إلى أبي برزة الأسلمي. وذكره ابن الأثير في النهاية.)

وكذلك الأحاديث التي وردت بالأمر بقتل الناكثين والقاسطين والمارقين وهي أحاديث متواترة وقد قدمنا ذكر بعضها.

فهل يأمر الله ورسوله بقتل معاوية وهو من المؤمنين المجتهدين كما يزعمه النواصب حاشا الله ورسوله من ذلك بل كيف يصح التولي لمن أمر الله ورسوله بقتله. سابعاً: قد ذكرنا فيما تقدم أن بني أمية هم الشجرة الملعونة في القرآن وخرجنا ذلك من كتب أهل السنة ومعاوية رأس تلك الشجرة وقد وردت أحاديث أخرى فيها لعن معاوية وأبيه وأخيه وحديث (لعن الله السائق والقائد والراكب رواه الهيثم وغيره وذكره في العواصم وقد صح برواية أهل البيت أن علياً كان يلعن معاوية في القنوت).

فإذا كان معاوية ملعوناً بنص كتاب الله وعلى لسان رسول الله ﷺ وعلى لسان وصيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فهل يجوز توليه والحكم له بالإيمان والاجتهاد فلو جاز مثل ذلك لما كان هناك فرق بين موحد وملحد ومؤمن وكافر ومطيع وعاص و... إلخ وبطلان ذلك لا يخفى على أحد.

ثامناً: من المعلوم أن الحق والباطل في صراع مستمر إلى يوم القيامة وقد كان أهل البيت عليهم السلام كالإمام علي والإمام الحسن والإمام الحسين والإمام الحسن بن الحسن والإمام زيد بن علي و... إلخ في صراع مع بني أمية كمعاوية ويزيد ومروان بن الحكم وعبد الملك بن مروان وهشام بن عبد الملك و... إلخ.

فلا يخلو أمرهم في ذلك الصراع من أن يكونوا محقين جميعاً أو يكون منهم طرف على حق والآخر على باطل.

لا يجوز القول بأنهم محقون جميعاً لأن ذلك خلاف ما دلت عليه الأدلة فلم يبق إلا أن يكون طرف منهم على حق والآخر على الباطل وحاشا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة أن يكونوا على باطل لما تقدم ذكره من الأدلة فما بقي إلا أن يكون أهل الباطل هم أعداؤهم من بني أمية وغيرهم فإذا كانوا على باطل لم يجز التولي لهم لأنهم على ضلال كما قال الله تعالى: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصَرِّفُونَ﴾ [يونس: ٣٢] والولاية لأهل الضلال لا تجوز كما قدمنا ذكره أول الكتاب.

هذا وقد صرح ابن تيمية بأن أهل البيت عليهم السلام هم أهل الحق لا أعداؤهم وأنهم أفضل الأمة وأن علياً عليه السلام هو أفضلهم بعد النبي ﷺ كما هو الحق الذي دلت عليه الأدلة ذكر ذلك في كتابه الفتاوي حيث قال في الجزء (٢٧ صفح ٤٧١) من الفتاوى الطبعة الأولى في سياق قصة الحسين عليه السلام ما لفظه:

ووقع القتل حتى أكرم الله الحسين ومن أكرمه من أهل بيته بالشهادة رضي الله عنهم وأرضاهم وأهان بالبغي والظلم والعدوان من أهانه بما انتهكه من حرمتهم واستحلّه من دمائهم ﴿وَمَنْ يُؤْمِنِ اللَّهَ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [الحج: ١٨] وكان ذلك من نعمة الله على الحسين وكرامته له لينال منازل الشهداء حيث لم يجعل له في أول الإسلام من الإبتلاء والامتحان ما جعل لسائر أهل بيته لجدّه ﷺ وأبيه وعمه وعم أبيه رضي الله، عنهم فإن بني هاشم أفضل قريش وقريشاً أفضل العرب والعرب أفضل بني آدم كما صح ذلك عن النبي ﷺ مثل قوله في الحديث الصحيح: «إن الله اصطفى من ولد إبراهيم بني إسماعيل واصطفى كنانة من بني إسماعيل واصطفى قريشاً من كنانة واصطفى بني هاشم من قريش واصطفاني من بني هاشم» وفي صحيح مسلم: أنه قال يوم غدير خم: «أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي» وفي السنن أنه شكى إليه العباس أن بعض قريش يحقرونهم، فقال: «والذي نفسي بيده لا يدخلون الجنة حتى يحبوكم لله ولقرباتي» وإذا كانوا أفضل الخلق فلا ريب أن أعمالهم أفضل الأعمال وكان أفضلهم رسول الله ﷺ الذي

لا عدل له من البشر ففاضلهم أفضل من كل فاضل من سائر قبائل قريش والعرب بل ومن بني إسرائيل وغيرهم، ثم علي وحمة وجعفر وعبيدة بن الحارث هم من السابقين الأولين من المهاجرين فهم أفضل من الطبقة الثانية من سائر القبائل، ولهذا لما كان يوم بدر أمرهم النبي ﷺ بالمبارزة لما برز عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة فقال النبي ﷺ: قم يا حمزة قم يا عبيدة قم يا علي فبرز إلى الثلاثة ثلاثة من بني هاشم، وقد ثبت في الصحيح أن فيهم نزل قوله تعالى: ﴿هَٰذَا خِطْمَانِ اتَخْتَصِمُوا فِي رِجْمِهِمْ..﴾ [الحج: ١٩] الآية، وإن كان في الآية عموم، ولما كان الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة وكانا قد ولدا بعد الهجرة في عز الإسلام ولم ينلهم من الأذى والبلاء مانال سلفهما الطيب فأكرمهما الله بما أكرمهما به من الابتلاء لترفع درجاتهما وذلك من كرامتهما عليه لا من هوانهما عنده كما أكرم حمزة وعلياً وجعفرأ وعمر وعثمان وغيرهم بالشهادة.. إلى قوله: وقد علم الله أن مصيبته تذكر على طول الزمان.. إلى قوله: وطائفة من العلماء يلعنون المعين كيزيد.. إلى قوله: ويزيد بن معاوية قد أتى أموراً منكراً منها وقعة الحرة.. إلى قوله: ولهذا قيل للإمام أحمد أ يكتب الحديث عن يزيد. فقال: لا ولاكرامة أوليس هو الذي فعل بأهل الحرة مافعل. وقيل له: أما تحب يزيد؟ فقال: وهل يحب يزيد أحد يؤمن بالله واليوم الآخر. فقيل: فلماذا لاتلعه؟ فقال: ومتى رأيت أباك يلعن أحداً؟ إلى أن قال ابن تيمية في ذكر يزيد لعنه الله تعالى: لكنه مع ذلك ما انتقم من قاتليه ولاعاقبهم على مافعلوا، إذ كانوا قتلوه لحفظ ملكه الذي كان يخاف عليه من الحسين وأهل البيت رضي الله عنهم.. إلى آخر كلامه.. انتهى نقلاً من مجمع الفوائد ص ٢٩٣.

نعم وأما ما يُقال بأن معاوية له صحبة فلا يسمع فيه قول أحد؟ فأقول بأن الصحبة غير عاصمة له من عذاب الله كما لم تعصم النبوة ابن نوح (عليه السلام) من عذاب الله مع كونه من صلبه فالصحبة فضيلة لمن استقام على الإيمان فأما من نكث فإنما ينكث على نفسه كما أخبر الله وقد وردت أحاديث كثيرة عن النبي ﷺ في الصحابة أنهم يجلؤون عن الحوض وأنه لا ينجوا منهم إلا كهمل النعم كما روى ذلك علماء السنة منهم البخاري

وقد قال تعالى ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النَّقَايِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ [التوبة: ١٠١] وقال تعالى في الصحابة ﴿مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ [آل عمران: ١٥٢] والواقع أنه لا ينفع الإنسان إلا عمله كما قال تعالى ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ [النجم: ٣٩] سواء كان صحابياً أو غيره إلا أن للصحابي فضيلة الصحبة إذا استقام على الدين فأما من يفعل الجرائم فلا كرامة له عند الله إطلاقاً لأنه لا هوادة بين الله وبين أحد من خلقه قال العلامة سعد الدين التفتازاني في شرح المقاصد ما لفظه: (وما وقع من الصحابة من المشاجرات على الوجه المسطور في كتب التواريخ، والمذكور على ألسنة الثقات، يدل بظاهره على أن بعضهم قد حاد عن طريق الحق، وبلغ حد الظلم والفسق، وكان الباعث له الحقد والفساد، واللدود والعناد، وطلب الملك والرئاسة، والميل إلى اللذات والشهوات؛ إذ ليس كل صحابي معصوماً، ولا كل من لقي النبي ﷺ بالخير موسوماً.... إلى قوله: وأما ما جرى بعدهم من الظلم على أهل البيت عليه السلام فمن الظهور بحيث لا مجال للإخفاء، ومن الشناعة بحيث لا اشتباه على الآراء، يكاد يشهد له الجهاد والعجاء، وتبكي له الأرض والسماء، وتنهد منه الجبال، وتنشق منه الصخور، ويبقى سوء عمله على كثر الشهور، ومرّ الدهور؛ فلعنة الله على من باشر أو رضي أو سعى، ولعذاب الآخرة أشد وأبقى.) انتهى نقلاً من اللوامع ص ٦٥

تاسعاً: لا يخفى على أحد من أهل العلم ما وقع على أهل البيت من الظلم والأذى من معاوية وسائر بني أمية كما ذكر ذلك علماء الأمة في كتبهم وقد وردت أحاديث من كتب أهل السنة وغيرهم فيها تحريم الجنة والوعيد بالنار لمن آذى أهل البيت عليه السلام.

قال الإمام الحجة مجد الدين المؤيدي عليه السلام في لوامع الأنوار ما لفظه (وقال النبي ﷺ: «اشتد غضب الله وغضب رسوله على من أهرق دم ذريتي، أو آذاني في عترتي»، أخرجه الإمام علي الرضا بسند آبائه عليه السلام).

وأخرج ابن المغازلي بلفظ: «اشتد غضب الله وغضبي على من اهراق دمي، أو آذاني في عترتي».

وأخرجه ابن النجار عن أبي سعيد، بلفظ: «والله اشتد غضبه على من أراق دمي، أو أذاني في عترتي»، وأخرجه الديلمي عن أبي سعيد، بلفظ: «اشتد غضب الله على من أذاني في عترتي».

وأخرجه البزار عن ابن عمر؛ ذكره السيوطي في الجامع الصغير.

وأخرج الجعابي من الطالبين: «من آذى عترتي فعليه لعنة الله»، وأخرج أيضاً: «من سبَّ أهل بيتي، فإنما يريد الله والإسلام».

وروى الأصمغ بن نباتة، عن علي عليه السلام مرفوعاً: «من أذاني في أهل بيتي، فقد آذى الله، ومن أعان على أذاهم وركن إلى أعدائهم، فقد آذن بحرب من الله؛ ولا نصيب لهم في شفاعتي».

وقد سبق في سند البساط ما أخرجه الناصر للحق بسنده إلى الباقر عليه السلام، قال: حدَّثنا جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: «أيها الناس، من أبغضنا. أهل البيت. بعثه الله يوم القيامة يهودياً». قال: قلت: يا رسول الله، وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم؟ قال: «وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم».

وأخرجه الطبراني والعقيلي عن جابر بلفظ: «من أبغضنا. أهل البيت. حشره الله يوم القيامة يهودياً، وإن شهد أن لا إله إلا الله».

وفي مناقب ابن المغازلي بسنده إلى معاوية بن حيدة القشيري، قال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: «يا علي، لا تبالي، من مات وهو ييغضك مات يهودياً أو نصرانياً... الخبر».

وقال . كثر الله فوائده . في تخريج الشافي: قال عليه السلام: «من آذى علياً فقد آذاني»، أخرجه أحمد، عن عمرو بن شاس الأسلمي، ورواه عنه ابن عبد البر في الاستيعاب، ورواه أبو يعلى، والبزار، وأحمد، والخوارزمي عن سعد بن أبي وقاص، وأخرجه الحاكم، وقال: صحيح.

ورواه الخوارزمي أيضاً عن عبدالله بن دينار الأسلمي، وابن المغازلي عن ابن عباس، وفيه: «يا أيها الناس، من آذى علياً حشره الله يوم القيامة يهودياً أو نصرانياً».

قلت: وصدره: «يا أيها الناس، من آذى علياً فقد آذاني؛ إن علياً أولكم إيماناً، وأوفاكم بعهد الله، يا أيها الناس من آذى علياً بُعث يوم القيامة... الخبر».

قال: وأخرج هذا الخبر أحمد في مسنده من عدة طرق بلفظ: «بعث يوم القيامة... إلخ»، وكذا هو بلفظ: «بعث يوم القيامة» في مناقب ابن المغازلي.

وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾ [الأحزاب: ٥٧].

وأخرج الكنجي عن مصعب بن سعد بن مالك، عن أبيه سعد، قال: قال رسول الله ﷺ: «من آذى علياً فقد آذاني».

وأخرجه الحاكم عن عمرو بن شاس الأسلمي، وصححه هو والذهبي؛ ورواه محمد بن سليمان الكوفي بسنده عن عمرو بن شاس، وأخرجه البخاري في التاريخ.

وأخرجه أبو عمر النمري بزيادة: «ومن آذاني فقد آذى الله» عن عمرو بن شاس.

ومن حديث رواه الحاكم أبو القاسم عن علي، عنه ﷺ: «من آذى شعرة منك، فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله فعليه لعنة الله».

وروى أيضاً عن أم سلمة عنه ﷺ، قال لعلي: «من آذاك فقد آذاني»، [انتهى] من شواهد.

وحديث: «فعليه لعنة الله» رواه الحاكم في تنبيه الغافلين، والزرندي في الدرر عن زيد بن علي، عن آبائه، عن علي بلفظ: «لعنة الله وملائكته ملائ السماء، وملا الأرض» انتهى.

وقوله ﷺ: «من سبَّك. يا علي. فقد سبَّني، ومن سبَّني فقد سبَّ الله، ومن سبَّ الله

أدخله النار»، أخرجه في الشافي عن الإمام المرشد بالله يبلغ به ابن عباس.

قال أيده الله تعالى: وأخرج هذا الحديث محمد بن يوسف الكنجي. رحمه الله. بسنده إلى ابن عباس.

وقال عليه السلام: «من سبّ علياً فقد سبني»، أخرجه النسائي عن أم سلمة، وأخرجه الحاكم وصححه هو والذهبي، وأخرجه أحمد عن ابن عباس، وعن أم سلمة؛ وأبو عبدالله الخلاجي عن ابن عباس. انتهى من الاعتصام.

وأخرجه الطبراني عن علي عليه السلام، وابن المغازلي بسنده إلى علي بن عبدالله بن عباس؛ وذكره المسعودي.

وأخرج أحمد في المناقب، وابن عدي، والديلمي عن أبي سعيد الخدري، عنه عليه السلام أنه قال: «من أبغض أهل البيت فهو منافق».

وفي الخبر السابق من أمالي المرشد بالله، بسنده إلى الصادق، مرفوعاً: «ومن أتاني ببغضهم أنزلته مع أهل النفاق».

وروى ابن المغازلي، من طريق الإمام علي الرضا، قال رسول الله عليه السلام: «ويل لظالمي أهل بيتي؛ عذابهم مع المنافقين في الدرك الأسفل من النار».

وروى أيضاً بسنده إلى زر بن حبیش، عن علي عليه السلام، أنه قال: قال النبي عليه السلام: «إنا أهل بيت لا يحبنا إلا مؤمن تقي، ولا يبغضنا إلا منافق رديء».

وأخرج الملا أنه عليه السلام قال: «لا يحبنا. أهل البيت. إلا مؤمن تقي، ولا يبغضنا إلا منافق شقي». وأخرجه المحب الطبري عن علي عليه السلام.

وأخرج الملا في سيرته، وابن سعد: أنه عليه السلام - قال: «استوصوا بأهل بيتي، فإني مخاصمكم عنهم غداً، ومن أكن خصمه أخصمه، ومن أخصمه دخل النار».

وأنه عليه السلام قال: «من حفظني في أهل بيتي، فقد اتخذ عند الله عهداً».

وأخرج ابن المغازلي، عن أبي سعيد الخدري، قال: صعد رسول الله عليه السلام المنبر، فقال: «والذي نفسي بيده، لا يبغض أهل البيت أحد إلا كبّه الله في النار».

وأخرجه بلفظ: «إلا أدخله الله النار» الحاكم في المستدرک، والذهبي في التلخيص وقال: على شرط مسلم، وابن حبان وصححه.

وقوله عليه السلام: «فلو أن رجلاً صفن بين الركن والمقام، فصلّى وصام، ثم لقي الله وهو مبغض لأهل بيت محمد دخل النار» أخرجه الحاكم في المستدرک، والذهبي عن ابن عباس. رضي الله عنهما. وقال: على شرط مسلم.

وأخرج الطبراني عن ابن عمر: «ألا أرضيك يا علي؛ أنت أخي ووزير، تقضي ديني، وتنجز موعدي، وتبريء ذمتي؛ فمن أحبك في حياة مني، فقد قضى نحبه؛ ومن أحبك في حياة منك بعدي، فقد ختم الله له بالأمن والإيمان؛ ومن أحبك بعدي ولم يرك ختم الله له بالأمن والإيمان، وأمنه يوم الفزع؛ ومن مات وهو يبغضك يا علي مات ميتة جاهلية، يحاسبه الله بما عمل في الإسلام»، وقد مرّ.

وأورده ابن الإمام في شرح الغاية، قال فيها: وعن علي عليه السلام، قال: طلبني رسول الله.. إلى قوله: فقال: «قم، والله لأرضينك؛ أنت أخي وأبو ولدي، تقاتل على سستي، وتبريء ذمتي؛ من مات في عهدي، فهو في كنز الله؛ ومن مات في عهدك، فقد قضى نحبه؛ ومن مات يحبك بعد موتك، فقد ختم الله له بالأمن والإيمان ما طلعت شمس أو غربت... الخبر».

قال: أخرجه أبو يعلى، وقال البوصيري: رواه ثقات، انتهى.

وهو في جواهر العقدين إلى قوله: «ما طلعت شمس وما غربت». قال المحب الطبري: أخرجه أحمد في المناقب. قال صاحب الجواهر: وقد أخرجه أبو يعلى بنحوه.

انتهى المراد إirاده.

وقد سبق من طرق الجميع ما فيه كفاية، وإن كان لا ينتهى في هذا إلى غاية) انتهى ص ٦٨٢ وغير ذلك من الأخبار. فكيف يجوز التولي لأعداء أهل البيت مع ما ورد فيهم. عاشراً: هناك مثالب وسيئات لمعاوية كثيرة فلو لم يكن شيء مما ذكرنا سابقاً لكانت كفيلة بعدم جواز التولي له مع حصولها منه.

قال الحسن بن أبي الحسن البصري (أربع خصال في معاوية لو لم يكن فيه إلا واحدة منهن كانت موبقة خروجه على هذه الأمة بالسفهاء حتى ابتزها أمرها بغير مشورة وفيهم بقايا الصحابة واستخلافه يزيد وهو سكير خمر يلبس الحرير ويضرب بالطناوير وادعاؤه زياداً وقد قال النبي ﷺ للعاهر الحجر وقتله حجر بن عدي فياله من حجر وأصحاب حجر) وغير ذلك من سيئاته فهي كثيرة وهي موجودة في كتب السنة وغيرهم.

هذا وقد طال الكلام في هذا الفصل وهو خارج عن موضوع كتابنا هذا وإنما عرض ذكره ولا يخلو من فوائد نافعة إن شاء الله تعالى.

بهذا القدر نكون قد انتهينا من القسم الأول من كتابنا هذا والله ولي التوفيق. ونعود إلى ما نحن بصددده وقد بينّا أن أمر ولاية الأمة في أهل بيت نبينا ﷺ وسوف نذكر في القسم الثاني من الذي تجب طاعته منهم وما يتعلق بذلك.

القسم الثاني

قد ذكرنا أيها الإخوة في القسم الأول أن أهل البيت عليهم السلام هم القادة والأئمة لجميع المسلمين وسنذكر في هذا القسم وما بعده من الأقسام أمر الإمامة وأمر الإمام الواجبة طاعته وما يتعلق بهما من المباحث وسنستدل على ما نذكره في ذلك بكلام أئمة أهل البيت وعلمائهم إذ هم حجج الله على كافة الإنس والجان كما ذكرنا في القسم الأول وكما قال فيهم أمير المؤمنين علي عليه السلام: (وَإِنَّمَا الْأَئِمَّةُ قُؤَامُ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ وَعُرْفَاؤُهُ عَلَى عِبَادِهِ وَلَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ عَرَفَهُمْ وَعَرَفُوهُ وَلَا يَدْخُلُ النَّارَ إِلَّا مَنْ أَنْكَرَهُمْ وَأَنْكَرُوهُ). انتهى من النهج.

فأقول وبالله أصول:

فصل

في الإمامة وضرورتها ووجوب القيام بها

الإمامة من أعظم الفروض وأخطرها وهي ثانية النبوة في الوجه الذي وجبت له قال الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام (إن أفرض الفرائض وأوكدها فرضاً الإمامة لأن جميع الفرائض لا تقوم إلا بها إلخ كلامه) انتهى من مجموعه.

وقال الحسن بن يحيى بن الحسين بن زيد عليه السلام ما لفظه: (وليس في الفرائض فريضة أكبر قدراً، ولا أعظم خطراً، من الإمام الذي يقوم مقام نبيه، وقد بين ذلك في محكم كتابه، وسنة نبيه عليه السلام، فجعل الله تعالى الإمامة، في أهل بيت الصفوة والطهارة، والهدى والتقوى، من ذرية إبراهيم، وذرية محمد عليه السلام، ولا تصلح في غيرهم) انتهى ص ٥٤٥ من لوازم الانوار.

وقال الإمام محمد بن القاسم الحوثي عليه السلام: (اعلم أن الإمامة الشرعية خلف النبوة، في الوجه الذي وجبت لأجله، وهي مسألة عظيمة الشأن، ساطعة البرهان، من أصول المسائل، المبتنى عليها كثير من الشرعيات والوسائل) انتهى من التحف ص ٣٧٣

وكل عاقل يدرك ذلك ويعلم أن بها صلاح الدين والدنيا وأن فوائدها ومنافعها لاتحصى قال: (السيد العلامة محمد بن عبد الله عوض حفظه الله) في ثمار العلم والحكمة ما لفظه: (أن الخلافة والإمامة تقام بها شعائر الإسلام من الصلوات والزكاة والحج والصيام ويقام بها الجهاد والحدود والقصاص ودفع الظالم والإنصاف وتأمين الطرق ودفع المفسدين وبها يجمع الفيء والصدقات ثم التوزيع على المستحقين وبها يحيا العلم وتقام أحكام الكتاب والسنة ويحكم بين الناس بالقسط وترفع كلمة الله ويعز أولياء الله... إلخ ما يترتب عليها من المصالح العظيمة العامة والخاصة للمسلمين الدينية والدنيوية وهذا معنى الأصل بل لا معنى للأصل إلا ذلك أو ما كان كذلك) انتهى.

أقول انظر إلى قوله (وبها يحيا العلم) فقد صرح حفظه الله بأن بالإمامة يحيا العلم وذلك أمر مقطوع بصحته عقلاً.

وبه يُعلم عدم صحة قول من يعارض الداعي إلى الجهاد متذرعاً بأن القيام بالجهاد سوف يعرقل سير التعليم والإرشاد خصوصاً عند تهوؤ الظروف كضعف شوكة الظالمين ووجود الأعوان من المؤمنين والعبدة في توقيت ذلك هو بدعوة الداعي الكامل في الشروط كما سيأتي

فالإمامة أيها الإخوة هي أعظم أمر يحتاجه الناس لتنظيم حياتهم في هذه الدنيا وهي واجبة عقلاً وشرعاً قال الإمام علي عليه السلام عندما سمع قول الخوارج لا حكم إلا لله (نَعَمْ إِنَّهُ لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ وَلَكِنَّ هَؤُلَاءِ يَقُولُونَ لَا إِمْرَةَ إِلَّا لِلَّهِ وَإِنَّهُ لَا بُدَّ لِلنَّاسِ مِنْ أَمِيرٍ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ يَعْمَلُ فِي إِمْرَتِهِ الْمُؤْمِنُ وَيَسْتَمْتِعُ فِيهَا الْكَافِرُ^(١) وَيُبْلَغُ اللَّهُ فِيهَا الْأَجَلَ وَيُجْمَعُ

(١) قال ابن أبي الحديد: وسيمتع بها الكافر: أي يتمتع بمدته كما قال سبحانه للكافرين: ﴿قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِن مَصِيرُكُمْ إِلَى النَّارِ﴾ اهـ.

ويجتملك الكلام أن يكون فيه لف ونشر فيكون المعنى على النحو التالي: يتمكن المؤمن من العمل بما عليه إيمانه في

بِهِ الْفَيْءُ وَيُقَاتِلُ بِهِ الْعَدُوَّ وَتَأْمَنُ بِهِ السُّبُلُ وَيُؤْخَذُ بِهِ لِلضَّعِيفِ مِنَ الْقَوِيِّ حَتَّى يَسْتَرِيحَ
بُرٌّ وَيُسْتَرَاخَ مِنْ فَاجِرٍ) انتهى من نهج البلاغة.

وقال ولد ولده إمام العابدين وسيد الساجدين علي بن الحسين عليه السلام في الصحيفة
السجادية: (اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَيَّدْتَ دِينَكَ فِي كُلِّ أَوَانٍ بِإِمَامٍ أَقَمْتَهُ عِلْماً لِعِبَادِكَ وَمَنَاراً فِي
بِلَادِكَ، بَعْدَ أَنْ وَصَلْتَ حَبْلَهُ بِحَبْلِكَ، وَجَعَلْتَهُ الذَّرِيعَةَ إِلَى رِضْوَانِكَ، وَافْتَرَضْتَ
طَاعَتَهُ، وَحَذَرْتَ مَعْصِيَتَهُ، وَأَمَرْتَ بِامْتِثَالِ أَمْرِهِ وَالانْتِهَاءِ عِنْدَ نَهْيِهِ، وَالْأَيَّامُ تُتَقَدَّمُ
وَلَا يَتَأَخَّرُ عَنْهُ مُتَأَخِّرٌ، فَهُوَ عِصْمَةُ اللَّائِذِينَ، وَكَهْفُ الْمُؤْمِنِينَ، وَعُرْوَةُ الْمُتَمَسِّكِينَ،
وَبَهَاءُ الْعَالَمِينَ. اللَّهُمَّ فَأَوْزِعْ لَوْلِيكَ شُكْرَ مَا أَنْعَمْتَ بِهِ عَلَيْهِ، وَأَوْزِعْنَا مِثْلَهُ فِيهِ، وَآتِهِ مِنْ
لَدُنْكَ سُلْطَاناً نَصِيراً، وَافْتَحْ لَهُ فَتْحاً يَسِيراً، وَأَعِزَّهُ بِرُكْنِكَ الْإِعْزَّ، وَاشْدُدْ أَرْزُهُ، وَقَوِّ
عِصْدَهُ، وَرَاعِهِ بِعَيْنِكَ، وَاحْمِهِ بِحِفْظِكَ، وَأَنْصُرْهُ بِمَلَأْنِكَ، وَامْدُدَّهُ بِجُنْدِكَ الْإِغْلَبِ
وَأَقِمَّ بِهِ كِتَابَكَ وَحُدُودَكَ، وَشَرَائِعَكَ وَسُنَنَ رَسُولِكَ صَلَوَاتِكَ اللَّهُمَّ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَأَخِي
بِهِ مَا أَمَاتَهُ الظَّالِمُونَ مِنْ مَعَالِمِ دِينِكَ، وَاجْلُ بِهِ صَدَأَ الْجُورِ عَنْ طَرِيقَتِكَ، وَأَيِّنْ بِهِ الضَّرَاءَ
مِنْ سَبِيلِكَ وَأَزِلْ بِهِ النَّاكِبِينَ عَنْ صِرَاطِكَ، وَانْحَقْ بِهِ بُغَاةَ قَصْدِكَ عَوَجاً، وَأَلِنْ جَانِبَهُ
لِأَوْلِيَانِكَ، وَابْسُطْ يَدَهُ عَلَى أَعْدَائِكَ، وَهَبْ لَنَا رَأْفَتَهُ وَرَحْمَتَهُ وَتَعَطُّفَهُ وَنَحْنُهُ، وَاجْعَلْنَا لَهُ
سَامِعِينَ مُطِيعِينَ، وَفِي رِضَاهُ سَاعِينَ، وَإِلَى نُصْرَتِهِ وَالْمُدَافَعَةِ عَنْهُ مُكْنِفِينَ، وَإِلَيْكَ وَإِلَى
رَسُولِكَ صَلَوَاتِكَ اللَّهُمَّ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِذَلِكَ مُتَقَرِّبِينَ. اللَّهُمَّ وَصَلْ عَلَى أَوْلِيَائِهِمُ الْمُعْتَرِفِينَ
بِمَقَامِهِمْ، الْمُتَّبِعِينَ مِنْهُمْ، الْمُقْتَفِينَ آثَارَهُمْ، الْمُسْتَمْسِكِينَ بِعُرْوَتِهِمْ، الْمُتَمَسِّكِينَ
بِوَلَايَتِهِمْ، الْمُؤْتَمِنِينَ بِإِمَامَتِهِمْ، الْمُسْلِمِينَ لِأَمْرِهِمُ الْمُجْتَهِدِينَ فِي طَاعَتِهِمْ، الْمُتَّظِرِينَ
أَيَّامَهُمْ، الْمَادِّينَ إِلَيْهِمْ أَعْيُنَهُمْ، الصَّلَوَاتِ الْمُبَارَكَاتِ الزَّاكِيَّاتِ النَّامِيَّاتِ الْغَادِيَّاتِ،
الرَّائِحَاتِ. وَسَلِّمْ عَلَيْهِمْ وَعَلَى أَزْوَاجِهِمْ، وَاجْمَعْ عَلَى التَّقْوَى أَمْرَهُمْ، وَأَصْلِحْ لَهُمْ

إمرة البر ويتمتع الكافر بإمرة الفاجر، وهناك احتمال آخر وهو أن وجود الإمام سواء كان براً أو فاجراً يكفل للناس
سواء كانوا مؤمنين أو كافرين حرية الاعتقاد والعمل. تمت شمس الدين.

شُؤُونَهُمْ، وَتُبَّ عَلَيْهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ وَخَيْرُ الْغَافِرِينَ، وَاجْعَلْنَا مَعَهُمْ فِي دَارِ السَّلَامِ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ) انتهى .

فذكر عليه السلام فوائد الإمامة وهي إقامة أحكام الكتاب بين العباد وإقامة الحدود والشرائع والسنن وإحياء ما أماته الظالمون من معالم الدين وغير ذلك فتأمل. وهذه الأمور هي التي أوجبت الإمامة ووجب قيام إمام من أجلها.

وفي كلامه عليه السلام الرد على من يقول بإمامة القاعد وقال ولده الإمام الأعظم زيد بن علي عليه السلام (الإمامة أمانة الله عند أئمة الهدى، إن أدوها إليه سلموا من التبعة فيها، واستحقوا الرعاية) انتهى من المجموع الأصولي ص ٣٥٢

وقال الإمام نجم آل الرسول القاسم بن إبراهيم عليه السلام في المجموع ص ١٣٤ مالفظة: (سألت يرحمك الله عن الإمامة ووجوبها، وما الدليل إن كانت واجبة على ملتمس مطلوبها، فأما وجوب الإمامة ودليله، فوحي كتاب الله عز وجل وتنزيله، فاسمع لستته في الذين خلوا من قبلك تفهم، وتفهم متقدم أوليها عن الله تعلم، فإنه يقول عز وجل، ونحمده فيما نزل، من محكم كتابه: ﴿سُئِلَ اللَّهُ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦٢]. ويقول تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣]. وهذا يرحمك الله لكي تعتبر بمنزل بيانه، في أشباه حكمه في الأمم واستنانه. ثم أخبر تعالى عما جعل من الإمامة في بني إسرائيل، قبل أن ينقل ما نقل منها إلى ولد إسماعيل، فقال: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [السجدة: ٢٣] ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤] وقال سبحانه . ما أنور بيانه !- فيما نزل من قصص خليفه إبراهيم، وما خصه الله به في الإمامة من التقديم، وما كان من دعاء إبراهيم وطلبته ؛ لإبقائها من بعده في ذريته: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمَنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤]، خبرا منه سبحانه أن عهده فيها إنما هو منهم للمتقين، فلم يزل ذلك مصرفاً بينهم، لم يخرج الله تعالى منهم، بعد

وضعه له فيهم، وإنعامه به عليهم، حتى كان آخر مصيره في الرسالة ما صار إلى إمام الهدى محمد صلوات الله عليه، فكان خاتم النبيين، ومفتاح الأئمة المهتدين ثم قال تعالى بعد هذا كله، دلالة على أن محمدا وارث خليله: ﴿إِنَّ أَوَّلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٦٨]. فكان محمد الوارث من إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام للنبوّة، وإليه ﷺ صار ما كان من إبراهيم وإسماعيل من الدعوة، إذ يقولان صلوات الله عليهما: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٢٩].

وأبين دليل، وأنور تنزيل، في وجوب الإمامة، وما يجب منها على الأمة، قول الله تبارك وتعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]. فأمر تبارك وتعالى بطاعة أولي الأمر مع ما أمر به من طاعته وطاعة الرسول، ولا يأمر تبارك وتعالى إلا بمعلوم غير مجهول، مع ما لا أعلم فيه بين الرواة فُرقة، وما لا أحسب إلا قد رأيتها عليه متفق، من حديث الرسول ﷺ في أن (من مات لا إمام له مات ميتة جاهلية)، فكل هذا دليل على وجوب الإمامة وعقدها، وما في ذلك للأمة بعد رسولها صلوات الله عليه من رشد، مع ما يجمع عليه جميع الأمم على اختلاف مللها وعقولها، وما هي عليه من الفُرقة البعيدة في أجناسها وأصولها، من تقديمها لمن يؤمها منها، ويذب خوفَ ذمار الأعداء عنها، ويحوط حرمةا عليها، وينفذ حكم المصلحة فيها، ويكف سرف قويا عن ضعيفها، ويجري حكم قسط التدبير فيها في وضعها وشريفها، استصلاحا منها بذلك للدنيا، والتماسا به لما فيه لها من البقيا.

فكيف يرحمك الله بطلاب، رضى رب الأرباب؟! وحلول دار الخلد من الجنة، وملتمس حكم الكتاب والسنة، أيصلح أولئك أن يكونوا فوضى بغير إمام؟! هيهات أبى الله ذلك لمنزل الأحكام! فَمَنْ - إن كانوا فوضى - للحدود؟! وما عهد الله إلى الأئمة فيها من العهود، مَنْ لِحَدِّ الْفَاسِقِ وَالْفَاسِقَةُ؟ ولحكم الله في السارق والسارقة؟

مَنْ لِقَاذِفِ الْمُحْصَنَاتِ ؟ وَمَنْعُ إِبْرَازِ الْمُؤْمَنَاتِ ؟ مَنْ لِحُكْمِ التَّفْصِيلِ ؟ وَإِصَابَةُ خَفِيِّ التَّأْوِيلِ ؟ مَنْ يَهْدِي أَهْلَ الْجَهْلِ وَالضَّلَالِ ؟ وَالْإِحْتِجَاجُ بِحُجَجِ اللَّهِ عَلَى أَهْلِ الْإِبْطَالِ ؟ أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، وَتَبَارَكَتْ بَقْدُسُهُ أَسْمَاؤُهُ: ﴿سُورَةُ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَاهَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النور: ١] ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٢]. مع جميع حكم الله فيها وفي غيرها، وما أمر به في أحكامه من تنفيذها، فهذا في وجوب الإمامة هكذا، وكفى من أنصف ولم يحف بهذا، مع حجج كثيرة تركت تكلفها، وألقيت إليك منها جملها، كراهية للاكتثار، واكتفاء بالاقتصار) انتهى.

وقال الإمام المتوكل على الرحمن أحمد بن سليمان عليه السلام في كتابه حقائق المعرفة (اعلم أنه لما كانت النبوة لا تحصل لأحد بعد رسول الله ﷺ، وأن الله قد ختم به الرسل كما قال تعالى: ﴿وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، وقال رسول الله ﷺ: «لا نبي بعدي». وكان الناس محتاجين إلى من يقوم مقام النبي ﷺ لينفذ الأحكام، ويحل الحلال، ويحرم الحرام، ويكفل الضعفاء والأيتام، وينصف المظلومين من الظالم، ويدعو إلى عز الإسلام وبناء المكارم، ويدفع كل خائن وغاشم، ويدعو إلى الجهاد في سبيل رب العالمين، ويعز المؤمنين، ويذل الفاسقين؛ حكم العقل بوجوب قيام إمام من المؤمنين لصالح الإسلام والمسلمين، وحكم العقل بأنه إن لم يقم إمام أن الإسلام يضعف، وأن الكفر يتقوى، وأن الفساد يلحق جميع الناس، فوجب قيام الإمام بعد النبي ﷺ. وكذلك القول إذا مات الإمام، أو قُتل أنه يجب قيام إمام بعده، إلى آخر الدهر) انتهى ص ٤٣٧.

وقال الإمام المهدي عليه السلام في البحر الزخار: (مسئلة الأكثر وتجب شرعاً الأصم والحشوية (لا) لنا إجماع الصحابة أن الحد إلى الإمام والتكليف به مستمر) انتهى

وقال الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد عليه السلام في الأساس مالفظه: (وهي واجبة عقلاً وسمعاً بعض أئمتنا عليهم السلام والجمهور بل سمعاً فقط وقيل لا تجب لما سياتي لهم

قلنا التظالم واقعٌ بين الناس قطعاً ولا يتم دفعه إلا برئيس ودفع التظالم واجب عقلاً فوجب إقامة رئيس لذلك ودليلها شرعاً قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمَنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤] ومن السنة ما يأتي إن شاء الله والإجماع.

فصل : ويجب على المسلمين في كل عصر إعانة من يصلح لها إجماعاً لأن ثمرتها وهي حفظ بيضة الإسلام ودفع التظالم وإنصاف المظلومين وإقامة الحدود ونحو ذلك لا يختص وقتاً دون وقت) انتهى.

وقال السيد العلامة محمد بن عبد الله عوض حفظه الله في كتابه قصد السبيل ص ١٧٢ مالفظه (مسألة الإمامة من مسائل أصول الدين وأعظمها وذلك لما يترتب عليها من جهاد الظالمين وإحياء الدين ، وإقامة العدل والإنصاف والحدود وتأمين الطرق، وجمع الصدقات والفيء ثم توزيعها ولما فيها من إصلاح الدين والدنيا) وساق في ذلك إلى أن قال: (والإمامة من الواجبات التي أوجبها العقل والشرع فالعقل يوجب دفع ضرر بعض الناس عن بعض ولا يتم ذلك إلا بالإمام، وذلك أن الناس مع كثرتهم واختلاف طبائعهم ودواعيهم لا ينفكون عن عدوان بعضهم على بعض وظلم بعضهم بعضاً، ولا ينزجرون عن ذلك ولا ينفكون عنه إلا إذا كان هناك رئيس له قوة وسطوة وأعوان يمنعهم الخوف منه عن الظلم والعدوان، ثم إن عادة البشر في كل زمان ومكان لا يوجد منهم قبيلة أو شعب إلا وله رئيس يمنع القوي من الضعيف ويتصرف للمظلوم من الظالم وأما دليل الشرع فإنه لما توفي النبي ﷺ أجمعت الصحابة على أنه لا بد من رئيس يقوم بأمر الأمة ثم من بعدهم إلى اليوم، فإنهم حين يموت الإمام يفرعون إلى نصب إمام يطلبونه ويعتقدون وجوب قيامه والواجب على الأمة إعانة من يصلح لها بالمال والنفس والجنان والأركان، وعلى ذلك إتفقت الأمة ، وذلك لأنه لا يتم حفظ بيضة الإسلام وإقامة شعائره، وإقامة العدل والإنصاف، وإقامة الحدود و.... إلخ. إلا بإعانة الإمام ونصرته.

فصل

في الغرض من القيام بالإمامة

قد ذكرنا في ما سبق أن أهل البيت هم خيرة الله من خلقه الذين اختارهم للقيام مقام الأنبياء المرسلين وأمر جميع الخلق بطاعتهم ووظيفة الأنبياء صلوات الله عليهم هي الدعوة للناس إلى طاعة خالقهم ومجاهدة من أعرض عن دعوتهم من المستكبرين والحكم بين الناس بالحق والعدل ووو... إلخ. والأنبياء صلوات الله عليهم قد جاهدوا هم وأتباعهم في سبيل الله حق الجهاد كما قال الله تعالى مخبرا عن كثرة جهادهم ﴿وَكَايُنْ مِنْ نَبِيِّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦] وكم من الأنبياء قد قتلوا في سبيل الله كما قال تعالى: ﴿وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بَغَيْرِ حَقٍّ﴾ [النساء: ١٥٥] وقال تعالى: ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّاتِ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ٢١] وقد ورد في الأخبار عن الأمم الماضية أنهم كانوا يقتلون ما بين طلوع الشمس إلى غروبها عددا كثيرا من الأنبياء، وليس ذلك إلا لدعوتهم إلى طاعة الله وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر بمراتبه الأربع، فلو لم يفعلوا إلا الإرشاد لهم بالموعظة فقط وتركوا الظلمة والجبارين يفعلون ما أرادوا لما مسهم أحد بسوء كما ذلك مجرب معلوم لدى كل من أرشد الناس من أهل العلم، فلا صحة لما يشاع بين العوام من أن الأنبياء كانوا مرشدين فقط بل جاهدوا وقتلوا أعداء الدين وقد سار بسيرتهم الأئمة الطاهرون من أهل البيت في الجمع بين إرشاد الناس وتعليمهم ومجاهدة المعاندين المستكبرين فالداعون إلى ذلك النهج من الآل سالكون مسلك الأنبياء المرسلين والأئمة الطاهرين، صلوات الله عليهم أجمعين، في القيام بما أوجب عليهم رب العالمين. وقد قال الله تعالى مخاطباً لأهل البيت الطاهرين^(١): ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ [الحج: ٧٨] أي جهادا محققا لأن الجهاد يطلق على ثلاثة أشياء:

(١) أمة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وفي مقدمتهم أهل البيت الطاهرين. تمت شمس الدين.

هي الجهاد للنفس والجهاد بالموعظة والجهاد بالسيف، فلا يكون مجاهداً حق الجهاد إلا من قام بها كاملة ﴿هُوَ اجْتَبَاكُمْ﴾ [الحج: ٧٨] أي اختاركم من بين الناس للقيام مقام الأنبياء في هذه الأمة، ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨] أي لم يكلفكم ما لا تطيقونه، ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الحج: ٧٨] أي نهجه الذي أمركم بسلوكه ﴿هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾ [الحج: ٧٨] وذلك في قوله صلوات الله عليه ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾ [البقرة: ١٢٨] ﴿وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ﴾ [الحج: ٧٨] أي يكون النبي صلى الله وسلم عليه وعلى آله شهيداً على الأئمة من ذريته بأنهم قاموا بالبلاغ وإقامة الحجة على العباد ولذا ورد عن النبي صلوات الله وسلامه عليه وآله في ذكر ولده الإمام زيد عليه السلام ما لفظه: «أنه سيخرج مني رجل يقال له زيد، فينتهب ملك السلطان، فيقتل، ثم يصعد بروحه إلى السماء الدنيا، فيقول له النبيون: جزى الله نبيك عنا أفضل الجزاء، كما شهد لنا بالبلاغ، وأقول أنا: أقررت عيني يا بني وأديت عني» ﴿وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [الحج: ٧٨] أي يكون الأئمة من ذرية النبي عليه السلام شهداء على الناس، أي يشهدون لله يوم القيامة بأنهم قد بلغوا وأقاموا الحجة على جميع العباد فلا عذر لهم يعتذرون به أمام الله، فإذا كانوا شهداء على جميع أهل الأرض فلا بد أن يفعلوا الشيء الذي يبلغ خبره جميع أهل الأرض، فأمرهم في هذه الآية الكريمة بالشيء الذي من شأنه أن ينتشر خبره إلى كافة أهل الأرض، وهو الجهاد، فقال سبحانه ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ [الحج: ٧٨] ثم أتى بلام التعليل المبينة لفائدة هذا الأمر الموجه إليهم بقوله تعالى ﴿لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [الحج: ٧٨] أي جاهدوا لأجل إقامة الحجة على العباد يوم القيامة. لأن الجهاد هو الطريق الوحيدة التي من شأنها الاشتهار بين الناس في جميع هذه الأرض فيكون بها إقامة الحجة. ولذا قال الإمام زيد عليه السلام وقد كسّل عليه بعض الناس: إنما أريد إقامة الحجة على هذه الأمة، ولو يوماً واحداً؛ لثلا يقولوا يوم القيامة: لم يأتنا أحد منهم. فبين عليه السلام أن قيامه بالجهاد هو من أجل إقامة الحجة على العباد.

والحاصل أن الله أرسل الرسل لذلك الغرض كما قال تعالى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِيَتْلَىٰ يَكُونَنَّ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥] أي من أجل أن لا يقولوا يوم القيامة ﴿رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَتَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَنَّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [طه: ١٣٤] فجعل الرسل حجة لقطع معاذير العباد، فكذلك الأئمة هم القائمون بتلك الوظيفة، ولذا قال الإمام النفس الزكية: أما والله لقد أحيا زيد بن علي عليه السلام ما دثر من سنن المرسلين وأقام عمود الدين إذا عوج ولن نقبس إلا من نوره.

يؤكد ما ذكرنا قول أمير المؤمنين عليه السلام: (إن الله تعالى عنانا بقوله: ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣]، فرسول الله ﷺ هو الشاهد علينا، ونحن شهداء الله على خلقه، وحججه في أرضه).

فهذا هو الغرض الرئيسي من القيام وهو إقامة الحجة على العباد فلو لم يكن من القيام بالجهاد إلا ذلك كيف ذلك وفوائد الجهاد لا تحصى وسيأتي ذكر كثير منها إن شاء الله تعالى.

ويدل على ما قدمنا من تفسير الآية ما ذكره الإمام المنصور بالله في شرح الرسالة الناصحة ص ١١٨ وهو ما لفظه (وجه الاستدلال بهذه الآية أن الله تعالى أمر أولاد إبراهيم - عليه السلام - أمرا ظاهرا بالجهاد في الله - تعالى - حق الجهاد، ولا يكون ذلك كذلك إلا بتجيش الجيوش^(١)، وعقد المراكب، وشن الغارات، وحمل من عصي الله - تعالى - على طاعته حتى يتمحض الجهاد فيه عز وجل، ويتعزى عن غرض آخر بجميع وجوه الإمكان، من شدة ولين، وإقامة الحدود، وحفظ البيضة، وسد الثغور، وسياسة الجمهور، وقتل المحاربين، وسوق الهاربين، وأخذ أموال الله - تعالى - ممن وجبت عليه

(١) هذا إذا فسر الجهاد بأنه الحرب إلى آخر ما أشار إليه الإمام عبدالله بن حمزة رحمه الله.

أما إذا كان بالمعنى الواسع لكلمة الجهاد وهو بذل الوسع في سبيل الله سواء كان باللسان أو باليد أو بالقلب أو بها جميعاً فكل من الجهاد وكل ذلك وارد ومقصود في الآية والله أعلم. تمت شمس الدين.

طوعا وكرها، وصرفها في مستحقها، إلى غير ذلك من سائر أنواع أعمال الإمامة، وإنما قلنا ذلك لأنه لا يعقل من إطلاق الجهاد في الله - تعالى - حق الجهاد إلا ما قدمنا وساق في ذلك إلى أن قال (لأن أقل أحوال من يستحق الإمامة أن يشهر نفسه ويظهر للخاص والعام أمره حتى تسقط الحجة عنه ويتعلق الفرض بغيره) انتهى

الإحتساب

من أصول مذهب أهل البيت عليهم السلام وجوب القيام بحق خلافة الرسول ﷺ كما تقدم وكما سيأتي ذكره ولكن قد تكون الظروف في بعض الأوقات لا تسمح لهم بذلك وفي تلك الحال يكونون معذورين عن القيام عند الله

ولكن ينبغي عليهم هم وأتباعهم في تلك الحال أن يهيئوا الطريق للوصول إلى ذلك الأمر العظيم الذي به تصلح العباد والبلاد.

يجب على كل شخص أن يفعل ما يستطيعه في ذلك من الأعمال التي هو ما هر فيها وكفؤ لها.

ومن كانت له قدرة على القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمراتبه الأربع فعليه القيام بذلك كي يهيئ الطريق لإمام الحق من عترة المصطفى ﷺ.

وينبغي على الناس معاونته ومناصرته على ذلك وهذا هو ما يفهم من كلام الإمام نجم آل الرسول القاسم بن إبراهيم عليه السلام قال عليه السلام وأما ما كان يروى أن من مات لا إمام له مات ميتة جاهلية)، فتفسيره واضح مشروح، أن الله قد فرض على خلقه في كل حين، إقامة أحكامه وشرائعه التي نزل في كتابه وسنن نبيه، ولا يقيم ما فرض الله من الأحكام إلا أن يحكم بها الإمام، فإن لم يكن إمام يقيمها ويحكم بها، كان على الناس طلبه حتى يقيموه للأحكام وينفذها، فإذا كانت دار الإسلام قد علت عليها أئمة

الجور، لزم أهل الإسلام مجاهدتهم وإزالتهم حتى يقيموا إماماً عدلاً، يؤمهم ويقيم أحكامهم عليهم، وينفذ مقاسم الفيء التي أمر الله بقسمها فيهم، فإن كان الغالب عليهم الجورة من الأئمة الظلمة، كان الفرض من الله فيهم المحاربة والمجاهدة، فإنما الناس أبداً بين أمرين، إما إن يكونوا مع إمام حق يقوم بأحكام الله في الدين، فيكونوا مؤتمين بإمام حق ورشد في الدين، وإن كانوا في دولة الظالمين العاصين، فيلزمهم أن يكونوا لهم مجاهدين محاربين، فهم أيضاً في هذه الحال مأمومين، والناس في كل حين بين فريضتين من الله لازمتين، فيما حكم الله به من أحكام الدين، فرض طاعة إمام حق إن كان ظاهراً قائماً، أو فرض مجاهدة إمام جور إذا كان عالياً ظالماً. انتهى ص ٦٢٩ من المجموع^(١).

وكلامه عليه السلام ظاهر في وجوب الجهاد والقتال مع إمام الحق إن كان في الزمان إمام وإن لم يكن وجب القتال للظالمين الجائرين حتى يتمهد الطريق لإقامة إمام الحق من عترة المصطفى ﷺ ومن المعلوم أنه لا يكون فرض القتال الا مع قائد يقود الناس لحرب أولئك الظالمين.

وذلك القائد هو ما يعبر عنه بالمحتسب في كتب الأصول ولا يشترط فيه أن يكون على الصفات المشتركة في الإمام قال السيد العلامة محمد بن عبد الله عوض في كتابه قصد السبيل ص ٢١٨ ما لفظه (الحسبة هي: الانتصاب في مقام الإمام عند عدم الإمام للقيام بأعماله من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإصلاح البلاد والعباد... إلخ ويكون له ما للإمام وعليه ما عليه إلا ما استثنى).

ويشترط في المحتسب العقل الوافر والورع الكامل وحسن الرأي وحسن

(١) وهذا مما يدل على أن معنى الجهاد معنى أوسع من الحرب، ويدل على وجوب الجهاد على الناس المؤمنين جميعاً، ويدل على أن الخطاب في قوله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا﴾ موجه للناس جميعاً. تأمل.
إذ المطلوب منهم أن يجاهدوا لإقامة إمام، والفرض أنه لا يوجد إمام بيننا الخطاب على القول الأول موجه إلى الإمام بجهاد الظالمين. تأمل موقفاً. تمت شمس الدين.

التدبير والعمل سواء كان با لإجتهد أم بالتقليد ولا يشترط أن يكون المحتسب من آل النبي ﷺ ولا من قریش ولا من العرب بل يشترط الذكورة والحرية والعدالة المحققة وعدم من يصلح للإمامة بلامانع وليس له أخذ الحقوق المالية كرهاً ولا إقامة الحدود^(١) ويجوز له الإكراه على المعاونة على دفع المنكر وأخذ المال لدفع الكفار والبغاة وله الإكراه بغير قتال على فعل الواجبات كإقامة الصلاة وآداء الزكاة.... إلخ والله أعلم. انتهى.

وكما ذكرنا أنه يجب على المحتسب أن يمهد الطريق لإقامة الإمام الذي أمر الله جميع المسلمين بطاعته يدل على ذلك ما ذكره الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة ﷺ حيث قال: (والذي يجوز له بل يجب عليه إذا زاحت علتة عليه النهي عن المنكر بلسانه وسيفه على مراتبه، والأمر بالمعروف بلسانه دون سيفه، وسد الثغور، وتجييش الجيوش للدفع عن المسلمين، وحفظ ضعفهم عن شياطينهم بالقول والفعل، والدعاء إلى طاعة الله، والتأهب لإجابة دعوة الداعي من عترة رسول الله، وحفظ الأوقاف، وتفقد المناهل والمساجد والسبل، والمنع من التهارج والتظالم) انتهى ص ٥٤٥ من المجموع المنصوري القسم الثاني.

فإن قيل: كيف تقول بالقيام مع المحتسب مع أن الإمام القاسم بن إبراهيم ﷺ (ذكر أنه لا يجوز القيام إلا مع الإمام)^(٢) وكذا قال الإمام الهادي ﷺ فأقول والله الموفق:

إذا كان المحتسب من أهل الدين والورع ولم يظهر أن هدفه الدنيا والعلو فيها. وإنما يريد إحقاق الحق ودحر الظالمين الجائرين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

(١) إذا لم يجوز له ذلك فما هو الاحتساب ولما الاحتساب، سؤال. تمت شمس الدين.

(٢) تقدم من كلام الإمام القاسم في الصفحة المقابلة ما يفيد أنه يجوز القيام والجهاد مع عدم وجود إمام لإقامة الإمام، تأمل. تمت شمس الدين.

اللذابين بهما صلاح العباد والبلاد والتمهيد لإقامة إمام الحق فلا شك في وجوب معاونته على ذلك لأنه من التعاون المأمور به في قوله تعالى ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ [المائدة: ٢]

قال أمير المؤمنين على عليه السلام: (ولو أن أحدكم إذا ظهر الجور من أئمة الجور باع نفسه من ربه، وأخذ حظه من الجهاد لقام دين الله على قطبه....، ولرضيتم من ربكم فنصركم) إلخ... إنظر مجموع الإمام القاسم بن محمد عليه السلام ص ٣٤٤. ^(١)

وقال الإمام المؤيد بالله عليه السلام في كتابه التبصرة ص ٧٤ مالفظة: (فإن قيل: فعلى من يجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قيل له: إن ذلك على ضربين:

ضرب منهما: مثل إقامة الحدود، وسماع الشهادات، وتنفيذ الأحكام، وغزو العدو في ديارهم، وما جرى مجراه. فهذا الضرب مما لا يجوز القيام به إلا لإمام، أو من يأمره الإمام.

والضرب الثاني: منع الظالم من ظلمه، وتغيير سائر المناكير وإزالتها، فهذا وما أشبهه يجب على كل من غلب في ظنه أنه يمكنه إزالته) انتهى

وقال في الشفاء ص ٥٠٦ مالفظة (وأما دفع الظالمين عن ظلمهم فذلك جائز بل واجب مع الإمكان في ديارهم وغيرها مع إمام حق إن كان وإلا فمع زعيم ورع سائس ينصبه المسلمون أن يحتسب في ذلك لله تعالى) انتهى.

ويدل على ذلك ما عرف من تاريخ أهل البيت عليهم السلام في قيامهم ضد الظالمين مع القائم من أهل البيت سواء كان من الأئمة أم من المحتسبين. وكذلك كلام من قدمنا ذكرهم وغيرهم من أهل الأصول.

ويحمل كلام القاسم والهادي عليه السلام على حظر القيام مع من يريد الدنيا ممن كان همه الملك والرئاسة والله أعلم وإنما قلنا بذلك جمعاً بين ما ظاهره الاختلاف من كلامهم.

(١) كلام أمير المؤمنين يفيد أيضاً أن الجهاد واجب على جميع أفراد الأمة المسلمة وفي مقدمتهم أهل البيت. تمت شمس الدين.

فصل

في وجوب القيام بالإمامة هل هو فرض عين أم فرض كفاية

من أصول مذهب أهل البيت عليهم السلام وجوب القيام بحق خلافة الرسول صلى الله عليه وآله كما ذكر السيد العلامة محمد بن عبد الله عوض حفظه الله في كتابه قصد السبيل قال السيد العلامة الحسين بن يحيى الحوثي رحمه الله: (والواقع يشهد له؛ لأنهم في كل زمان هم وشيعتهم - رضي الله عنهم - يفرعون إلى الصالح منهم يطلبونه القيام أو يقوم هو بطلب البيعة فيبايعونه) انتهى من الجواب الراقي وروى ص ٤٣ الطبعة الأولى

وروى العنسي عن زيد بن علي عليه السلام أنه قال: (وحق علينا أهل البيت إذا قام الرجل منا فدعا إلى كتاب الله وسنة رسوله وجاهد على ذلك فاستشهد ومضى أن يقوم آخر يتلوه يدعوا إلى ما دعا إليه حجة الله عز وجل على أهل كل زمان إلى أن تنقضي الدنيا) انتهى من الجزء الثاني من شرح الأساس ص ١٩٠.

وقد ذكرنا في ما تقدم وجوب الإمامة وذكرنا في أول الكتاب أنها في أهل البيت فيجب عليهم القيام بها خصوصاً عند تهيؤ الظروف المناسبة لذلك.

ونقول بأنه لا يخلو وجوب القيام بذلك من أن يكون فرض عين على كل أحد من أهل البيت أو فرض كفاية لا يصح القول بأن ذلك فرض عين على كل أحد منهم بمعنى أنه يجب على كل أحد منهم القيام لأن ذلك يؤدي إلى وجود أئمة لا حصر لهم وبطلان ذلك لا يخفى فلم يبق إلا أنه فرض كفاية إذا قام به بعضهم مع كماله في الشروط المعتمدة سقط الوجوب عن الباقي وهذا هو ما يدل عليه كلام الإمام الهادي إلى الحق عليه السلام في كتابه الأحكام حيث قال ما لفظه (فمن علم أنه مستحق للقيام بأمر الله مستأهل له، فيه الشروط التي تجب له بها القيام والإمامة من الدين والورع والعلم بما أحل الكتاب، وما حرم من الأسباب والحلم والشجاعة والسخاء والرأفة بالرعية والرحمة لهم، والتحنن عليهم، والتفقد لأموارهم، وترك الاستئثار عليهم، وأداء ما جعل الله لهم إليهم وأخذ ما أمر الله

بأخذه من أيديهم على حقه وصرفه في وجوهه وإقامة أحكامه وحدوده، والثقة بنفسه على عبادة ربه فليقم لله بفرضه وليدع الناس إلى نفسه، وجهاد أعدائه والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لايني، ولا يفتر، ولا يكل ولا يقصر، فإن ذلك فرض من الله عليه لا يسعه تركه، ولا يجوز له رفضه واجب عليه في الخوف والأمن، والرخاء والشدة والمحنة والبلاء) انتهى من الأحكام الجزء الثاني ص ٤٢٣.

فذكر ﷺ أن من كان على تلك الحال منهم فإنه يجب عليه القيام ومن المعلوم من تاريخ أهل البيت أنه يوجد على تلك الصفات في أغلب الأوقات منهم عدة أشخاص فمن قام منهم بذلك سقط الوجوب على الباقيين يؤكد ذلك ما ذكره الإمام المنصور بالله ﷺ في كتابه العقد الثمين ص ١٤٠ عند ذكره لقوله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ [الحج: ٧٨]، حيث قال مالفظة: (فكان هذا الأمر، لأن فيه صيغة الأمر وهو افعلوا، وكونه طاعة معلوم بفحوى الخطاب؛ لأن الجهاد في الله معلوم من الدين لكافة المسلمين، وصرح بالإجتباء وهو الاختيار، ومن برفع الحرج، وبين أن تلك ملة أبينا إبراهيم ﷺ، وقد تقرر من دين المسلمين أن الجهاد لا يكون إلا بإمام، لأن هذا بالإجماع من العترة والأمة أنه لا يصح أعني الجهاد إلا بإمام، فإذا الخطاب لواحد من العترة موصوف غير معين، فمن قام به فقد قام بما لزمه، وسقط عن أمثاله، من المتصفين بمثل حاله إلى انقضاء أيامه، والرسول شهيد عليه، وهو شاهد على الناس، المقصود بالناس هاهنا أهل عصر كل إمام من العترة والأمة). انتهى

أقول ولكنه وإن سقط عنهم ذلك لم يسقط عنهم وجوب القيام مع القائم منهم بل ذلك واجب عليهم وعلى الخلق أجمعين كما سيأتي إن شاء الله وقد قال الإمام المهدي الملقب بأبي طير ﷺ في كتابه المجموع ص ١٣٨ مالفظة: (وقد أمر الله بالقيام بذلك عاما، وإنما جعل لهم من أنفسهم في أحكام ذلك الأمر نظاما، سماه هاديا وإماما، وأمرهم بتوقيره وتعزيره، وتعظيم أمره وتكثيره، فعليه فرض وهو ألا يخل بما أمر به، وعليهم مثل ذلك في حقه) انتهى.

فصل

في بيان من تجب طاعته من أهل البيت عليهم السلام

قال الإمام زيد بن علي عليه السلام: (فإن قالوا: فَمَنْ أولى الناس بعد الحسن؟ فقولوا: الحسين، فإن قالوا: فَمَنْ أولى الناس بعد الحسين؟ فقولوا: آل محمد عليهم السلام أولادهما أفضلهم أعلمهم بالدين، الدّاعي إلى كتاب الله، الشّاهر سيفه في سبيل الله، فإن لم يدعُ منهم دّاعٍ. فهم أئمة للمسلمين في أمرهم وحلالهم وحرامهم، أبرارهم وأتقيائهم) انتهى من المجموع ص ٢١٠.

وقال الإمام أحمد بن عيسى عليه السلام (والإمام منا أهل البيت الواجب طاعته، وإجابته من أطاع ربه، وأشعر تقوى الله قلبه، وشمر في الله ثوبه، وأطال في الله خوفه، واشتدت بأمور المسلمين عنايته فيتحنن عليهم برأفته، ويعطف عليهم برحمته، ويتفقد أمورهم بنظره، وكلاً صغيرهم، وكبيرهم بعينه، وأحاطت عليهم شفقتة، وأينع فيهم آثار نبيه عليه السلام، فخلفه فيهم بعده، وسلك فيهم قصده، وأحيا فيهم سنته، وأظهر فيهم شريعته، وسار فيهم بسيرته، فواساهم بنفسه، وعدل بينهم بقسمه الموثوق بعقله، ودينه، وفهمه، وعلمه، المأمون عندهم عيبه، المؤدي حق الله فيما استحفظه، فإذا كان كذلك فقد استوجب منهم الطاعة، واستحق منهم الإجابة) انتهى ص ٧٢٤ نقلاً من المختار.

وقال الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين عليهما السلام في الأحكام [ج ٢ ص ٤٥٩]: (الإمام الذي تجب طاعته هو أن يكون من ولد الحسن، أو الحسين عليهما السلام، ويكون ورعاً تقياً صحيحاً نقياً، وفي أمر الله عز وجل جاهداً، وفي حطام الدنيا زاهداً، فهما بما يحتاج إليه، عالماً بملتبس مايرد عليه، شجاعاً كميّاً، بذولاً، سخياً، رؤفاً بالرعية، رحيماً، متعظفاً، متحنناً، حليماً، مواسياً لهم بنفسه، مشاركاً لهم في أمره، غير مستأثر عليهم، ولا حاكم بغير حكم الله فيهم، رصين العقل، بعيد الجهل، أخذاً لأموال الله من مواضعها، راداً لها في سبلها، مفرقاً لها في وجوها التي جعله الله لها، مقيماً لأحكام الله، وحدوده،

أخذاً لها ممن وجبت عليه، ووقعت بحكم الله فيه من قريب، أو بعيد، شريف أو دني، لا تأخذه في الله لومة لائم، قائماً بحقه، شاهراً لسيفه، داعياً إلى ربه، مجتهداً في دعوته، رافعاً لرايته، مفرقاً للدعاة في البلاد، غير مقصر في تأليف العباد، خيفاً للظالمين، مؤمناً للمؤمنين، لا يأمن الفاسقين، ولا يأمنونه، بل يطلبهم ويطلبونه، قد باينهم وباينوه، وناصبهم وناصبوه، فهم له خائفون، وعلى هلاكه جاهدون، يبغiem الغوائل، ويدعو إلى جهادهم القبائل، متشرداً عنهم، خائفاً منهم، لا تردعه ولا تهوله الأخواف، ولا يمنعه عن الإجتهد عليهم كثرة الإرجاف، شمري مشمر، مجتهد غير مقصر) انتهى

فإن لم يكن هناك إمام قائم على تلك الصفة فالإمام الواجبة طاعته هو الداعي إلى ذلك النهج من الآل وهو الداعي إلى الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإحياء الكتاب والسنة ومحاربة الظالمين وتطبيق شرائع الدين وإقامة الحق والعدل بين العباد ووجدت فيه كل الشروط المعبرة وهي البلوغ والعقل والذكورة والورع والشجاعة والتدبير والسخاء واجتناب المهن المسترذلة والسلامة من المنفرات كالجذام ونحوه وسلامة الحواس والأطراف التي يختل القيام بثمرة الإمامة عند فقدانها كالعمى ونحوه والإجتهد والفضل كما سيأتي ذكرها مفصلاً إن شاء الله تعالى. والأدلة على ذلك كثيرة.

قال أمير المؤمنين وسيد الوصيين علي بن أبي طالب (عليه السلام): (وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِنْ اتَّبَعْتُمُ الدَّاعِيَ لَكُمْ سَلَكَ بِكُمْ مِنْهَا جَ الرَّسُولِ وَكُفَيْتُمْ مَثُونَةَ الْإِعْتِسَافِ وَنَبَذْتُمْ الثُّقْلَ الْفَادِحَ عَنِ الْأَعْنَاقِ) انتهى من النهج.

وقال إمام الزيدية الإمام الاعظم زيد بن علي (عليه السلام): (فَالْمُحَمَّدِيُّ فِي النَّاسِ رَجُلَانِ: رَجُلٌ عَالِمٌ بِمَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْأُمَّةُ مِنْ دِينِهَا، دَعَا إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ، وَمُجَاهِدَةً مِنْ اسْتَحْلَ حَرَامَ اللَّهِ، وَحَرَّمَ حَلَالَهُ، فَعَلَى النَّاسِ نُصْرَتُهُ، وَمُؤَاوَزَتُهُ، وَالْجِهَادُ مَعَهُ) انتهى من المجموع. ص ٢١٠.

وقال الإمام نجم آل الرسول القاسم بن ابراهيم (عليه السلام): (والشريعة التي توجب لهم أن يستحقوا مقام الرسول، وأن يكونوا متبوعين غير تابعين، العلم، والجهاد، وأداء

الأمانات إلى أهلها، فمن كان فيه هذه الخصال الأربع (يعني بالأربع الثلاث المذكورات والرابعة كونه من أهل البيت) وجب على أهل بيته وعلى المسلمين اتباعه)، انتهى من المجموع ص ١٩٣ الجزء الثاني.

وفي الجامع الكافي [ج ٢ ص ٤٩]: قال محمد: سألت أحمد بن عيسى عليه السلام قلت: قد عرفت أهلك فصف الرجل منكم الذي إذا دعى وجبت علينا، وعلى الأمة إجابته، وبيعته، ومعاونته؟ فقال: الورع العاقل الشديد العقدة العالم بما يجب من الأمور، والأحكام العالم باختلاف الناس وإن كان دون هذه الصفة كبعض الأسلاف جاز) انتهى.

وقال الحسن بن يحيى بن الحسين بن زيد عليه السلام أجمع علماء آل رسول الله ﷺ أن علي بن أبي طالب كان أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ، وأولاهم بمقامه، ثم من بعد أمير المؤمنين الحسن، والحسين أولى الناس بمقام أمير المؤمنين، ثم من بعد ذلك علماء آل رسول الله ﷺ، وأتقياؤهم، وأبرارهم أئمة المسلمين في حلالهم، وحرامهم، وسنن نبیهم فمن أمر منهم بالمعروف، ونهى عن المنكر وجبت على المسلمين معاونته، ونصرته، وأن القائم منهم بالمعروف، والجهاد أفضل عندهم من القاعد، وكل مصيب قدوة) انتهى نقلاً من المختار. ص ٧٢٧.

وقال الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين عليه السلام: (والذي افترض طاعته ذو الجلال والإكرام، من أهل بيت محمد صلى الله عليه وآله على جميع من خلق وذراً من الأنعام، وبنى على طاعته وموالاته دعائم الإسلام: الورع الفاضل التقى الكامل الباذل لنفسه لله، العالم الذي لا تأخذه في الله لومة لائم، الفهم بمعاني الكتاب، المتفرع فيما يحتاج إليه من الأسباب، المجرد في أمره، الداعي إلى سبيل ربه، المبين للظالمين، الناهض بحجة رب العالمين، الكاشف لرأسه، المجرد لسيفه، الرافع لرايات الحق، المظهر لعلامات الصدق، الزاهد في حطام الدنيا، الراغب في الآخرة التي لا تفتنى، والحافظ للرعية، المواسي لهم، المتحنن عليهم، المقرب غير المبعد، المهون غير المجهد، القارن لهم بنفسه في جميع أمره، الشفيق عليهم، الآخذ لمظلومهم من ظالمهم، المستوفي

لحق الله من أيديهم، والراد له في مصالحهم، والمفرق لفيئهم فيهم، المسلم له إليهم، العادل في قسمه، المساوي بين رعيته في حكمه، الطارح الجبرية والتكبر، البعيد من الخيلاء والتجبر، والباسط لكنفه، المنصف لأهل طاعته، المتفقد لجميع معاشهم، الحامل لهم على ما أمروا به من أديانهم، الممضي لأحكام الله فيهم، القائم بقسط الله عليهم، الرؤوف الرحيم بهم، العزيز عليه عنوتهم، المتعني بالجليل والدقيق من أمورهم، المشبه في ذلك لجدده، ولما ذكر الله من أمره، حيث يقول سبحانه: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾؟ [التوبة: ١٢٨]، الشجاع السخي، الفارس الكمي) انتهى ص ٥٠٨ من المجموع.

وقال الإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان عليه السلام: (واختلفت الأمة في الإمامة وفي عقدها، فعند الزيدية أن الإمامة تحصل للإمام وتجب عند من تعرف منه القرابة بأن يكون من ولد الحسن والحسين، ويكون عالماً بما يحتاج إليه من أصول الدين وفروعه، ويكون جيد التمييز، عارفاً لمحكم الكتاب ومتشابهه، عارفاً بجملة من الأخبار عن النبي المختار ﷺ، ويكون عارفاً بجملة من الوفاق والخلاف، ويكون ورعاً عفيفاً، طيب المولد والمنشأ، ويكون مستقيم اللسان، معروفاً بالكرم والإحسان، غير مهين ولا جبان، فإذا تم فيه ما ذكرنا، ودعا الناس إلى طاعة الله وإلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجبت بيعته ولزمت طاعته) انتهى من كتاب حقائق المعرفة. ص ٤٧٧

وقال السيد العلامة أحمد بن محمد بن صلاح الشرفي في شرح الأساس ص ١٣٦ ما لفظه: (فقال أئمة الزيدية وشيعتهم: هو النص في علي والحسنين عليهما السلام وفي غيرهم النص الجملي، وإجماع العترة عليهم السلام وشيعتهم المفسر لذلك النص الجملي وإجماعهم أيضاً على أنه من دعا الناس إلى نصرته والجهاد معه وهو جامع لشروط الإمامة صار إماماً تجب طاعته.

وقال الإمام محمد بن القاسم الحوثي عليه السلام في كتابه الموعدة الحسنة ما لفظه:

قال أئمة الزيدية وشيعتهم هو النص التفصيلي في علي وولديه عليه السلام والنص الجملي في أولادهم، وإجماعهم أيضاً حجة على أن من دعا الناس إلى نصرته والجهاد معه وهو جامع لشروط الإمامة صار إماماً تجب طاعته) انتهى ص ١٠٤

وقال السيد العلامة محمد بن عبد الله عوض المؤيدي حفظه الله في كتابه قصد السبيل ما لفظه:

ولزيادة توضيح صحة مذهب الزيدية وبطلان مذهب الإمامية في الخلافة نقول:

إن وظائف النبي ﷺ التي كان يقوم بها بمقتضى النبوة هي:

١. تبليغ أحكام الإسلام وشرائعه.

٢. الدعوة إلى الإسلام وبثها ونشرها.

٣. قيادة الجيوش ضد أعداء الإسلام والغزو وإعلان الحرب على الظالمين.

٤. أخذ الحقوق المالية وتوزيعها على المستحقين لها.

٥. إقامة الحدود وإقامة شعائر الإسلام.

٦. الحكم بين الناس بالحق وإقامة العدل... إلخ

فمن أعلن هذه الشعارات ودعا إليها وكان من أهل بيت النبي ﷺ مستجمعاً لشروط الخلافة التي أسلفناها وأعلن الثورة على الظلم والظالمين فهو الحقيق بأن يسمى إماماً وخليفة للرسول ﷺ وهذا الدليل دليل ظاهر عملي محسوس في الساحة يتطابق مع قول النبي ﷺ ألا وهما الخليفةان بعدي «فذاك الخبر وهذا المعاينة انتهى. ص ٢٢٦.

فصل

في الطريق إلى الإمامة

لا تثبت الإمامة للشخص بمجرد كونه صالحاً لها باجتماع الأوصاف المشتركة في ذلك كما قدمنا بل لا بد من الدعوة قال الإمام أبو طالب عليه السلام في كتاب الدعامة ص ٢١١.

(اعلم أنه لا خلاف بين الزيدية في أن الإمامة تثبت بالدعوة متى حصلت ممن جمع الأوصاف التي يصلح معها كونه إماماً) إلى قوله (فأما ما يدل على أنها تثبت بالدعوة أنا قد علمنا أن الإمام لا يصير إماماً بمجرد اجتماع الأوصاف فيه ولا بد في ثبوت إمامته من سبب يوجب ذلك) ثم ساق الكلام في الاستدلال على كون الدعوة هي الطريق الصحيح إلى ذلك وما عداها باطل، إلى أن قال (لأن الذي نريده بالدعوة هو أن ينتصب من جمع الأوصاف للقيام بالأمر ويتجرد لمباشرته ولا يتقاعد عنه ولا يهادن الظلمه ولا يختار الركون اليهم) إلى آخر كلامه انتهى.

قال الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام في بيان الطريق إلى الإمامة ما لفظه (ويبين نفسه بالدعوة). انتهى من المجموع

وقال في الشفاء ص ٤٩٨ ما لفظه (وأما بيان الطريق إلى الإمامة فطريقها عند القاسم والهادي وسائر علمائنا هو الدعوة) انتهى.

وقال الإمام المؤيد بالله عليه السلام في التبصرة ص ٧١ ما لفظه: (وإذا فسد القولان ثبت القول الثالث وهو القول بالدعوة) انتهى. وقال الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة عليه السلام (فاعلم أن رأينا أن طريق الإمامة بعد الأئمة الثلاثة الذين هم: أمير المؤمنين، والحسن، والحسين عليهم السلام هي الدعوة والخروج مع كمال الخصال المعبرة في ذلك) انتهى من المجموع المنصوري في القسم الأول.

وقال الإمام المهدي عليه السلام في الأزهار (وطريقها الدعوة).

وقال القرشي في المنهاج: (اتفق الناس على أن الإمام لا يصير إماماً بنفس صلاحية بل لابد من أمرٍ) واختلفوا في ذلك الأمر ثم ساق الكلام في ذلك إلى أن ذكر مذهب أهل البيت وهو قوله والدعوة والخروج ممن صلح من أولاده (يعني أولاد أمير المؤمنين) ثم قال وهذا هو الحق) انتهى انظر شرح الاساس ص ١٣٧.

وقال الإمام القاسم بن محمد عليه السلام في الأساس (وطريقها الدعوة).

وقال الإمام محمد بن القاسم الحوثي عليه السلام (وقد أجمعت الأمة أيضاً على اعتبار معنى الدعوة التي ذكرناها في حق الإمام إلا أصحاب النص وقد بطل قولهم فتعين الحق في قول من عداهم).

ولا دليل يدل على اعتبار أمر زائد على الدعوة من العقد والاختيار والإرث والجزاء والقهر والغلبة، وما لم يقيم عليه دليل لم يجز إثباته لما مر، ولأنه يفتح باب الجهالات) انتهى ص ١٠٤ من الموعظة الحسنة.

وقال السيد العلامة محمد بن عبد الله عوض حفظه الله في المركب النفيس ص ٤٢ (ما لفظه: وأنَّ طَريقَها مِنْ بَعدِ الثَّلاثَةِ: الدَّعوةُ والقيامُ بِمَنْ جَمَعَ شَروطَها التي مِنْ أَهمِّها: كَثَرَةُ العِلْمِ، والوَراءَةُ، والشَّجاعةُ، والسَّخاءُ، وجودةُ الرَّأيِّ، وحُسْنُ التدبِيرِ... انتهى).

وذكر ذلك مولانا الإمام مجد الدين عليه السلام كما سيأتي آخر الكتاب إن شاء الله تعالى

بيان معنى الدعوة

الدعوة تكون كما قدمنا إلى إحياء الكتاب والسنة كما ذكر إجماع آل الرسول على ذلك في الجامع الكافي ولا يشترط التصريح بالدعوة إلى الإمامة بل الدعوة إلى ما تُقام الإمامة من أجله كما تقدم في الفصل السابق.

قال الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة عليه السلام: (وأما أن الدعوة طريق ثبوت الإمامة، فاعلم أن معنى الدعوة هو التجرد للقيام بالأمر، والعزم عليه، وتوطين النفس على احتمال أثقاله، ومباينة الظالمين، ولا خلاف بين الأمة في أن الإمام يجب كونه على هذه الصفات بعد بطلان قول الإمامية، ولا دليل على كون غيرها طريقاً إلى الإمامة؛ فلو بطلت الدعوة لخرج الحق عن أيدي الأمة وصار كل فريق منهم يقول: هو باطل، وذلك ينقض كون إجماع الأمة حجة وذلك فاسد) انتهى ص ٣٤٤ من المجموع المنصوري القسم الأول.

وقال في شرح الأزهار عند قوله (وطريقها الدعوة) (ومعنى الدعوة أن يدعو الناس إلى جهاد الظالمين واقامة الحدود والجُمع وغزو الكفار والبغاة ومباينة الظالمين حسب الامكان) انتهى ص ٤١٩ الجزء العاشر وذهبوا على ذلك.

وقال في شرح الأساس مفسراً قول صاحب الأساس (وطريقها بعد الحسنين القيام والدعوة) ما لفظه: (ومعنى ذلك أنه ينصب نفسه لمحاربة الظالمين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويشهر سيفه وينصب رايته ويبث الدعاة للناس إلى إجابته ومعاونته وعلى هذا إجماع العترة عليهم السلام وشيعتهم رضي الله عنهم) انتهى ص ١٩٢.

وقال السيد العلامة محمد بن عبد الله عوض حفظه الله في كتاب قصد السبيل ص ٢١١ ما لفظه (ولا بد لصحة الإمامة من شروطها:

- ١- أن يكون الإمام مستجعماً لشروطها التي قدمنا ذكر بعضها، ومنها:
- ٢- الدعوة والظهور والإعلان، ومعنى ذلك أن ينصب نفسه لمحاربة الظالمين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويشهر سيفه، وينصب رايته، ويبث الدعاة للناس، إلى إجابته ومعاونته، ومن هنا روي عن النبي ﷺ: «من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر من ذريتي فهو خليفة الله وخليفة رسوله وخليفة كتابه».

ذكره الهادي عليه السلام وغيره. انتهى.

وكما ورد في دعوات كثير من الأئمة قال الإمام إدريس بن عبد الله عليه السلام في دعوته: (فإني أدعوكم^(١) إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وإلى العدل في الرعية، والقسم بالسوية، ورفع المظالم، والأخذ بيد المظلوم، وإحياء السنة، وإماتة البدعة، وإنفاذ حكم الكتاب على القريب والبعيد) انتهى ص ١٤٠ من التحف.

وقال الإمام الحسين بن علي الفخري عليه السلام في دعوته: (أيها الناس أنا ابن رسول الله، على منبر رسول الله، في مسجد رسول الله، أدعوكم إلى كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، أيها الناس أطلبون أثر رسول الله ﷺ في الحجر والعود وهذا - ثم مديده - من لحمه ودمه؟ انتهى ص ١٠٩ من التحف.

وقال الإمام الهادي عليه السلام في دعوته ما لفظه: (فإني أدعوك إلى كتاب الله وسنة نبيّه ﷺ، وإلى ما أمرني الله أن أدعوك إليه، وأخذ به علي العهد والميثاق، من الأمر بالمعروف الأكبر، والنهي عن التظالم والمنكر، وإلى أن نحل نحن وأنت ما أحل لنا الكتاب، ونحرم نحن وأنت ما حرمه علينا، وإلى الاقتداء بالكتاب والسنة، فما جاء به اتباعه، وما نهي عنه رفضناه، وإلى أن نأمر نحن وأنت بالمعروف في كل أمرنا ونفعله، وننهي عن المنكر جاهدين ونتركه، وإلى مجاهدة الظالمين من بعد الدعاء إلى الحق لهم، والإيضاح بالكتاب والسنة بالحجج عليهم، فإن أجابوا فلهم ما للمسلمين وعليهم ما على المؤمنين، وإن خالفوا الحق وتعلقوا بالفسق حاكمناهم إلى الله سبحانه، وحكمنا فيهم بحكمه، فإنه يقول سبحانه: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٩٣]، والعدوان هنا فهو: الجهاد والعدو على من ظهر منه الاجترار على الله والاعتداء) انتهى من المجموع ص ٥١٣ إلى غير ذلك من دعواتهم وهي موجودة في كتاب التحف والحدائق وغير ذلك.

(١) الخطاب موجّه إلى أحمد بن يحيى بن زيد.

فصل

في أن خذلان الناس لا يبطل إمامة القائم

إن واجب الأئمة من أهل البيت هو الدعوة للناس إلى كتاب الله وسنة رسوله وإحياء الدين ومجاهدة الظالمين وتبيين وجوب ذلك على الناس أجمعين فمتى استجاب لهم القدر الكافي للقتال قاموا بذلك ومتى لم تحصل الإجابة ولم يتوفر الأعوان فقد قاموا بما هو واجبهم وتقع المسؤولية والمؤاخذه من الله سبحانه وتعالى على من خذلهم ولم يجب دعوتهم قال الإمام المنصور بالله عليه السلام ص ٤٤٦ من كتاب المهذب (ومعصية الرعية في ترك إجابة إمام الحق بعد تجرده للقيام لا تسقط إمامته؛ لأن اللوم عليهم في ذلك دونه) انتهى.

فإمامة الداعي لهم إلى ما فيه صلاحهم وفلاحهم ثابتة سواء رضي الناس بذلك أم سخطوا كما ذكر الإمام الهادي عليه السلام بعد ذكره لصفات الإمام حيث قال مالفظة: (وتجب له على جميع الانام بشييت الله لها فيه وجعله إياها له وذلك فإنها يكون من الله إليه إذا كانت الشروط المتقدمة التي ذكرناها فيه فمن كان من أولئك كذلك فقد حكم الله له بذلك رضي بذلك الخلق أم سخطوا قال: وليس تثبت الامامة بالناس للإمام كما يقول أهل الجهل من الانام إن الامامة بزعمهم إنما تثبت للإمام برضى بعضهم وهذا فأحول المحال وأسمج ما يقال به من المقال بل الامامة تثبت بشييت الرحمن لمن ثبتها فيه وحكم بها له من الانسان رضي المخلوقون أم سخطوا) انتهى من الأحكام. ص ٤١٦ من الجزء الثاني.

وقد يستشكل بعض الناس ما ورد في كلام بعض الأئمة كالهادي عليه السلام وغيره، من ذكر الأوصاف، التي يكون عليها الإمام، من شهر السيف وخوض المعارك وغير ذلك من الأوصاف، التي لا تحصل للإمام في مبتدأ أمره وإنما يكون على تلك الأوصاف، بعد استجابة الناس له والجهد بين يديه، فلا يشكل ذلك، لأن مقصدهم بذلك الكلام

هو الرد على من يدعي الإمامة لمن لم يصدر منه دعوة فأما الداعي فقد أدى ما يجب عليه وسواءً أجابه الناس أم لا كما ذكر الإمام أبو طالب عليه السلام عن حال الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام حيث قال ما لفظه: (فإن قال قائل: إذا كانت الدعوة عندكم من شرائط الإمامة فلم قلتم بإمامته ولم تظهر منه الدعوة؟ قيل له: هذا غلط قبيح، لأننا قد بينا فيما تقدم أن الغرض بالدعوة هو الانتصاب للأمر؛ وحث الناس على متابعتة له؛ وإظهار مباينة الظالمين والتجرد لقصدتهم ودفعهم؛ وليس الغرض بها تجييش الجيوش ومباشرة الحرب؛ لأن ذلك مشروط بالتمكن والقدرة؛ واجتماع الأصحاب والأنصار. والقاسم عليه السلام قد بلغ النهاية في إظهار الدعوة لأنه كتب إلى الآفاق ودعا الناس إليها وباين الظالمين وهاجر عنهم وحث الناس على مجاهدتهم ومن مذهبه عليه السلام أن الهجرة من الدار التي تغلب عليها الظالمون واجبة لا يسع الإخلال بها ومن قرأ كتابه عليه السلام في الهجرة صعب عليه الأمر إن لم يعول على التوبة) وساق في ذلك إلى أن قال وكان في أكثر عمره مستتراً إلى أن قضى نحبه وقد حصل له عليه السلام ثواب الدعاة المجاهدين والأئمة السابقين) انتهى ص ٢٤٥ من كتاب الدعامة

فالأمر كما ذكرنا فسواء استجاب الناس أم لم يستجيبوا كما ذكر السيد العلامة محمد بن عبد الله عوض حفظه الله في كتابه قصد السبيل ص ٢٩٦ حيث قال ما لفظه: (ولا يشترط حصول ما يدعو إليه الإمام، بل المشروط ما ذكرنا سواء حصلت الإجابة أم لم تحصل.

وتما كما كان أنبياء الله، فإنهم كانوا يعلنون الدعوة إلى الله، ويعلنون الثورة على الفساد، ومنهم من صار له أتباع وسلطان، ومنهم من لم يحصل له شيء من ذلك ومنهم بين بين، ولم يجئ فيما قص الله تعالى عن أنبيائه ورسله أن أحدا منهم سكت، وأغلق بابه، بل دعا كل نبي إلى تقوى الله وطاعته وترك الفساد والظلم، وبالغوا في ذلك أشد المبالغة) انتهى.

وأقول إن السبب الأكبر في عدم حصول ما يدعو إليه القائم من صلاح البلاد والعباد هو بسبب تحاذل الاتباع كما قال الإمام علي عليه السلام: (أَيُّهَا النَّاسُ لَوْ لَمْ تَتَّخِذُوا عَنْ نَصْرِ الْحَقِّ وَلَمْ تَهْنُوا عَنْ تَوْهِينِ الْبَاطِلِ لَمْ يَطْمَعْ فِيكُمْ مَنْ لَيْسَ مِثْلَكُمْ وَلَمْ يَقَوْ مَنْ

قَوِيَّ عَلَيْكُمْ لَكُمْ تَهْتُمُ مَتَاهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ) انتهى من نهج البلاغة.

قال الإمام محمد بن القاسم الحوثي عليه السلام بعد ذكره للآيات والأحاديث القاضية بوجوب إجابة الدعاة من أهل بيت المصطفى عليه السلام مالفظة: (إذا تقرر هذا، فنقول: إن أكثر الناس قد تعاملوا عن هذا الواجب العظيم، والتكليف الجليل الفخيم، وتساهلوا به، وتغاضوا عنه، وفرطوا فيه، كما قال تعالى: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٠]، ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣]، ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود: ٤٠]، إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور.

فلو كان مسألة من المسائل الفرعية، أو حكمٌ من الأحكام الشرعية ورد فيه ما ورد في حق الإمام، واشتهر ونقل عند علماء الإسلام، لتسارعت الأمة إلى تاركة بأنواع المذام، وحكموا بضلاله وهلاكه بالألسن والأقلام، فما ظنك بهذا الواجب القطعي، والحكم الأصلي، الذي تدور رحا الإسلام عليه، وتسند المصالح الدينية إليه، وتسد به الثغور، وتدفع به الشرور، وتتنظم به أحوال الجمهور، وتقوم به فريضة الجهاد، الذي هو سنام الدين، وسنة الأنبياء والخلفاء الراشدين، ويتم به الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فيتتصر المظلوم، ويتصل المحروم، وتقام الحدود، ويردع الظالم العنود، وتنفذ الشرائع والأحكام، ويميز الحلال من الحرام، ويعبد الله في كل مقام، وتأمين السبلات، وتؤتي الواجبات، وتجتنب المقبحات، وتنزل البركات.

وعلى الجملة فما من فريضة من الفرائض، ولا مصلحة من المصالح إلا وهي معولة عليه، ومستمدة منه، والله أعلم بمصالح عباده.) انتهى ص ٤٠ من الموعظة الحسنة

البيعة ليست بشرط

البيعة ليست بشرط في إمامة الإمام من أهل البيت عليه السلام وإنما هي حق للإمام إن شاء طلبها وإن شاء ترك قال في البحر الرخار (وتجب له البيعة إن طلبها)
وقال أهل المذهب في شرح الأزهار تجب أيضا (بيعته إن طلبها) أي إذا طلب الإمام من بعض المكلفين أن يبايعه على طاعته وجب عليه أن يبايعه (وتسقط عدالة من أباه) أي من أبي أن يبايع الإمام وقد طالبه [انتهى ص ٤٢٤ الجزء العاشر.

الإمامة لا تحتاج إلى العقد والاختيار والإجماع

الإمامة ثابتة من الله لمن كان على ما ذكرنا من أهل بيت المصطفى صلى الله عليه وآله وليست بحاجة في ثبوتها إلى اختيار الناس وإجماعهم ولا بيعة أهل الحل والعقد والبيعة حق للإمام كما قدمنا ذكره وقد ذكر ذلك أئمة أهل البيت وأتباعهم قال الإمام الهادي عليه السلام : (وسألت عن إثبات الإمامة في الإمام من آل رسول الله صلى الله عليه وآله، فقلت: بما تثبت له أبعقد الناس وإجماعهم عليه، أم برواية رويت عن الرسول فيه، أم بغير ذلك؟
واعلم هداك الله أن الإمامة لا تثبت بإجماع الأمة، ولا بعقد برية، ولا برواية مروية، ولكن تثبت لصاحبها بتثبيت الله لها فيه، وبعقدها في رقاب من أوجبها عليه من جميع خلقه وأهل دينه وحقه،) انتهى ص ٥٧٣ من المجموع
وقال الإمام المهدي أحمد بن الحسين عليه السلام الملقب بأبي طير في كتابه المجموع ص ١٥٧ ما لفظه.

(فأما قولك. أيدك الله. وصدر الكل من المجلس والحسبة غير ثابتة، بل هي موقوفة على المراجعة، فما الحسبة. رحمك الله. تثبت بتثبيت أحد من الخلق، ولا تحتاج إلى أهل الحل والعقد، قال الله تعالى: ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ

الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٣﴾ آل عمران: ، فأمر تعالى عباده الصالحين بالدعاء إلى الدين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأوجب لهم الطاعة من غير عقد، وقال تعالى: {ومن أحسن قولاً ممن دعاء إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين}، وقال تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]، ولو كان إجماع الخلق شرطاً في ثبوت الولاية لأولياء الأمر، لما صحت ولاية سيد المرسلين صلوات الله عليه وعلى آله الطيبين، ولا ثبتت إمامة الأئمة الهادين، لأن الخلق كلهم لا يجتمعون على ذلك أبداً، ولا يدينون به أصلاً، وقد ورد بذلك نص القرآن، وحكم بأن الأكثر هم أهل العصيان، وقد شك الناس في رسول الله ﷺ، فما انهدمت بذلك نبوته، ولا زالت بالشك فيه ولايته.. إلخ) انتهى

وقال السيد العلامة بدر الدين بن أمير الدين عيسى في كتابه إرشاد الطالب ص ١٦.
(والولاية من بعده لأخيار أهل البيت: الحسن والحسين وذريتهما الأخيار أهل الكمال منهم، لقول رسول الله ﷺ: (إني تارك فيكم ما إن تمسكتكم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي) إلى آخر الحديث، وفي الحديث المشهور: واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بن هاشم).

والولاية لمن حكم الله بها له في كتابه وسنة رسول الله ﷺ رضي الناس بذلك أم لم يرضوا، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦] وقال تعالى ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤] فالأمر إلى الله وحده، وليس للعباد أن يختاروا غير من ولاه الله في شريعته. ولا دخل للشورى في الرضاء بحكم الله أوردته لأنه لا خيار للناس في أمر قد قضاه الله ورسوله، بدليل قوله تعالى ﴿إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقْضِ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧] وقوله تعالى ﴿مَا هُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٦] والشورى فيما عدا ذلك من الأمور العامة للمتشاورين، كتعيين وقت الحرب، أو مكانه، وكالحرب أو الصلح لمن يجوز حربه وصلحه شرعاً، وليس معنى

الشورى النظر فيما يهواه الناس ويرضاه عامتهم لموافقة أهوائهم بل معنى المشاورة هو المفاوضة بين المتشاورين ليبيدي كل واحد رأيه فيما يدفع الشر، أو يجلب الخير، فالشورى لتبيين الرأي المصيب لا ليختاروا ماشاءوا، ولا ليتراضوا على ما يهونه خطأ أو صوابا، حقا أو باطلا، بل الواجب عليهم اتباع الحق، وإن خالفه الجمهور. والمشرع هو الله المالك للشعوب، فالولاية الشرعية هي دستورية، إلا أن دستورها مادل عليه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وهذا الدستور تنفذ أحكامه في الحكومة والشعب وفي القريب والبعيد، وفي الشريف والوضيع، ولذلك فلا مجال للاستغلال، ولا للإحتكار، ولا للإستبداد والولاية الشرعية هي الإمامة الصحيحة، فأما الإستبداد والإحتكار والإستغلال فلا يصح سواء باسم الإمامة أو باسم الملك، أو باسم الرئاسة فالحكم للمعنى لا لمجرد الاسم. انتهى.

فصل

في عدم ثبوت الإمامة بالوصية

لا تثبت الإمامة بالوصية عند أهل البيت عليهم السلام بل هم مجمعون على خلاف ذلك وقد رد الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام على من قال بالوصية في كتابه الرد على الروافض وناقش القائلين بذلك نقاشاً بليغاً انظر كتابه المجموع وقال الإمام الهادي عليه السلام مبيناً بطلان الوصية وسبب القول بها ما لفظه: (وإنما فرّق بين زيد وجعفر قوم كانوا بايعوا زيد بن علي، فلما بلغهم أن سلطان الكوفة يطلب من بايع زيدا ويعاقبهم، خافوا على أنفسهم فخرجوا من بيعة زيد ورفضوه مخافة من هذا السلطان، ثم لم يدروا بم يحتجون على من لامهم وعاب عليهم فعلهم، فقالوا بالوصية حينئذ، فقالوا: كانت الوصية من علي بن الحسين إلى ابنه محمد، ومن محمد إلى جعفر، ليموهوا به على الناس، فضلوا وأضلوا كثيراً، وضلوا عن سواء السبيل، اتبعوا أهواء أنفسهم،

وآثروا الدنيا على الآخرة، وتبعهم على قولهم من أحب البقاء وكره الجهاد في سبيل الله ثم جاء قوم من بعد أولئك فوجدوا كلاماً مرسوماً في كتب ودفاتر، فأخذوا بذلك على غير تمييز ولا برهان، بل كابروا عقولهم، ونسبوا فعلهم هذا إلى الأخيار منهم؛ من ولد رسول الله عليه وآله، كما نسبت الحشوية ما روت من أباطيلها وزور أقاويلها إلى رسول الله ﷺ، ليثبت لهم باطلهم على من اتخذوه مأكلة لهم، وجعلوهم خدماً وخولاً، كما قال الله عز وجل في أشباههم: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُ الَّذِي أَخَذُوا أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ﴾ [الأعراف: ١٦٩].

وكذلك هؤلاء الذين رفضوا زيد بن علي وتركوه، ثم لم يرضوا بما أتوا من الكبائر؛ حتى نسبوا ذلك إلى المصطفين من آل الرسول؛ فلما كان فعلهم على ما ذكرنا، ساهم حينئذ زيد روافض، ورفع يديه فقال: «اللهم اجعل لعنتك ولعنة آبائي وأجدادي ولعنتي على هؤلاء الذين رفضوني، وخرجوا من بيعتي، كما رفض أهل حروراء علي بن أبي طالب عليه السلام حتى حاربوه.» فهذا كان خبر من رفض زيد بن علي وخرج من بيعته. انتهى ص ٦٢ من المجموع

وقد أبطل القول بالوصية مولانا الإمام مجد الدين عليه السلام كما سيأتي في آخر الكتاب إن شاء الله تعالى.

وقد يتشبه بعض الناس بالمتشابه من أقوالهم ليكون عذراً له في التخلف عن القائم منهم ولكن ذلك غير مخلص له عند خالقه كما ذكره الهادي عليه السلام فإن في كلامهم المحكم والمتشابه فيجب رد المتشابه إلى المحكم كما أمر الله به في القرآن العظيم إذ هم أحد الثقلين الذين يجب علينا بالنسبة لكلامهم ما يجب في القرآن العظيم.

فإن قيل إن الهادي عليه السلام قد عدّ زين العابدين عليه السلام بين الأئمة وهو لم يقم ولم يدعُ وليس ذلك إلا بالوصية وذلك دليل على صحة كون الوصية طريقاً إلى الإمامة

فأقول وبالله التوفيق:

أولاً: ليس في كلام الهادي عليه السلام ما يدل على ذلك وإنما أراد أن الله أوصى الأمة باتباع أهل البيت عليهم السلام وإليك أخي القارى نص كلامه قال عليه السلام في كتاب معرفة الله ص ٦٢.

بعد الكلام الذي قدمنا ذكره آنفاً ما لفظه: (وأما الوصية فكل من قال بإمامة أمير المؤمنين ووصيته، فهو يقول بالوصية، على أن الله عز وجل أوصى بخلقه على لسان النبي إلى علي بن أبي طالب والحسن والحسين، وإلى الأخيار من ذرية الحسن والحسين، أولهم علي بن الحسين وآخرهم المهدي، ثم الأئمة فيما بينهما وذلك أن تثبيت الإمامة عند أهل الحق في هؤلاء الأئمة من الله عز وجل على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله، فمن ثبت الله فيه الإمامة، واختاره واصطفاه، وبين فيه صفات الإمام؛ فهو إمام عندهم مستوجب للإمامة، لقول النبي صلى الله عليه وآله، إذ يقول: «من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر من ذريتي فهو خليفة الله في أرضه، وخليفة كتابه، وخليفة رسوله.» قال: من ذريتي، فولد الحسن والحسين من ذرية النبي صلى الله عليه وآله ثم قال: «عليكم بأهل بيتي، فإنهم لن يخرجوكم من باب هدى، ولن يدخلوكم في باب ردى.»، وقال: «مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق وهوى.»، وقال: «النجوم أمان لأهل السماء، وأهل بيتي أمان لأهل الأرض، فإذا ذهبت النجوم من السماء أتى أهل السماء ما يوعدون، وإذا ذهب أهل بيتي من الأرض أتى أهل الأرض ما يوعدون» يعني في جميع ذلك: الصالحين من ولده، وقال صلى الله عليه وآله عليه وعلى أهل بيته: «من سمع واعيتنا أهل البيت فلم ينصره لم يقبل الله له توبة حتى تلفحه جهنم.» ثم قال: «من مات لا يعرف إمامه مات ميتة جاهلية.» انتهى ص ٦٣.

فلم يقل إنه من الأئمة وإنما ذكر أن الله أوصى الناس باتباع أهل البيت من بعد علي والحسين بدأ بعلي بن الحسين وختاماً بالمهدي وأن الأئمة فيما بينهما.

ثانياً: إنَّ الهادي عليه السلام لم يعد زين العابدين عليه السلام بين الأئمة الذين عدّهم في كتابه هذا ولا في غيره من كتبه.

ثالثاً: لم يذكر أحد من أهل البيت عليه السلام أن الإمامة تثبت بالوصية بل هم مجمعون على خلاف ذلك كما قدمنا.

رابعاً: قد نفى إمامته ولده الإمام الأعظم زيد بن علي عليه السلام وأقسم على ذلك كما أورد كلامه مولانا الإمام مجد الدين عليه السلام في التحف حيث قال ما لفظه: (وروى حسن بن علي بن يحيى بن أبي يعلى عن عمر بن موسى، قال: قلت لزيد بن علي: أكان علي إماماً؟

فقال: كان رسول الله ﷺ نبياً مرسلًا، لم يكن أحد من الخلق بمنزلة رسول الله ﷺ ولا كان لعلي ما يذكر الغالية، فلما قبض رسول الله ﷺ كان علي من بعده إماماً للمسلمين في حلالهم وحرامهم، وفي السنة عن نبي الله ﷺ وتأويل كتاب الله ﷺ فما جاء به علي من حلال أو حرام أو كتاب أو سنة كان رده عليه كفراً، فلم يزل ذلك حتى أظهر السيف وأظهر دعوته واستوجب الطاعة ثم قبضه الله شهيداً.

ثم كان الحسن والحسين فوالله ما ادعيا منزلة رسول الله ﷺ، ولا كان من رسول الله ﷺ من القول فيهما ما قال في علي عليه السلام، وأيضاً أنه قال: سيدا شباب الجنة، فهما كما سماهما رسول الله ﷺ، وكانا إمامين عدلين فلم يزاك ذلك حتى قبضهما الله تعالى شهيدين، ثم كنا ذرية رسول الله ﷺ من بعدهما ولد الحسن والحسين، ما فينا إمام مفترضة طاعته، ووالله ما ادعى علي بن الحسين أبي ولا أحد منزلة رسول الله ﷺ ولا منزلة علي، ولا كان من رسول الله ﷺ فينا ما قال في الحسن والحسين غير أنا ذرية رسول الله ﷺ، فهؤلاء يقولون حسدت أخي وابن أخي، أحسد أبي حقاً هو له، لبئس الولد أنا من ولد، إني إذاً لكافر إن جحدته حقاً هو له من الله، فوالله ما ادعاها علي بن الحسين، ولا ادعاها أخي محمد بن علي منذ صحبتته حتى فارقني... إلخ) انتهى ص ٧٣

خامساً: قد صرح الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة عليه السلام بنفي إمامة زين

العابدين عليه السلام في كتابه العقد الثمين ص ١٧٠ حيث قال مالفظة: (وأما قولهم: تصح إمامة الإمام وإن أغلق بابه وأرخص ستره وداهن الظالمين وأمنهم وأمنوه وسالمهم وسالموه فهذا قولهم، وشاهد الحال لو لم يظهر ذلك شهيد بما قلنا عليهم لأنهم أثبتوا الإمامة للقاعد ورفضوا القائم المجاهد، فأثبتوها لعل بن الحسين عليه السلام، ورفضوا الحسن بن الحسن عليه السلام، وهو الذي عقدت له البيعة وتجرد للقيام والجهاد وعقدت له البيعة في الآفاق، فامتلاّت قلوب الظالمين منه رعباً وخوفاً، ولقي الحجاج وكان لا يصطي بناره جنوده التي كانت مع [ابن] الأشعث من صناديد المسلمين والعلماء والفقهاء، وسفك من دماء الظالمين ما لا يحصى، ولم يزل في حلوق الظالمين شجىً معترضاً حتى دس عليه السم فمات، وأثبتوا الإمامة لمحمد بن علي عليه السلام ورفضوا زيد بن علي عليه السلام، وهو القائم المجاهد الذي ورد فيه من الرسول ﷺ ما ورد، وكذلك كلامهم في جعفر بن محمد عليه السلام، ورفضوا يحيى بن زيد، ولو شرحنا لطلال الشرح، وهذا القدر كافٍ في الإستشهاد) انتهى

سادساً: إن الوصية من الإمام السابق للإمام اللاحق ليست موجبة لإمامته وإنما هي باعثة على ذلك فأما الطريق إلى الإمامة فليست إلا الدعوة كما ذكره أئمتنا عليهم السلام قال الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة عليه السلام في المجموع المنصوري القسم الثاني ص ٥٤٨ مبيناً لذلك مالفظة: (الجواب عن ذلك: أن السؤال يشتمل على أربع مسائل:

الأولى: هل تعريف الإمام السابق يكفي في صحة إمامة من بعده... إلى آخر السؤال أم لا؟

والجواب عن ذلك: إن الأمام لا يخلو إما أن يكون ممن علمت عصمته أم لا يكون كذلك، فإن كان ممن علمت عصمته كأمر المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وولديه سلام الله عليهم وعليه فإن نص من هذه حاله على إمامة شخص من الأشخاص يوجب اتباعه وتلزم ولايته وموالاته واعتقاد فرض إمامته، وإن كان غير معصوم فإن نصه على الإمام يكون مقوياً لأمره باعثاً على اتباعه؛ إذ إمامة ذلك الشخص لا تثبت

إلادعوته وتجرده للقيام بالأمر وتوطين النفس على تحمل أثقاله، فبذلك تجب إمامته، وما يثبت بالنص يوجب إمامة الإمام وإن لم يتصرف لبعض الأعدار، فالأعذار لا تسقط فرض إمامته، ولهذا قال النبي ﷺ في ولديه الحسن والحسين سلام الله عليهما: «الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا» فأثبتت الإمامة مع القعود لما كان ثبوتها بالنص، ومن لا نص عليه فالأعذار تسقط فرض إمامته وتوجب إقامة من يزول عذره ممن يصلح لذلك، فهذا هو الفرق بين الأمرين (انتهى)^(١)

سابعاً: قد أجمع أهل البيت ﷺ على أن الطريق الوحيد إلى الإمامة هو الدعوة وأجمعوا على بطلان ما عداها كما قدمنا وكما سيأتي إن شاء الله.

ثامناً: الإجماع الفعلي بين أئمة الزيدية على مر التاريخ جار على خلاف ذلك فإنهم في كل زمان يقوم القائم منهم فيبايعونه أو يطلبون منه القيام ولم يعهد بينهم العمل بالوصية من الإمام السابق للاحق وذلك يؤكد ما ذكرنا بل قد أوصى الإمام محمد بن إبراهيم ﷺ وخالفوا وصيته وبايعوا الإمام محمد بن محمد بن زيد ﷺ وقد أوصى الإمام شرف الدين ﷺ إلى أولاده في القيام بأمور الناس وشرط عليهم تسليم الأمور إذا قام القائم من أهل البيت إليه وحرَّج عليهم في ذلك كما هو مذكور في سيرته وفيما قدمنا كفاية لمن أنصف^(٢).

(١) مع العلم أنها لم يقعدا بل قاما، وقيامهما معلوم بالضرورة. تمت شمس الدين.

(٢) هذه الفقرة من الكلام تشير إلى أن الكتاب موجه إلى طائفة مخصوصة أراد المصنف توجيه الخطاب إليها وهذا لا بأس به إلا أنه لو كان الكلام موجهاً إلى سائر أفراد الأمة.

و قد عالج الكتاب مسألة من أعظم المسائل كهذه المسألة (الإمامة وفيمن تكون وما شرطها وما طريقها.. الخ) لكان أولى وأحرى ليكون برهاناً وحجة على المخالف أياً كان، كما يمكن الإشارة إلى الطائفة المخصوصة المعارضة المستهدفة من الكلام من باب أولى بما هو حجة عليهم من قول أئمتهم وأكابر علمائهم. تأمل موفقاً تمت شمس الدين.

فصل في الكرامات

الكرامات التي يجعلها الله لبعض عباده الصالحين هي حقيقة وواقعة لا يجوز التكذيب بها كما ذكر ذلك مولانا الإمام مجد الدين رحمته الله في اللوامع وهي دالة على فضل من وقعت له وليست طريقاً إلى الإمامة والزعامة لوجهين.

الوجه الأول: أن الإمامة شرعية من الله سبحانه وتعالى كما تقدم فالطريق إلى معرفة الإمام من غيره تكون بالأدلة الشرعية التي هي الكتاب والسنة والإجماع والقياس كما ذكرها العلماء والكرامات ليست منها فلا يصح أن تكون طريقاً.

الوجه الثاني: أن الكرامات تحصل للإمام ولغير الإمام فلا يمكن أن تكون دالة على الإمامة لدخول الاحتمال فيها ولا يجوز إثبات أمر عظيم في الدين بدليل محتمل وهذا على فرض كونها دليلاً وإلا فالأدلة الشرعية هي ما ذكرنا.

أما حصولها لغير الإمام فذلك معلوم لا ينكر وقد ذكر الإمام مجد الدين رحمته الله في اللوامع كثيراً من الكرامات لبعض الفضلاء من غير أهل البيت عليهم السلام ومن غير الأئمة وذكر أن تلك الكرامات لا يكون بها أولئك الفضلاء أفضل من أئمة أهل البيت عليهم السلام قال رحمته الله في الجزء الثاني من اللوامع ص ٢٤١ في سياق الحديث عنها ما لفظه: (بل ولا تدل على فضل من وقعت له ممن ليس بإمام أو ليس من آل محمد، على الأئمة الهادين، والعترة الطاهرين؛ لكون هؤلاء الأفاضل الأكرمين من خُلص أتباعهم، ولباب أشياعهم، المقرين بتفضيلهم، المتقرين إلى الله تعالى. بمودتهم؛ بل هي دالة على فضل آل محمد. صلوات الله عليهم. وبرهان على ما لهم عند الله تعالى. من علو الشأن، وعظم المكان) إلخ انتهى.

فذكر رحمته الله أنها لا تدل على فضل من وقعت له سواء كان من العترة أم من غيرهم على الأئمة من أهل البيت فلو كانت تدل على الإمامة لما كان لقوله معنى ولخص

بالذكر من كان من غير العترة فقط وهذا ظاهر^(١).

فإن قيل إن إرسال الكرامة من الله لعالم من أهل البيت يدل دلالة واضحة على أنه إمام يجب اتباعه لأنها كالمعجزات الدالة على صدق الأنبياء.

فأقول والله الموفق: القياس على الأنبياء باطل لأن المعجزات تقع لمدعي النبوة لتكون شاهدة بصدق دعواه لكي يتبعه الناس فأما بالنسبة للعالم الفاضل الداعي إلى نهج النبي ﷺ فلا داعي إلى تصديق الله له بالمعجزات لأن الله قد بين الطريق للناس فيما أنزل على أنبيائه وقد أيد الأنبياء بالمعجزات الدالة على صدقهم.

فالطريق واضح بما أنزل في كتابه وعلى لسان رسوله فالكرامات الواقعة للعلماء الصالحين من الآل بعد الأنبياء ليست إلا من تمام معجزات الأنبياء لأنهم دأبوا إلى نهجهم فإذا حصلت لعالم من العلماء دون العالم الآخر ممن هم دأبوا إلى نهج الأنبياء وهم على منهج واحد مع اختلافهما في النظر فيما فيه الصلاح للدين فليست دالة على تصويب من وقعت له على غيره لأنهم قد يكونون مصيبين جميعاً لأن كل واحد منهم ينظر فيما هو الأصلح للدين وكل منهم مكلف أمام الله بما يراه هو الصواب فكل مجتهد مصيب وليس معنى ذلك هو أن الحق مع هذا ومع هذا لا ليس كذلك لأن الحق واحد لا يتعدد وإنما معنى ذلك أن كل شخص منهم قد قام بما يجب عليه أمام الله لأن الله قد أوجب على كل عالم مجتهد العمل بما أدى إليه نظره سواء أصاب أم أخطأ بعد أن وفى الإجتهد حقه وقد قال الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا﴾ [الطلاق: ٧]

فإذا حصلت الكرامات لمن أخطأ في اجتهداه فليس فيها ما يدل على إصابته وخطأ غيره لأن تلك الكرامات ليست هي الطريق للناس إلى معرفة المصيب الذي يجب

(١) وهذا الكلام موجه كما هو واضح إلى فئة مخصوصة، أي أنه لا بد أن تكون هناك كرامات أو تشتت وجود وحصول كرامات لمن يدعي الإمامة أو أفضلية من حصلت له الكرامة على الإمام المجاهد في سبيل الله. والاستدلال بكلام المولى محمد الدين يدل على ذلك إذ هو عند هؤلاء حجة. تمت شمس الدين.

اتباعه من المخطئ الذي لا يجب اتباعه والطريق إنما هي الأدلة الشرعية وهي الكتاب والسنة كما قدمنا.

فإن قيل إن حصولها للمخطئ في اجتهاده لا يجوز على الله لأن في ذلك تلييساً على الناس.

فأقول والله الموفق:

لا وجه للحكم بعدم الجواز بل هو جائز على الله تعالى لزيادة الابتلاء والاختبار لعباده فيكون كإتزال المتشابه مع المحكم في القرآن ولا يكون تلييساً إلا إذا كانت تلك الكرامات هي الطريق الوحيد إلى معرفة المصيب من المخطئ فأما مع وضوح الطريق بما في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ من الأدلة فلا لبس كما قال الله تعالى: ﴿مَا قَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأَنْعَام: ٣٨] وكما قال النبي ﷺ (تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها) فالطريق واضحة لكل العباد وحصول الكرامات للمخطئ في اجتهاده في تلك الحال هو ابتلاء واختبار والله أن يبتلي عباده بأصناف من البلوى هذا وللكرامات وجوه كثيرة تقع عليها منها إظهار فضل من وقعت له وإن كان مخطئاً في اجتهاده فيكون الفائدة منها هو اللطف لأقرانه المختلف معهم في تحسين الظن به والحمل له على السلامة وحسن النية وأنه لا زال حقيقاً بالفضل والكرامة ومنها غير ذلك فلا فائدة في الإطالة بذكرها ولم يقل أحد من أئمتنا عليهم السلام إنها دالة على الإمامة والله الموفق^(١).

(١) في الكلام نظر؛ إذ الكرامة لو حصلت وعلم حصولها وعلم كونها كرامة بقدر ما تشير إلى فضل من حصلت له بقدر ما هي اختبار وابتلاء له ولغيره يدل على ذلك قول نبي الله سليمان عليه السلام ﴿قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ وبالتالي قد يحصل ما ظاهره الكرامة في الحقيقة لاسيما مع وضوح الحق بالكتاب والسنة. تأمل موفقاً، وهو في حق المخطئ أقرب إلى كونه ابتلاء من كونه كرامة. تمت شمس الدين.

فصل في الإصطفاء

اعلم أن الله سبحانه وتعالى قد اصطفى أهل بيت النبوة عليهم السلام في هذه الأمة كما قدمنا في أول الكتاب وجعل القادة للأمة منهم وقد وردت في بعضهم نصوص خاصة بهم كما ورد في علي والحسين عليهم السلام ووردت نصوص في أهل البيت عامة أنهم أهل الصفوة كما قدمنا في القسم الأول وأن منهم الأئمة والخلفاء إلى أن تقوم الساعة فالمصطفى منهم من غير المنصوص عليهم هو من قام ودعى كاملاً في الشروط التي دلت عليها الأدلة الصحيحة.

وليس هناك نص على أشخاص بأعيانهم كما تدعيه الإمامية إذ لو كان لاشتهر لأنه مما تعم به البلوى علماً وعملاً، وليس هناك أيضاً شخص بعينه يجوز لنا أن نقول فيه بأنه هو المصطفى من دون نظر إلى الصفات التي دلت الأدلة الصحيحة على اشتراط حصولها في المصطفى كون المصطفى منهم لا بد أن يكون مع الدعوة عليها لأن ذلك دعوى لا تستند إلى البرهان فالصحيح من مذهب أهل البيت عليهم السلام أن المصطفى منهم هو الإمام الداعي إلى الله الكامل في الشروط كما تقدم.

يزيد ذلك وضوحاً ما ذكره الإمام زيد عليه السلام حيث قال: (اعلم أنه لا ينبغي لأحد منا أن يدعو إلى هذا الأمر حتى تجتمع فيه هذه الخلال: حتى يعلم التنزيل والتأويل، والمحكم والمتشابه، والناسخ والمنسوخ، وعلم الحلال والحرام، والسنة الناسخة ما كان قبلها، وما يحدث كيف يردّه إلى ما قد كان لمثل ما فيه وله، وحتى يعلم السيرة في أهل البغي، والسيرة في أهل الشرك، ويكون قوياً على جهاد عدو المؤمنين، يدافع عنهم، ويبذل نفسه لهم، لا يُسلمهم حذر دائرة، ولا يخالف فيهم حكم الله تعالى، فهذه صفة من يجب طاعته من آل الرسول صلى الله عليه وآله). انتهى ص ٣٨١ من المجموع

وقال الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام في المجموع ص ٥٥٣ ما لفظه: (وإنما الصفوة لا تكون إلا في أخير أهل زمانه، وأكثرهم اجتهاداً، وأكثرهم تعبدًا، وأطوعهم لله،

وأعرفهم بحلال الله وحرامه، وأقومهم بحق الله، وأزهدهم في الدنيا، وأرغبهم في الآخرة، وأشوقهم للقاء الله.

فهذه صفة الإمام، فمن استبان منه هذه الخصال فقد وجبت طاعته على الخلائق) انتهى.

وقال الإمام الهادي (عليه السلام) في كتاب الأحكام بعد ذكره لصفات الإمام التي قد ذكرناها فيما تقدم ص ٤٦١ ما لفظه: (وقد بين لنا سبحانه من حكم له بالتولية على الامة ومن صرفه عن الامر والنهي عن الرعية فجعل خلفاءه الراشدين وأمناءه المؤمنين من كان من أهل صفوته وخيرته المؤمنين على ما ذكرنا ووصفنا من الصفة التي بينا ووصفنا بها الامام وشرحنا وأخبرنا أن من كان على خلاف ذلك منهم فإنه لا يكون بحكم الله إماما عليهم. وفي ذلك ما يقول الله سبحانه: ﴿أَقْمَنَ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [يونس: ٣٥] انتهى

وقال السيد العلامة بدر الدين بن أمير الدين (عليه السلام) في الجز الأول من التفسير ص ٣٦٦ في شرحه لقوله تعالى: ﴿وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ [البقرة: ٢٤٧] ما لفظه: (وفي الآية دليل على أن أحق المسلمين بالقيادة والملك عليهم هو أعلمهم وأقواهم على هذا الشأن كما قال أمير المؤمنين: (أحق الناس بهذا الأمر أقواهم عليه، وأعلمهم بحكم الله فيه) فالقول: بجواز (إمامة المفضل مع وجود الأفضل) ضعيف إلا أن يكون وجود الفاضل كلا وجود.. كالمحبوس الميؤوس منه، بشرط كمال المفضل في علمه بما يجب في هذا الأمر وعلم الدين كله وكماله في قدرته على القيام بواجبات هذا الأمر، وفضله في ذلك على بقية من في زمانه لدلالة الآية الكريمة على أن صاحب الزيادة أولى وعلى أنه يجب أن يكون صفوة وخيرة) انتهى.

وقال أيضاً في الجزء الأول في التفسير ما لفظه: (ولابد لهم من رئيس هو خيرهم

أعلمهم بواجب هذه الأمة وأقواهم على القيام به وأوسعهم صدرًا وأبلغهم في الزهد والورع) انتهى ص ٥١٥.

فالشخص الداعي إلى الله الكامل في الشروط هو المقصود بالإصطفاء في مذهب أهل البيت عليهم السلام فهو معروف بصفته ظاهر بدعوته لا بدون ذلك.

فإن قيل بأن للمصطفى علامة يعرف بها وهي القهر للأعداء والتمكين من الله له في الأرض.

فأقول والله الموفق:

إن ذلك التمكين لا يصلح أن يكون علامة لإصطفاء ذلك الشخص المتملك لأن معنى التمكين هو التخلية من الله له وتهيئة الأسباب التي بسببها يحصل على التروءس على الناس والتولي عليهم وقد يكون مثل ذلك للملوك الظالمين وللأئمة الهادين فلا يصلح أن يكون علامة لصلاح الشخص من فساده حتى نستطيع أن نحكم له بالإصطفاء ونقول بأنه هو المصطفى بين الناس الذي يجب عليهم اتباعه وطاعته فظهر أن مثل ذلك لا يمكن أن يكون علامة لذلك فلم يبق إلا ما قدمنا ذكره عن أهل البيت عليهم السلام وهو أن المصطفى منهم في كل عصر هو من قام ودعا كاملاً في الشروط المعبرة في الإمامة.

وسيجي مزيد إيضاح لهذا الأمر فيما سيأتي إن شاء الله.

فصل

في بطلان إمامة القاعد

الإمام من أهل البيت هو من دعا الأمة إلى إحياء الكتاب والسنة وكان كاملاً في الشروط المعتمدة حسب ما تقدم ذكره وليس الإمام من جلس في بيته وترك الأمر للظالمين ولم يحرك ساكناً وإن كان ممن يصلح لذلك المقام وذلك أن الإمام قائم مقام النبي ﷺ في كل شيء يوضح ذلك ما ذكره السيد العلامة محمد بن عبد الله عوض حفظه الله في كتابه نظرات ص ٧٨ حيث يقول ما لفظه (وأيضاً فالإمام العادل خليفة للرسول ﷺ ونائب منابه، فإذا وجبت معرفة الرسول ﷺ وجبت معرفة خليفته لتأدية حقه من السمع والطاعة.

وأيضاً فإن كثيراً من فرائض الإسلام مترتب عليه كالجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأخذ الصدقات والخراج، وتوزيع ذلك، وإقامة الحدود والإنصاف بين الناس، وتأمين السبل، وضم الشمل للمسلمين، وجمع الكلمة إلى غير ذلك مما لا يتم إلا به.

قال الإمام يحيى بن حمزة عليه السلام راوياً عن العترة سلام الله عليهم: معرفة إمامة علي عليه السلام فرض عين فتارك النظر فيها مخطئ، إذ معرفة إمام الزمان فرع على معرفته. انتهى من تنمة الاعتصام) انتهى^(١)

وقد أجمع أهل البيت عليهم السلام على أن الطاعة للقائم لا للقاعد مع أن العقل يحكم

(١) قد يحمل هذا على المتمكن ولماذا لا يكون معرفة الإمام في كل زمان فرعاً على معرفة النبوة إذ هي الأصل الأصيل، يؤيد هذا قولك في الصفحة الأولى (وأيضاً فالإمام العادل خليفة للرسول ونائب منابه، فإذا وجبت معرفة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وجبت معرفة خليفته.. الخ نقلاً عن السيد العلامة محمد عبد الله عوض) تأمل موفقاً. تمت شمس الدين.

بذلك وذلك أن الطاعة إنما يحتاجها القائم ليتحقق ما يدعو إليه من إصلاح البلاد والعباد فأما الجالس فليس بحاجة إلى الطاعة بل لا تعقل الطاعة له وفي ماذا يطيعونه هل في الجلوس فهو حاصل منهم أم في ماذا فثبت أن الطاعة للقائم لا للقاعد يزيد ذلك وضوحاً ما ذكره أئمة أهل البيت وعلمائهم ونحن نشير إلى طرف من ذلك.

قال في الجامع الكافي: (وقال: محمد بن علي، وزيد بن علي عليه السلام): وكنا إمامين من أئمة الهدى نحن ولد فاطمة أئمتكم في حلالكم وحرامكم، الإمام منا المفترض الطاعة الشاهر سيفه الداعي إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، وليس الإمام المفترض الطاعة الجالس في بيته، المرخي عليه ستره تجري عليه أحكام الظلمة، ولا تجري حكومته على ما وارى بابه، وذلك أنهم لا يحتاجون إلى الطاعة إلا مع الأمر والنهي، وإقامة الحدود، وأخذ الأفياء، والأخماس في مواضعها، ووضعها في أهلها، والأخذ للمظلوم من الظالم) انتهى نقلاً من المختار ص ٧٣٠.

وقال في شرح الأساس ص ١٩٧ ناقلاً عن الحاكم من كتاب السفينة ما لفظه (وقال فيها أيضاً عن جابر عن أبي جعفر (أي الباقر) عليه السلام) قال ليس منا إمام تفترض طاعته أرخى عليه ستوره والناس يظلمون خلف بابه إنما الإمام المفترض طاعته منا من شهر سيفه ودعا إلى سبيل الله) انتهى

وقال الإمام نجم آل الرسول القاسم بن إبراهيم عليه السلام: (وإنما صفة الإمام، الحسن في مذهبه، الزاهد في الدنيا، العالم في نفسه، بالمؤمنين رؤوف رحيم، يأخذ على يد الظالم، وينصر المظلوم، ويفرج عن الضعيف، ويكون لليتيم كالأب الرحيم، وللأرملة كالزوج العطوف، يعادي القريب في ذات الله، ويوالي البعيد في ذات الله، لا يبخل بشيء مما عنده مما تحتاج إليه الأمة) إلخ... انتهى ص ٥٧٨ من المجموع.

وقال عليه السلام: (وإنما جعل الله الإمام من هدى بأمره، وعُرف بالجهاد في الله مكان صبره، كما قال الله لرسوله، صلى الله عليه وعلى آله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي

مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَآئِيلَ * وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿[السجدة: ٢٣، ٢٤] انتهى

وقال عليه السلام مبيناً أن الإمامة للدعاة القائمين لا القاعدين ما لفظه: (والدليل عليه كتاب الله، يقول الله تبارك وتعالى لنبيه صلى الله عليه وآله: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨] من الدعاة من أهل بيتي.

أليس وصف لنا رب العالمين، بأن حجته داع إليه، كما بدأ برسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ [يوسف: ١٠٨] فقال رب العالمين: إن الحجاج هم الدعاة، فمن رأيتم من أهل بيت نبيكم دعا إلى الله علانية غير مكتتم إلا ما قلنا، فإن أنكرتم لم تنكره الأمة، الذين قالوا بخلاف قولنا وقولكم، فلنا عليكم البيان من غير أهل مقاتلتنا ومقاتلكم، بأن قوماً من أهل بيت النبي مخصوصين، بأنهم دعوا إلى الله، وجاهدوا في سبيل الله، وقتلوا وقتلوا، ومضوا إلى الله على سبيل جدهم محمد ﷺ، وعلي، والحسن، والحسين، الذين جاهدوا في الله حق الجهاد قال الله تبارك وتعالى في الأئمة من أهل بيته: ﴿كونوا قوامين بالقسط شهداء لله﴾ [النساء: ١٣٥] وقال: ﴿جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣] فيما يكونون شهداء عليهم، بما دعوا الأمة فخالفوهم وعصوهم؟ أو بما لم يدعوههم وجلسوا في بيوتهم؟! أفترى بما يشهدون عليهم يوم القيامة، بكتمانهم الحق وجلوسهم في منازلهم، وإظهارهم التقية؟!، أو في إظهارهم الحق ودعائهم إلى الله، وبيان الحق؟ يوأوفي شواهدنا في كتاب الله من دلائل الإمام، قال الله تبارك وتعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠] فهل شك أحد من خلق الله في زيد بن علي؟ ومن قام مقامه من أهل بيت نبيته، ومن مضى من أهل بيته من الأئمة، أنهم أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، وجاهدوا في الله حق جهاده، علانية غير سر، فيا ويحكم أليس هذه دلائل من كتاب الله؟! ينبغي للعاقل أن

يكتفي بها إن شاء الله؟!) انتهى ص ٥٨٠.

وقال الإمام الهادي إلى الحق المبين يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم عليه السلام في كتاب المنتخب (ص ١٤) ما لفظه: (فإن قال فكيف لا يكون مفترض طاعة وهو عالم ورع أمين قلنا له لأنه جالس في بيته غير أمر ولأنه ولم يفترض طاعة الجالس كما أفترض طاعة القائم الأمر بالمعروف الناهي عن المنكر أما سمعت قوله في الأمر بطاعة من قام بأمره في قوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩] وأولو الأمر والنهي فهم الأئمة بعد الأنبياء الذين جعل الله إليهم الأمر والنهي وفيهم ولم يفترض طاعة الجالس كافتراضه طاعة القائم وكيف يفترض طاعة من الحكم يجري عليه ولا يجري حكمه على أحد) إلخ... انتهى وقال عليه السلام في مقدمة كتاب الأحكام مبيناً أن الإمامة للدعاة القائمين لا القاعدين ص ٤٥ ما لفظه: (مثل من قام من ذريتهما من الأئمة الطاهرين الصابرين لله المحتسبين. مثل زيد بن علي رضي الله عنه إمام المتقين، والقائم بحجة رب العالمين. ومثل يحيى ابنه المحتذي بفعله، ومثل محمد بن عبد الله، وإبراهيم أخيه المجتهدين لله، المصممين في أمر الله، الذين لم تأخذهما في الله لومة لائم، الذين مضيا قدما قدما، صابرين محتسبين، وقد مثل بأبائهما وعمومتها أقبح المثل، وقتلوا أفحش القتل، فما ردعهما ذلك عن إقامة أمر خالقهما والاجتهاد في رضا ربهما فصلوات الله على أرواح تلك المشايخ وبركاته، فلقد صبروا لله واحتسبوا وما وهنوا ولا جزعوا بل كانوا كما قال الله وذكر عمن مضى من آبائهم حين يقول: ﴿فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٦] ومثل الحسين بن علي الفخري، الشهيد المحرم المجرد لله سبحانه، المصمم الباذل نفسه لله في عصابة قليلة من المؤمنين، يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ويضربون ويضربون، حتى لقوا الله على ذلك وقد رضي عنهم، وقبل فعلهم منهم، فرحمة الله وبركاته عليهم. ويحيى بن عبد الله ابن الحسن القائم لله، المحتسب الصابر لله على الشدة والغضب، ومحمد بن إبراهيم بن اسمعيل القائم بحجة الله الجليل الداعي إلى الحق، والناهي عن الفسق، المتفرد لله، الصابر له في كل أمره، الحاكم في كل الأمور

بحقه. ومثل القسم بن ابراهيم الفاضل العالم الكريم، المجرد لسيفه، المصمم الباذل لنفسه، المبين للظالمين، الداعي إلى الحق المبين صلوات الله عليهم أجمعين ورحمته وبركاته، فمن كان كذلك من ذرية الحسن والحسين، فهو إمام لجميع المسلمين لا يسعهم عصيانه، ولا يحل لهم خذلانه، بل يجب عليهم طاعته وموالاته، ويعذب الله من خذله، ويشيب من نصره، ويتولى من تولاه، ويعادي من عاداه. فأما من عبث بنفسه وتمنى، وأقام في أهله وولده وتلهى، وسائر الظالمين وداجاهم، وقضوا حوائجهم، وعاشروهم، وعاشرهم، وأمنوه وأمنهم، وكفوا عنه وكف عنهم، وغمد سيفه وطوى رايته، وستر منهم نفسه، وموه على الجهال، وأهل الغفلة من الضلال، وادعى الامامة، ووههم أنه يريد القيام، وهو عند الله من القاعدين النيام، ذوي الفترة والوناء، طلاب الراحة والرخاء، وهو يظهر للرعية ويعرض لهم، ويدخل قلوبهم أنه قائم غير قاعد، وأنه مبين للظالمين مجاهد، يوههم ذلك ويعرض لهم أنه كذلك، ليحتلب من درهم حلبا وخيما دويا، يأكل بذلك من أموالهم حراما دنيا، قد لبس عليهم أمورهم بتمويه عليهم، وقعد لهم بطريق رشدهم، يصدهم بتمويه عن ربهم، ويمنعهم بتلبيسه عليهم من أداء فرضهم، والقيام بما يجب لخالقهم فهو دائب في التحيل لأكل أموالهم بما يلبس عليهم من أحوالهم، وتمويه لجاهلهم أنه قائم غير قاعد، وأنه أحد يوميه ناهض على الظالمين مجاهد، والله يعلم من سرائره وباطن أمره غير ما يوههم الجاهلين، ويكتبه بذلك عنده أنه من الصادين عن سبيله، الذين ييغونها عوجا، فهو يهلك نفسه عند ربه بفعله وفعل غيره، ويفرق عن الحق والمحقين الانام، ويجمع بذلك عليه الآثام، ويمكن بذلك دعوة الظالمين، وقيم عمد ملك الفاسقين ويوهن دعوة الحق والمحقين بما يموه به على الجاهلين للترؤس عليهم، ولأكل أوساخ أيديهم، يأكل سحتا تافها حراما، ويحترم العظائم بالصد عن الله العظيم اجتراما، يفرق كلمة المؤمنين ويشتت رأي المسلمين، ولا يألوا الحق خبالا، يتأول في ذلك التأويلات ويتقحم على الله فيه بالقحمت ضميره إذا رجع إلى نفسه، وناقشها في كل فعله، وأوقفها على خفي سره، مخالف لظاهره وفعاله في باطنه فغير ما يبيديه للناس في ظاهره، يخادع الله والذين آمنوا وما يخادع إلا نفسه، كما قال الله تعالى: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا

أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿البقرة: ٩٠﴾ ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَهُمْ عَذَابُ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٠] كأن لم يسمع الله عز وجل يقول: ﴿وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [الملك: ١٣] فهو يمكر بالله وبالمؤمنين، والله يمكر به وهو خير الماكرين. فهو في بلية من نفسه، من تحيله لديناره ودرهمه، والاستدامة لما هو فيه من تافه نعمته، يلبس الحرير والديباج والقز، ويلتحف ويفترش السمرور والفتك والخز، لا يرمض في أمور الله، ولا يصلح شأن عباد الله، فأين من كان كذلك، فقط من الإمامة. كلا لعمره إنه عنها لبعيد مجنب، ومنها غير دان ولا مقرب، وإن لعب بنفسه، وخدع من كان من شكله بزخرف قوله وكذبه واجترائه على الله: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا﴾ [الفرقان: ٦٨، ٦٩] فلعمري إن من كان كذلك فقط لبعيد عما يدعي ويتحلل مما لم يجعله الله له أهلاً، ولم يشرع له إليه سبيلاً) إلخ انتهى.

وقال ولده الإمام المرتضى لدين الله ﷺ مستنكراً على القائلين بالإمامة لمن لم يقيم ويدع (فكيف يقع عليكم الشك بدعوى مكذوبة؟! على رجل لم ينصب نفسه؟! ولم يقيم ساعة للحق دعوة؟! ولم يشهر سيفاً! ولم يقتل في طاعة الله نفساً! ولم يقيم على أحد حداً! وإنما كان لازماً لمنزله مقتصداً في أمره، غير ظالم للأخيار، ولا طاعن على الأبرار، وإنه مما كذب عليه لبرئ، والمتقول عليه فهالك شقي، فليس هاهنا شك ولا التباس، ولا حيرة لأحد من الناس، ويحكم إنكم في بحر نار تخوضونه، وأمرٌ لا تعرفونه أو شك أن يغرقهم فيما لا تفقهونه، فأنتم في دينكم في غرور، تتبعون أهل الشرور، وتقبلون قول الزور، في الأئمة الأفاضل، والدعاة إلى الله في المحافل، قد تركتم الحق وعاندتموه، ورفضتم ما أمركم الله به وكرهتموه، قال الله سبحانه في كتابه: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر: ٦٠] ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الزمر: ٦١] أمكنتم الشيطان من أنفسكم، وحكمتموه على عقولكم، فقادكم في زمامه، وأدخلكم في أعوانه، وأنتم لا تفقهون، ولا إلى الحق ترجعون، ولا كتاب الله

تدبرون ، ولا دعوة الحق والصدق تحييون ، قد حكمتكم على أنفسكم بالعمى ، ونفرتكم عن الحق والعلماء ، حتى كأنكم نابذتمونا ، وبجهلكم رفضتمونا ، بآية من كتاب الله واضحة ، أو سنة من رسول الله ﷺ قائمة ، أظهرتم العداوة لنا ، وصددتم جهلاً عنا ، أفكرهتم قولنا ظلماً وعدواناً ، وزوراً وبهتاناً ، عن قليل تجدون وبال فعلكم ، وتجاوزون على ظلمكم ، ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤] ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ مُّجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوْفَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [النحل: ١١١] قد حكمتكم على أنفسكم أن لا تطيعوا إماماً ، ولا تحييوا داعياً... إلخ) انتهى ص ٦٩٥ من المجموع.

وقال الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة (عليه السلام) في كتابه العقد الثمين ما لفظه (والكلام عليهم أنا نقول لهم: ما الدليل على ما ذهبتم إليه من صحة إمامة القاعد، التارك لأفضل الفرائض وأسنمها وأشرفها، التي قامت بها الفرائض، وحييت السنن، وجُبيَ الفيء، وقُهرَ الظالم، وانتُصِفَ من الأعداء؟ وهي الجهاد في سبيل الله الذي أوجبه الله على الأئمة خاصة وعلى المسلمين عامة، فلن يجدوا على قولهم دليلاً، ولن يسلكوا إلى الخلاص سبيلاً، وإن ادعوا وجدان ذلك، [فها نحن] في طلبه ونستدل نحن [استظهاراً] على بطلان ما ذهبوا إليه، وهو أننا قلنا: إن الإمام يراد لحفظ البيضة، وحماية السرح، وسد الثغور، وإنفاذ الأحكام، وإقامة الحدود، وردع [الظالم] ، وإنصاف المظلوم، وقبض يد المتعدي، وجباية الأموال طوعاً وكرهاً، وأخذ الفيء، وقبض الأخماس والصفى، وإقامة الجُمُع، ونفي البدع، إلى غير ذلك من تحييش الجيوش، وتولية الأمراء والقضاة، هذا عندنا، وعند الإمامية أن أمور الدين والدنيا منوطة به ومصالح تكليف العقل والشرع، وجعلوا من موجبات الحاجة إليه أن الناس مع الرئيس المهيب أقرب منهم إلى فعل الطاعة وترك المعصية فجعلوا الإمام لطفاً كما ترى، وعلى القولين جميعاً إغلاقه لبابه وإرخاؤه لستره وقبوله موادة الظالمين ينافي ما ذكرنا منافاة المضادة، بل يستحيل معه وجودها لما قدمنا أن الحاجة إلى الإمام لأجله، لأن سائر ما تعبدنا به يمكننا القيام به من دون الإمام، ولا يرتفع التكليف به في حال عدم الإمام كالصلاة والصيام والحج وما شاكل ذلك. فكيف يقود الجيوش وينفذ الأحكام

ويقيم الجمعة والحدود من أغلق الباب وأرخى الستر، ونفذت عليه أحكام القوم الظالمين؟ تفكر إن كنت من المتفكرين، ما أحوجه إلى إمام يرفع عنه هذا الأمر ويفكه من هذا الأسر، ويطلق يده ولسانه بالنهي والأمر، ويزيل عنه هذا القهر، وكيف يُقربُ الناس من الطاعة ويبعدون عن المعصية مع عدم مخافة السطوة؟ فلا فرق بينه وبين العالم المذكر، بل ربما يكون العالم والمذكر الواعظ أكثر تمكناً من الإمام على الوجه الذي ذكرته الإمامية، لأن الإمام متكتم في بيته، والتقية بزعمهم تمنعه عن إظهار ما يلزم إظهاره من أمور دينه، والواعظ والمذكر لا مانع له من الوعظ والتذكير فلا يعدم المتذكر والمنزجر فلو وجب لذلك إقامة الإمام [لوجبت] إقامة الواعظ، لأن نفعه أكثر وفعله وزجره أظهر، بخلاف ما ذكرنا من القائم من الذرية الطيبة بالسيف، فإن الظالمين يرتعبون منه، ويخافون صولته، ويتركون بعض المعاصي مخافة ظهور يده وتألفاً لمن في حيهم للتشبه بمثل حاله، كما فعل هارون المسمّى بالرشيد لما ظهر يحيى بن عبدالله بن الحسن [بن الحسن] عليه السلام بالديلم، ترك هارون الشرب والغناء والملاهي، ولبس الصوف وافتش اللبود وأظهر الطاعات والصدقات، وكذلك لما ظهرت راية إدريس بن عبدالله عليه السلام في الغرب لم يقر به قراره حتى أنفذ إليه السم فقتله، ولما ظهر عليهم يحيى بن عمر عليه السلام بالكوفة اضطربت بنو العباس اضطراباً شديداً، وفرعوا إلى شيخ لهم يقال له: عبدالرحيم، فقالوا: نخشى ظهور الفاطمية علينا وانتزاع هذا الأمر من أيدينا، فقال: لا تخافوا حتى يملك عليكم جبال طبرستان ويظهر العماني باليمن، فعند ذلك لو جاءوا بالقصب في أيديهم لنزعوها من أيديكم، ولو عددنا لأطنا، وظهور الأمر فيما ذكرنا لا يجهل كل من أنصف نفسه وانقاد للبرهان، انتهى ص ١٧٣

فإن قيل إن كلام من قدمنا ذكرهم هو في الجواب على الإمامية الذين يقولون بإمامة القاعد فأما إذا كان العالم الصالح للإمامة من أهل البيت قائماً بالإرشاد للناس وبتعليمهم معالم دينهم فهو قائم لا قاعد.

فأقول والله الموفق: إن كلامهم صريح في عدم الإمامة لمن لم يدع الناس إلى جهاد الظالمين وإن كان يرشد الناس ويعلمهم إذا كان الأمر والنهي بأيدي الظالمين وهو

جالس في بيته تجري عليه وعلى غيره أحكام الظالمين وفي كلام المنصور بالله التصريح بعدم الفرق بين القاعد الغائب والقاعد الواعظ المرشد في كون كل منهما لا يكون إماماً فتأمل يزيد ذلك وضوحاً ما ذكره عليه السلام في شرح الرسالة الناصحة حيث قال ما لفظه (ولأن العترة الطاهرة قبل حدوث هذه الأقوال الجائرة قد أجمعوا على أن الإمام إذا احتجب عن رعيته ولم ينفذ أمورهم، ويُقَوِّم أَوْدَهُمْ، ويغني سائلهم، ويقسم بينهم فيئهم، خرج عن كونه إماماً؛ لأنه لا يراد لغير ذلك من الراحة والدعة، وكيف يكون إماماً من نام الضحوات، وسكن إلى اللذات؟!، كلا؛ حتى ينقصد نفع الخميس على جبينه، ويذب عن المسلمين كما يذب الليث عن عرينه، فيصدع ببسالته قلوب المعاندين، ويرأب بشهامته صدع الدين، على منهاج أبي السبطين وولديه - صلى الله وملائكته عليهم وعلى من سار بسيرهم من أولادهم البررة؛ كأبي الحسين زيد بن علي عليه السلام ومن حذا حذوه من العترة الطاهرة عليهم جميعاً أفضل السلام) انتهى ص ٢٨٤

فإن قيل : فكيف إذا كان القاعد يقوم بالتعليم والإرشاد والمحكمة بين الناس كالقائم الداعي الذي لم يتمكن إلا من ذلك فما الفرق بينهما؟

فأقول والله الموفق الفرق بينهما هو الدعوة وذلك أن الداعي إلى مجاهدة أعداء الدين قد قام بما يجب من إقامة الحجة على العباد سواء أطيع أم عصى فقد أرهب الظالمين وأخافهم بدعوته فهو خائف منهم وهم خائفون منه فحاله في ذلك كحالة الأئمة كما ذكره الهادي عليه السلام في صفات الإمام بخلاف من كانت صفته كما ذكرت فإنه مأمون جانبه وحكمه لا ينفذ إلا بغيره وكم هناك من العلماء على تلك الصفة في الماضي والحاضر لم يعتبرهم أحد من أهل العلم أنهم أئمة بذلك وهذا ظاهر قال الإمام المنصور بالله عليه السلام في المهذب ص ٤٤٥ (لا تثبت فيمن ليس بمنصوص إلا بمباينة الظالمين والدعاء إلى الله سبحانه والتشمير للقيام بالأمر فإن لم يفعل ذلك لم يكن إماماً) انتهى.

فقد أوجب الله على الإمام الجهاد في سبيله كما قدمنا فعليه القيام بذلك على حسب

قدرته واستطاعته قال الإمام المنصور بالله ﷺ في العقد الثمين: (وقد تعبد الإمام بالدعاء إلى الله تعالى، والجهاد في سبيله، والأمر بالمعروف، [والنهي] عن المنكر حتى يأتيه اليقين) إلى قوله: (وليس على الإمام والمأموم إلا القيام بأمر الله، والجهاد في سبيل الله فإن قتل فذلك بغيته، وإن عاش أحيا دين ربه

ولما حضر الحسين الفخي ﷺ للقتال، ودعا القوم إلى الله تعالى وهو في ثلاثمائة وبضعة عشر عدة أصحاب بدر، والقوم في أربعين ألفاً فلما لم يقبلوا حاكمهم إلى الله تعالى وجاهدهم فجعلوا يصيحون به: يا حسين، لك الأمان يا حسين لك الأمان فجعل يحمل عليهم وهو يقول: الأمان أريد [الأمان أريد]، يريد ﷺ من عذاب الله تعالى بجهادهم، فإذا كان الإمام يفر بنفسه عن أمر الله تعالى، ويضيع الجهاد في سبيل الله تعالى، وإقامته حدوده، وإنفاذ حكمه، وقمع الظالمين وإخافتهم فهو ممن لم يبيع نفسه من ربه.

فإن قيل: إن الله لم يأذن له في الخروج.

قلنا: هذا خلاف المعلوم من دين الإسلام لأن الله أمر العباد بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والجهاد في سبيله عموماً، والأئمة خصوصاً.

فإذا قال الإمام: لم أؤمر بالجهاد، ولا بإقامة الحدود، ولا بمنازمة الظالمين، ولا بالأمر بالمعروف، ولا بالنهي عن المنكر قلنا: فيماذا أمرت؟ ولماذا أردت؟ هذا خلاف المعلوم من الدين فلا نقبله من أحد من المتعبدين، وهل هذا في ضرب المثال إلا كما لو قال: لم أؤمر بالصلاة أو لم أؤمر بالزكاة، فكما أننا لا نصدق في ذلك لا نصدق في هذا لأن الجميع فروض الله تعالى على عباده، وتعذرها في وقت لا يسقطها في وقت آخر) وساق في ذلك إلى أن قال (ولأن الأئمة مجمعة على أن الإمام إذا رفض الأئمة، وترك النظر فيها، وأهمل الحدود تبطل إمامته.

وعندنا إذا احتجب احتجاجاً غليظاً يضيع به دهماؤهم كان ذلك قدحاً في إمامته لأنه إنما يراد لصلاح الأئمة، وكشف الغمة، أو إِبْلاء العذر في ذلك بالدعاء إلى الله تعالى،

ومنازمة أعدائه، والجهاد في سبيله فإن عَصِي فقد عَصِي أنبياء الله تعالى، وإن حُورب فقد حُوربوا، والحجة قائمة لله تعالى، ولرسله على أعدائه، ولو عدم الرسل والأئمة قبل الدعاء لما بلغت الحجة ولا لزم حكم البرهان، وقد قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]، فقول من قال: بانكتم حجج الله تعالى، وهو بالدعاء إليه، والأدلة عليه قول ينافي موضوع الدين، ويخالف مذهب الأئمة الهادين فإنهم يغضبون لله تعالى كالنمر إذا طرد، ويركبون حد الشفار ضاحكين مستبشرين بالموت لما علموا وراءهم من الفوز العظيم والملك العقيم) انتهى ص ١٨ من العقد الثمين.

فإن قيل إذا لم يكن في الزمان إمام ولا محتسب وإنما هناك عالم ممن يصلح للإمامة من أهل البيت يقوم بنشر الدين فما هو واجب المكلفين أمامه.

فأقول والله الموفق: الذي يجب عليهم هو معاونته على نشر الدين إذ هو من باب التعاون على البر والتقوى المأمور به في قوله تعالى ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ [المائدة: ٢٠] لأن ذلك باب من أبواب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يدل على ذلك ما ذكره الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة عليه السلام في المجموع المنصوري القسم الثاني ص ٥٥١ وهو قوله عليه السلام: (وأما ما يتعلق بباب المقتصد الذي هو فيه، فالواجب على الجميع التزامه لما يتعلق بأمره من دفع الضرر ورفع المنكر الذي تجب فيه المعاونة لا أن هناك في ذلك له ولاية، وإنما تجب لوجوب فرض المعاونة على البر والتقوى فاعلموا ذلك وراصدوا ذلك الأصل وما شابهه من الأصول المستقيمة، فذلك أسُّ الإسلام ثبت الله أركانها وشد بنيانها) انتهى.

فإن قلت لماذا لم يكن إماماً واجبة طاعته مع أنه قد قام بما هو تحت استطاعته من نشر الدين بين العباد ولم يتمكن من الجهاد.

قلت لم يكن إماماً لأنه لم يدع الناس إلى الجهاد والقيام بالأمر والنهي بمراتبه الأربع فلو دعا إلى ذلك وخذله الأتباع لكان إماماً واجبة طاعته ولو لم يفعل إلا الإرشاد كما

ذكره الإمام محمد الدين عليه السلام عن الإمام أحمد بن عيسى والإمام القاسم بن إبراهيم عليهما السلام وغيرهما ممن دعوا ولم يتمكنوا كما سيأتي ذكره فافهم الفرق.

هذا مع أن الطاعة لأهل البيت ما وجبت إلا لوجوب الإمامة كما يفيد كلام الإمام الهادي عليه السلام قال عليه السلام سألت يا أبا عبد الله - حفظك الله ووفر في الخيرات حظك - عن المعنى الذي وجبت به لنا على الخلق الطاعة، ووجب به علينا جهاد من أبدى لنا المعصية، وثبت به لله سبحانه في ذلك علينا الحجة، حتى حكمنا بالهلكة على المخالفين عن دعوتنا، وبالنجاة للمسلمين لأمرنا، الساعين في طاعتنا، حتى سميينا من قتله الظالمون منّا شهيداً، وحكمنا له بالوعد الذي وعد الله الشهداء وسميينا من قتلنا نحن من الظلمة كافراً متعدياً، وحكمنا عليه باستحقاق الوعيد من الله العلي الأعلى.

وهذا أكرمك الله فقد وجب لنا على أنفسنا السؤال عنه، والبحث لها فيه عندما دعتنا إليه من دعاء الخلق إلى طاعتنا، والمنادات إلى إجابتنا، وضرب أعناق المحاربين لنا، وأخذ أموالهم واستباحة ديارهم، فسألناها فقلنا: ما الذي وجب لك به ذلك؟

فكان من جوابها لنا عندما احتجنا إليه من علم ذلك منها أن قالت: وجب لي بما وجب للأئمة من قبلي من لدن القاسم بن إبراهيم عليه السلام ومن تقدمه من الأئمة القائمين، الذين كانوا حجباً لله على العالمين سواء سواء.

فقلنا لها: فيما وجبت لأولئك صلوات الله عليهم الطاعة على الخلق؟

فقلت: لوجوب الإمامة التي عقدها الله لهم بأحق الحق، وأوضح القول والصدق.

فقلنا لها: ولم عقد الله سبحانه الإمامة لأولئك، وبأي معنى كانوا صلوات الله عليهم عند الله عز وجل كذلك فقلت: بولادة الرسول صلى الله عليه وآله وبمعرفتهم بذی الجلال والإكرام، وبالورع الذي جعله الله قواماً للإسلام، وبالمعرفة بالحلل عند الله والحرام، وبما يحتاج إليه في الدين جميع الأنام، وبأخذ الحق وإعطائه، وبقلّة الرغبة في الدنيا،

والزهد في دار الفناء، وبالرغبة والمحبة لدار البقاء، وبكشف الروس، وتجريد السيوف، ورفع الرايات لله وفي الله عز وجل، والمنابذة لأعداء الله، وإظهار الدعاء إلى الله، والغضب لله والرضا، وإقامة الدار، والدعاء إلى الواحد القهار، وإحياء الكتاب والسنة، وإقامة الحق والعدل في الرعية، والاطلاع على غامض كتاب الله ووحيه، الذي لا يطلع عليه إلا من قلده الله السياسة^(١)، وحكم له بالإمامة دون غيره، فآتاه الحكمة، وخصه بالفضيلة، وأكمل له النعمة، وجعله له على الخلق حجة، وبالشجاعة عند اللقاء، والصبر في البأساء والضراء، وبالجلود والسخاء، مع النصفة للأولياء... إلخ) انتهى ص ٤٨٥ من المجموع.

(١) ينظر ولو كان من كلام الإمام الهادي عليه السلام فهو بحاجة أيضاً إلى نظر وتأمل، لأن إقامة العدل وإنصاف المظلومين وإقامة الحدود وتجييش الجيوش وما إلى ذلك كله منوط بالإمام لا شك في ذلك أما مسألة فهم كتاب الله وحصرها عليه فهي دعوى التعليمية من الباطنية وشابهت أيضاً دعوى الإثنى عشرية في حجب ذلك على الإمام والحق الذي يرجح أن كتاب الله إنما كان حجة على العالمين وضوحه وبيانه للناس، فقط هو بحاجة إلى تدبر وتأمل، ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾، ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾ ولا تكون الحجة حجة إلا إذا كانت بيّنة ظاهرة تماماً كما لا تكون الحجة من أئمة أهل البيت عليهم السلام المفترضة طاعته إلا بيّناً ظاهراً. تأمل موفقاً. تمت شمس الدين.

القسم الثالث

فصل

في أنه لا تعارض بين العلم والجهاد

مذهب أهل البيت عليهم السلام هو وجوب التعليم للعلم الشريف ونشر الدين بين العباد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومجاهدة الفاسقين والكافرين لا يفرقون بين هذه الأمور وسيرتهم تشهد بذلك.

فلا عذر لمن يترك العلم متعذراً بالجهاد فقد كان أئمة أهل البيت وأتباعهم يجاهدون الظالمين ويعلمون الناس في خلال ذلك كما ورد في سيرة الهادي عليه السلام أنه كان في الأغلب لا يتمكن من إملاء مسألة من العلم إلا وهو على ظهر فرسه وكان السيد العلامة إمام العلماء وعالم الكرماء المجتهد المطلق صلاح بن أحمد بن المهدي المؤيدي يجاهد مع الإمام القاسم بن محمد عليه السلام ويستصحب معه الكتب فأول ما يأمر به أصحابه عند وصوله البلاد التي يجاهد فيها هو نصب الخيمة لكتب العلم التي معه فلا يزال ليله جميعه ينظر في العلوم ويحرر ويقرر وألف المؤلفات العظيمة منها شرح الفصول وغير ذلك وكذلك إمام المحققين الحسين بن الإمام القاسم بن محمد عليه السلام قد كان يجاهد مع والده ويستصحب الكتب وقد ألف كتاب الغاية أيام تلك المعارك الشديدة وكذا غيرهم من أهل البيت وشيعتهم.

والواقع أن زمن القتال قصير وبإمكان الإنسان أن يستغل بقية الوقت في تعلم العلم النافع لا أن يجعل الجهاد ذريعة له إلى الجهل والتنفير عن العلم النافع الذي لا يستقيم الدين إلا به.

فقد قال الإمام الهادي عليه السلام عندما سئل هل يكتفي الرجل بالعلم اليسير ما لفظه: (وسألته عن الرجل يقول: قد فهمت وعرفت ما افترض الله عليّ، فأنا أكتفي باليسير،

ولا أتعب نفسي بتعلم الكثير، وأنا أقوم بحلال الله وحرامه؛ فهذا يجزيني عن طلب غيره من العلم؟

الجواب في ذلك أن الله عز وجل لم يغفر لأحدٍ بالجهل، فالواجب عليه أن يكون عمره كله في طلب الخروج من الجهل إلى العلم، وفي ذلك ما يقول رسول الله ﷺ: «اغد عالماً أو متعلماً ولا تكن الآخر فتهلك»، يعني: الممسك عن طلب العلم انتهى ص ٤٥٧ من المجموع.

وقال ﷺ في مقدمة كتاب الأحكام ص ٤٧ مبيناً ما يجب على المكلف ما لفظه: (ثم يجب عليه من بعد ذلك النظر فيما يحتاج إليه من أمره من حلاله وحرامه وجميع أسبابه، فإن الله جل جلاله عن أن يحويه قول أو يناله لا يرضى لعباده المؤمنين وأوليائه الصالحين الجهل والنقصان، بل يشاء منهم التزيد في كل خير وإحسان، فيجب عليه أن يطلب من ذلك ما ينبغي له طلبه، من علم أهل بيت نبيه صلى الله عليه وآله فيتبع من ذلك أحسنه، وأقربه إلى الكتاب، فإن الله سبحانه يقول: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾ [الزمر: ١٧] ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ١٧]

وقال السيد العلامة بدر الدين بن أمير الدين ﷺ في أثناء تفسيره قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾ [آل عمران: ١٠٤] ما لفظه: (ومن الخير: تعلم الدين وإعانة طلاب العلم بالمدارس وتيسير الكتب والمشايخ وترغيبهم في التعليم واجتناب تنفيرهم وغير ذلك).

ومن الخير: نشر التعليم في جميع أقطار بلاد الإسلام بقدر الوسع أو على الأقل نشر الإرشاد والمواظاة والدعوة إلى التعلم والتحذير من الجهل والإنذار للمعرضين) انتهى ص ٥١٤ من التيسير في التفسير الجزء الأول.

ولا عذر أيضاً لمن يترك إجابة الداعي إلى الجهاد الكامل في الشروط متعذراً عن ذلك بالعلم فقد قال الإمام الهادي ﷺ في مقدمة كتاب الأحكام ص ٤٦ ما لفظه

(فإذا علم المسترشد ذلك وعرف كل من ذكرنا بصفاتهم، ووقف على أولي الأمر منهم بدلائلهم، ودان الله سبحانه بولايتهم، وجب عليه من بعد ذلك أن يعتقد معرفة فضل الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن يعلم أن ذلك أكبر فروض الله المفترضة عليه، فيظهر جهاد الظالمين، وينوي مباينة الفاسقين، بيده ولسانه وقلبه وبما يقدر عليه من طاقته).

وقال الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة عليه السلام (وإن اعتل بطلب العلم فالجهاد لا ينافي العلم، ولو كان كذلك لسقط الفرض عن أصحاب رسول الله ﷺ لأن الحاجة إلى العلم في ذلك الأوان كانت أمس؛ لقرب الناس بالجاهلية وعبادة الأوثان، والمأثور عن رسول الله ﷺ أنه كان يلزمهم فرض الجهاد في جميع الأحوال ويطلبون العلم في خلال ذلك لكونهم في المعرفة مراتب انتهى من المذهب ص ٤٨٣

وقال عليه السلام في المجموع المنصوري ما لفظه: إن الجهاد فريضة من فرائض الله تعالى العظام، ونحن نروي في ذلك عن النبي ﷺ (أنه قال): «الجهاد سنام الدين»، وسنام الجزور أفضلها بالاتفاق، وفي ذلك اتفاق أهل الفقه أن رجلاً لو أوصى بشيء من ماله لأفضل وجوه البر لصرف إلى الجهاد، ونحن نروي عن أبينا (عن) علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: (فيكون في آخر الزمان قوم متقروءون، متنسكون، متفقهون، لا يوجبون أمراً بمعروف، ولا نهياً عن منكر، إلا إذا درّت لهم معاشهم، وسلموا في أمر دنياهم، فلو أن الصلاة والصوم أضراً بشيء من دنياهم لرفضوهما، وقد رفضوا من الفرائض أسنمها وأشرفها الجهاد في سبيل الله، فريضة تقام بها الفرائض، وتحيا بها السنن، وتعمر بها الأرض، ويتنصف بها من الأعداء)، ولا حق في هذا المال إلا لمن جاهد أو كان بجهد وطاقته مع المجاهدين.

إلى قوله: وأما العذر لخوف الظلمة فبعيد من الصواب جداً، وأي جهاد لا يخاف صاحبه ولا يخيف!!، وإذا كان الله تعالى قد: ﴿اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ هُمْ

الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ ﴿التوبة: ١١﴾،
والقرآن أكد حكمه في كبار الكتب المنزلة الشريفة، فهل يستحق المبيع من لا يسلم
الثمن!! إلى قوله: وكذلك المشتري إذا مطل البائع في ثمن المبيع كان حكمه حكم
السارق وزال حكم البيع، وإنما يكون حكمه حكم السارق؛ لأن من شرى شيئاً معيناً
بمال معين ثم خبأه من البائع وغباه ودافع دونه يكون حكمه حكم السارق: سرق
نفسه، وماله، ودينه وأما الاعتذار بالمال والعيال فذاك من أعذار الأعراب فلم يقبلها
ربُّ الأرباب، قال تعالى: ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا
يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ
نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [الفتح: ١١].

وأما اعتذاره بالتعليم فلماذا يتعلم، إنما يراد العلم للعمل، فما ينفعه علمه وقد ترك
أفضل الأعمال؛ ولئن مكّن الله تعالى لنفردن في هذا المعنى كتاباً لله سبحانه ينفع الله به
المسلمين، ويقمع به المجرمين، ولا سلامة لمن ترك الجهاد ولا كرامة لا في الدنيا ولا في
الآخرة. (انتهى ص ٥٩٦ من القسم الثاني)

فالأمر كما قدمنا لك أيها المطلع على كتابنا هذا أن أهل البيت لا يفرقون بين العلم
والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما يعلمه المطلع على تواريخهم.

قال السيد العلامة الحسين بن يحيى الحوثي عليه السلام في الجواب الراقي ص ٥٠ أثناء
استدلّاه على وجوب اتباع أهل البيت ما لفظه (وكذا قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ
لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [آل عمران: ١١٠])، فجعلهم خير أمة لأمرهم
بالمعروف ونهيهم عن المنكر، ولم نجد مثل هذه الذرية تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر
من زمان علي بن أبي طالب وزيد بن علي إلى زماننا هذا.

ولقول الله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ﴾ إلى أن قال: ﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٥].

ولم نجد مثل هذه الذرية الطاهرة وأتباعهم رضوان الله عليهم مثابرين على الجهاد إلى يومنا هذا إذا وجدوا لهم أنصاراً أولهم علي وآخرهم المهدي عليه السلام. ولقول الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]، ولم نجد مثل هذه الذرية من ذراري المهاجرين والأنصار لا ذرية أبي بكر ولا عمر ولا عمار ولا أبي ذر ولا أنس ولا سعد بن عباد ولا غيرهم.

أما هذه الذرية فلا زال العلم في بيوتهم وأعقابهم إلى زماننا هذا (١٤١٥هـ)، ولهم فيه اليد الطولى، والمؤلفات الواسعة، ويمتازون على غيرهم أنهم يذكرون في كتبهم مذاهب الفرق وحججها والجوابات عليها ومذهبهم وحجتهم) انتهى

وقال السيد العلامة محمد بن عبد الله عوض حفظه الله في قصد السبيل ص ٢٠٥ في سياق ذكره لأهل البيت بعد ذكره للفضائل الخلقية الكائنة لهم من الله عز وجل ما لفظه: (ولهم فضائل اكتسابية لم يسبقهم فيها سابق ولا يلحقهم لاحق ومن قرأ تاريخهم من لدن أمير المؤمنين عليه السلام إلى يوم الناس هذا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجهاد الظالمين وما لحقهم في ذلك من الخوف والفقر والتشرد... إلخ وفي العبادة والزهد والورع وطلب العلم ونشره والتودد إلى الناس والرفق والشفقة والنصيحة العامة والخاصة علم صحة ما ذكرنا ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الجمعة: ٤] انتهى.

(لا تعارض بين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبين الإرشاد)

الإرشاد للناس هو مرتبة واحدة من مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي أولها القول اللين وآخرها الضرب بالسيف والإرشاد قيام بالمرتبة الأولى من مراتبه وقد أمر الله بالقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمراتبه الأربع كما سيأتي وليس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو الإرشاد فقط بل هو ما ذكره الإمام زيد عليه السلام بقوله (واعلموا أن فريضة الله تعالى في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إذا أقيمت

له استقامت الفرائض بأسرها، هَيِّنْهَا وَشَدِّدْهَا، وذلك أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو: الدعاء إلى الإسلام، والإخراج من الظُّلْمَةِ، وَرَدَّ الظَّالِمَ، وَقِسْمَةِ الْفَيءِ والغنائم على منازلها، وأخذ الصَّدَقَاتِ ووضعها في مواضعها، وإقامة الحدود، وَصِلَةَ الأرحام، والوفاء بالعهد، والإحسان، واجتناب المحارم، كل هذا من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يقول الله تعالى لكم: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢٠]، فقد ثَبَتَ فرضُ الله تعالى، فاذكروا عهد الله الذي عاهدتموه وميثاقه الذي واثقكم به إذ قلتم: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [المائدة: ٧]. انتهى ص ٣٠٠ من المجموع

فلا تعارض بين الإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذ الإرشاد نوع منه والإرشاد يقتصر نفعه على من كان من المؤمنين في المجتمعات وهناك أشخاص في المجتمعات لا ينفع فيهم إلا الأمر والنهي بالقوة فأمرنا الله بالقيام بالأمر والنهي بجميع مراتبه كي نواجه كل شخص بما يليق به ونستعمل معه جميع المراتب أولاً باللين ثم بالقول الحشن ثم بالضرب بالعصا ثم بالسيف كما هو موضح في علم أصول الدين.

فلا عذر لنا في ذلك مع الاستطاعة قال الإمام الهادي (عليه السلام) (وندين بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وأن نصر المظلوم والأخذ على يد الظالم فرض لازم، وحق واجب، لأن في ترك الأمر بالمعروف للحق إماتة، وفي ترك النهي عن المنكر للباطل حياة، ولذلك أوجبه الله على عباده، وفرضه عليهم فرضاً، بكل ما أمكنهم ولذلك قال رب العالمين: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢] انتهى ص ١٩٤ من المجموع.

وأيضاً فإن القيام بفريضة الأمر والنهي بالقوة هو استغلال لثمرة الإرشاد التي طالما بذلت جهوداً عظيمة من أجلها وترك أهل العلم لذلك هو من ترك الفرصة للجهال والسفهاء الذين يحلون محلهم فيفعلون المنكرات ويفسدون في الأرض قال

الإمام زيد عليه السلام (فكذلك الجهال والسفهاء إذا كانت الأمور في أيديهم، لم يستطيعوا إلا بالجهل والسفاهة إقامتها، فحينئذ تصرّخ الموارد، وتضج الأحكام، ويفتضح المسلمون).

هذا مع أن السكوت على المنكر لا يجوز كما قال السيد العلامة محمد بن عبد الله عوض في كتابه صحيح السنة ص ٥٣ (السكوت على المنكر ليس من مذاهب الإسلام وشرائع الملة، بل هو مذهب الذين لعنوا على لسان داود وعيسى بن مريم، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه).

فإن قيل ما دام والإرشاد ينفع فلا فائدة في القيام بغيره ؟

فأقول والله الموفق للإرشاد كما قدمنا لا ينتفع به في الأغلب إلا من كان من المؤمنين كما قال الله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥] وقال تعالى: ﴿سَيَذَكِّرُ مَنْ يَخْشَى﴾ [الأعلى: ١٠]

وكم في المجتمعات من ليس منهم ولو صلح مجتمع من المجتمعات بالإرشاد فقط لكان ذلك في مجتمع النبي ﷺ المدينة المنورة ومعلوم أنها كانت تحوي كثيراً من المنافقين كما قال تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النَّفَاقِ﴾ وهذا الأمر محسوس مشاهد لكل واعظ في أي مجتمع كان ومعلوم أنه يوجد فئة من الناس في المجتمع لا تنزع عن غيرها ولا يردعها إلا القوة والعصا كما يقال في المثل خلُق من الجنة فلو لم تُواجه تلك الفئة بالقوة لأفسدت المجتمع بأكمله واستحق الجميع السخط من الله.

قال النبي ﷺ: «مَا مِنْ قَوْمٍ يَكُونُ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ مَنْ يَعْمَلُ الْمَعَاصِيَ هُمْ أَعَزُّ مِنْهُ وَأَمْنَعُ فَلَمْ يُعَيِّرُوا إِلَّا أَصَابَهُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْهُ» رواه الإمام أبو طالب عليه السلام.

وعن علي عليه السلام قال قال رسول الله ﷺ «لا قدست أمة لا تأمر بالمعروف، ولا تنهى عن منكر، ولا تأخذ على يد الظالم، ولا تعين المحسن، ولا ترد المسيء عن إساءته» رواه الإمام زيد عليه السلام.

ولو فرضنا الإكتفاء بالإرشاد فمن الذي يضمن لنا بقاء الإرشاد فقد نُمنع منه فإنه لو تمكن الظالمون من منعنا لمنعونا منه ومن غيره كما قد حصل ذلك من قبل.

ومن ثمة لا نستطيع القيام به ولا بغيره من الأمر والنهي بل يتسلط الظالمون علينا بسبب تركنا لهذه الفريضة العظيمة كما قال النبي ﷺ (لتأمرن بالمعروف ولتنهين عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم فيسومونكم سوء العذاب ثم يدعوا خياركم فلا يستجاب لهم حتى إذا بلغ الكتاب أجله كان الله المنتصر لنفسه ثم يقول ما منعكم إذا رأيتموني أعصى ألا تغضبوا لي) رواه الهادي عليه السلام في الأحكام.

قال الإمام القاسم العياني عليه السلام بعد ذكره للحديث في كتابه المجموع ص ٣٥١ ما لفظه (وما انتصر لنفسه من أمة إلا أهلكها بعذاب من عنده) انتهى.

وقال الإمام القاسم بن محمد عليه السلام (واعلموا أرشدكم الله أن الله سبحانه لا يقبل الفرائض بعضها إلا ببعض، فلا يقبل الله صلاة إلا بزكاة، ولا يقبل صلاة وزكاة إلا بصيام، ولا يقبل ذلك من غير حج لمن استطاع إليه سبيلا، ولا يقبل ذلك كله من غير جهاد في سبيل الله بالمال والنفس لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧] ونحو ذلك) انتهى من النبذة المشيرة فالإسلام دين متكامل ليس مقتصرًا على الوعظ والإرشاد في المسجد فقط بل هو شامل لجميع مناحي الحياة كما ذكر السيد العلامة محمد بن عبد الله عوض حفظه الله في كتابه قصد السبيل حيث قال ما لفظه (وعلى الجملة فقد جاء النبي ﷺ بشريعة تحل مشاكل البشر على كل المستويات الصحية والإقتصادية والسياسية... إلخ) انتهى ص ١٤٦ فمن يقوم بتلك الشريعة إن تركناها فإن قيل إن القيام بالأمر والنهي يشغل الطلاب عن الدراسة للعلم الشريف والتدريس والإرشاد؟

فأقول وبالله التوفيق: بأن القيام بذلك واجب شرعاً ولو فرضنا أنه شغل عن الدراسة فقد شرع الله القتال ولو شغل عن إقامة الصلاة تامة فإنه يجب فعل ما أمكن

فيها كما ذكروا في كتب الفقه فكذلك فيما نحن بصدده مع أنا نقول بأن طلاب العلم في أي مجتمع كان ليسوا على شاكلة واحدة وكذلك من هو في جانبهم من الناس بل هم أصناف مختلفة فمنهم من يهوى تعلم العلم الديني ومنهم من يهوى تعلم العلم الدنيوي كتعلم الطب والهندسة وغير ذلك ومنهم من يهوى الجهاد والخ... فالذي ينبغي هو توزيعهم على الأعمال حسب مهاراتهم وقدراتهم فيكون كل شخص في العمل الذي هو كفؤ له على حسب ما تدعو إليه الحاجة والمصلحة وذلك بعد أن يتعلموا الشيء الواجب من العلم وهو شيء يسير.

نعم والإمام الداعي من الآل له البصيرة الكافية في توزيعهم كذلك كما ذكر السيد العلامة محمد بن عبد الله عوض حفظه الله في كتابه من ثمار العلم والحكمة ص ٦٨١ حيث قال ما لفظه: (وأئمة المسلمين لهم من التوفيق وحسن النظر ما ليس لغيرهم لذلك فإنهم لا يفرطون في توزيع المسلمين على ما ينبغي وعلى حسب ما تدعو إليه المصلحة والحاجة فيوظفون للجهاد من يقوم به على حسب الحاجة ويوظفون لطلب العلم ما يحتاج إليه الشعب في جميع مجالات العلوم وهكذا من غير أن يفرطوا في الزراعة والتجارة وجميع ما تتطلبه الحياة.

هذا ولا يخفى أنه يجب على الكفاية أن يكون في البلاد الإسلامية على حسب الحاجة علماء طب وعلماء صناعة ورياضة... الخ ولا ينبغي لولاة الأمر أن يفرطوا في ذلك) انتهى.

فتبين لكم أيها الإخوة من خلال ما قدمنا أنه لا تعارض بين الإرشاد والأمر والنهي كما أنه لا تعارض بين العلم والجهاد فكلها وجبت بأوامر ربانية من رب حكيم لا يأمر إلا بالحسن ولا ينهى إلا عن القبيح ولا يكلف فوق الطاقة فيجب علينا امتثال جميع أوامره وترك جميع نواهيه عصمنا الله من الزلل والخطى ووفقنا لما يحب ويرضى

هذا مع أن الزيدية قد تميزت على جميع المذاهب الإسلامية بقيامها بفريضة الأمر

والنهي على مر الزمان وتعاقب الأعصار واشتهرت بذلك حتى صار ذلك سمة وعلامة لها كما قال السيد العلامة محمد بن عبد الله عوض في كتابه نظرات ص ٨٢ (وقد اتسم الزيدية بهاتين الصفتين أعني الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر منذ العهد الأول وإلى اليوم، وصار الخروج على الظلمة شعاراً يتميزون به بين طوائف المسلمين لا يفرطون في القيام بهذه الفريضة اللازمة، فصدق الله العليم ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤]) انتهى.

وقال السيد العلامة الحسين بن يحيى الحوثي عليه السلام مبيناً حالهم (وإنما قاموا بجهاد الظلم والمنكر بجهاد الدولتين الظالمتين الأموية والعباسية وبذلوا النفس والنفس، وقتلوا تحت كل حجر ومدر، وأوصدت عليهم الحبوس، وشردوا في الآفاق مصداقاً لقول النبي ﷺ: «ستنال عترتي من أمتي قتلاً وتشريداً»، ودعوا إلى الله: ﴿يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَءَامِنُوا...﴾ [الأحقاف: ٣١] ﴿وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ...﴾ [الأحقاف: ٣٢] انتهى من الجواب الراقي ص ٣٠ فإذا تخلينا عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كنا قد تخلينا عن الفضيلة التي امتاز بها أئمة أهل البيت وأتباعهم.

فصل

في شوق أهل البيت للقيام والجهد والشهادة في سبيل الله

فإن قيل : إن قيام أئمة أهل البيت عليهم السلام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالقتال إنما هو لاضطرارهم إلى ذلك وإلا فإن الظلمة لو تركوا لهم المجال ليرشدوا الناس ويعلموهم معالم الدين لما احتاجوا إلى القتل والقتال؟

فأقول والله الموفق :

أولاً: إن هذه الدعوى تسلب عن أئمة أهل البيت عليهم السلام المدائح التي ذكرها الله في القرآن نحو قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ

الْمُنْكَرِ ﴿[آل عمران ١١٠]: وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤١] وغير ذلك.

ولم يعد لهم أي سمة يتميزون بها عن غيرهم كما تقدم فإن كل المذاهب تقوم بالإرشاد والتعليم.

ثانياً: تاريخ أهل البيت عليهم السلام وكلامهم يبطل هذه الدعوى تماماً وسنذكر بعضاً من أقوالهم التي تبين شوقهم ورغبتهم الشديدة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجهاد الظالمين والشهادة في سبيل الله رب العالمين.

ثالثاً: الشهادة في سبيل الله هي أفضل شيء يناله الإنسان المؤمن كما ورد عن النبي ﷺ قال الإمام الموفق بالله في الاعتبار ما لفظه: (وسمع رسول الله ﷺ [رجلاً] يقول: أسألك خير ما تُسأل فاعطني خير ما تعطي؟

فقال ﷺ: «إن استجيب لك أهرق دمك في سبيل الله». انتهى ص ٥٤١.

فإذا كانت الشهادة هي أفضل شيء فلا شك أن أهل البيت عليهم السلام هم السابقون إلى كل فضيلة كما وردت به الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وتاريخهم يشهد بذلك.

وإليك أخي القارئ بعضاً من كلامهم الذي يدل على رغبتهم الشديدة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد والشهادة في سبيل الله رب العالمين.

قال أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام مجيباً على أخيه النبي ﷺ عندما قال له وكيف صبرك إذا خضبت هذه من هذا وأهوى بيده إلى لحيته ورأسه.

فقال علي رضي الله عنه: «ليس ذلك يا رسول الله من مواطن الصبر ولكنه من مواطن البشري والشكر» انتهى من مجموع الإمام القاسم بن إبراهيم ص ٦٤٢

وقال الإمام الحسين عليه السلام: (ليرغب المرء في لقاء ربه فإني لا أرى الموت إلا سعادة

والحياة مع الظالمين إلا شقاوة) ذكره في الحقائق ص ١٩٥ .

وقال عليه السلام (ما أولعني بالشوق إلى أسلافي اشتياق يعقوب عليه السلام إلى يوسف عليه السلام وأخيه) انتهى من الحقائق .

وقال الإمام زيد عليه السلام: (والله لو علمت أن رضا الله عني في أن أقدح ناراً بيدي حتى إذا أضمرت رميت بنفسي فيها لفعلت ولكن ما أعلم شيئاً أرضى الله عز وجل عني من جهاد بني أمية). انتهى من المجموع .

وقال عليه السلام (وكتبت تسألني عن حالي فأنا يوم كتبت إليك مفتقر إلى الله تعالى أدعوه وأسأله أن يلحقني بابائي الشهداء المرزوقين لزهدي في الدنيا) انتهى ص ٣١٧ من المجموع .

وقال الإمام يحيى بن زيد عليه السلام:

يا ابن زيد أليس قد قال زيد من أحب الحياة عاش ذليلاً
كن كريد فأنت مهجة زيد واتخذ في الجنان ظلاً ظليلاً

وقال الإمام محمد بن عبد الله النفس الزكية عليه السلام: مجيباً لأبي خالد الواسطي رضي الله عنه: (يا أبا خالد أنا خارج وأنا والله مقتول والله ما يسرني أن الدنيا بأسرها لي عوض عن جهادهم يا أبا خالد إن امرأ مؤمناً لا يصبح حزينا ويمسي حزينا مما يعاين من أعمالهم إنه لمغبون مفتون قال قلت يا سيدي والله إن المؤمن كذلك ولكن كيف بنا ونحن مقهورون مستضعفون خاشعون لا نستطيع لهم تغييراً فقال يا أبا خالد إذا كنتم كذلك فلا تكونوا لهم جمعاً وانفذوا من أرضهم). انتهى من الحقائق ص ٢٧٨ وهو في التحف .

أقول انظر إلى قوله وأنا والله مقتول مع أنه لو أراد السلامة لترك القتال وسلم وكذلك غيره من الأئمة .

قال الإمام الموفق بالله في الاعتبار ص ٥٣٩ ما لفظه (وجدنا خيار ذرية رسول الله ﷺ، بذلوا أرواحهم في سبيل الله، ابتغاء مرضات الله، في زمان عظيم الجهاد فيه، كالحسين بن علي عليه السلام، وزيد بن علي، ويحيى بن زيد، ومحمد بن عبد الله، وإبراهيم بن عبد الله، والحسين بن علي الفخي.. وغيرهم، فتحملوا مكاره بالقتل والضرب والطرده ما تغني شهرته عن ذكره.

هذا زيد بن علي عليه السلام، قتل، ثم صلب سنين، حتى تفرخ الطير في جوفه، ثم أنزل فأحرق، وذري رماده في الفرات، وقد كان يخلى إن تخلى عن منابذتهم، والإنكار عليهم، فرأى جهادهم أفضل من جهاد أهل الشرك، إذ كان ذلك تطهير دار الإسلام، ولعظم مقام المجاهدين عند الله تعالى، أمر أن يدفنوا بدمائهم، ولا ينزع من ثيابهم ما قد أصابه الدم، ولا يغسلوا ليلقوا الله تعالى يوم القيامة، وعليهم آثار المجاهدين) انتهى.

وقال الإمام يحيى ابن عبد الله عليه السلام في جوابه على هارون الغوي «والله ما أكلي إلا الجشب، ولا لبسي إلا الخشن، ولا شعاري إلا الدرع، ولا صاحبي إلا السيف، ولا فراشي إلا الأرض، ولا شهوتي من الدنيا إلا لقاءكم، والرغبة في مجاهدتكم ولو موقفاً واحداً، انتظارا لإحدى الحسنين في ذلك كله في ظفر أو شهادة» إلى آخره ص ٣٤٠ الحدائق وهو في التحف وقال الإمام الهادي عليه السلام: والله لولا كرامة الله ومحبة ما أحب الله والإيثار لما أراد ووجوب الحجة وأداء واجب الفريضة والمعرفة من نفسي ما لا يعرفه مني غيري والرغبة فيما بذل الله من الثمن الربيع حين يقول تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ هُمْ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١]

ومع ذلك طلب الدرجات اللواتي فضل الله بهن المجاهدين على القاعدين حين يقول تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ

وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿[النساء: ٩٥]﴾ دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿[النساء: ٩٦]﴾ والرجاء أن يصلح الله أمور المسلمين ويلم بنا شعث المؤمنين ويهدي بنا العباد ويؤمن بنا البلاد ويشبع بنا البطون الجائعة، ويكسي بنا الظهور العارية ونرد المظالم على المظلومين ويقوى في الحق جميع العالمين ونذل المبطلين ونغز المحقين ونسير بسيرة ملائكة رب العالمين وأنبيائه المرسلين صلوات الله عليهم أجمعين ونذكر بسيرتنا أفاضل من مضى من آبائنا ونكتب أعداء الحق، ونظهر كلمه الصدق ونرضي الرحمن ونسخط الشيطان، لسقتت آخرها في أثر أولها ولرددت وجوه أولها على آخرها وخلت قليلها الباقي يلحق بأوله الماضي حتى يعلم الجاهل وأهل الشك من الضلال أن دنياهم أمرها أيسر وأهون على يحيى بن الحسين من النقيير، ولكن يحجب عن ذلك ويمنعنا عن أن يكون كذلك ما وصفنا وقلنا وذكرنا مما فيه رغبتنا من كرامة ذي الجلال والسلطان والرغبة في مرافقة الصالحين في الجنان ورحمة المسلمين ونصر الحق والدين والاقتداء بأولى العزم من النبيين فنسأل الله الخيرة في كل الأمور والدفع لكل مخوف على الدين أو محذور وأن يبلغنا في ذلك ما أملنا به من طاعة ربنا وسيدنا والحمد لله رب العالمين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم الحق المبين وحسبنا الله العلي الكريم عليه توكلنا وهو رب العرش العظيم وصلى الله على محمد خاتم النبيين وعلى أهل بيته الطيبين) انتهى من الأحكام ص ٥٠٥ ج ٢.

أقول انظر إلى قوله أيسر وأهون على يحيى بن الحسين من النقيير ففيه دلالة واضحة على أن الدافع له ولمن سار على نهجه من أئمة العترة إنما هو القيام بأمر الله في إصلاح البلاد بتطبيق الشرع الشريف بين العباد وجهاد أهل الظلم والفساد لا من أجل حطام الدنيا والفساد فيها. كما قال جده أمير المؤمنين علي (عليه السلام) (وَلَا لَفَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هَذِهِ أَزْهَدُ عِنْدِي مِنْ عَفْطَةِ عَنَزٍ).

وقال الإمام الناصر الأطروش عليه السلام:

فخشيتُ أن ألقى الإله وما أبليت في أعدائه عندي
أو أن أموت على الفراش ضناً موت النساء أجري في قبري
وعلمت أني لا أزداد بها آتي وينقص من مدى عمري
فشرت للرحمن محتسباً نفساً عليّ عظيمة القدر

إلى آخره. انظر مآثر الأبرار.

وقال الإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان عليه السلام: في معرض كلامه عن أعداء الدين ما لفظه: (فلذتي في الدنيا قتاله وقاتل أمثاله من أعداء الله تعالى، وقد نغصت عليه وعلى غيره من أهل الدنيا دنياهم في كل ناحية، ولي اليوم نيف وعشرون سنة، كلما فرغت من حرب قوم من الظالمين، قمت بحرب آخرين من أعداء رب العالمين، وإني لا أبرح كذلك حتى أموت).

.. إلى قوله: فليعلم أن الداء الذي لا دواء له هو الموت، وأنا له كذلك إن شاء الله تعالى، وقد قال النبي ﷺ: «نحن السم فمن شاء فليستم، ونحن الشم فمن شاء فليشتم»، وأنا له داء ولضده دواء، فليعلم ذلك والسلام، وصلى الله على سيدنا محمد وآله. انتهى. من التحف شرح الزلف. ص ٢٤٠

وقال الإمام المنصور عبد الله بن حمزة عليه السلام: ما لفظه

ولولا ثلاث هن من عيشة الفتى وجدك لم أحفل متى قام عوذي
فمنهن خلط الخيل بالخيول ضحوة على عجل والبيض بالبيض ترتدي
ومنهن نشر الدين في كل بلدة إذا لم يقيم بالدين كل مبلد
ومنهن تطهير البلاد عن الخنا ورحض أديم الأرض من كل مفسد
بذلك أوصاني أبي وبمثلته أوصي بني أوحداً بعد أوحداً

انتهى من التحف. ص ٢٤٧

فتبين لكم أيها الإخوة بما قدمنا شوق أهل البيت للقيام بأمر الله ضد الظالمين والكافرين وعدم صحة ما يقال بأنهم مضطرون لذلك وتبين أنهم ما قاموا إلا رغبة في الآخرة وزهداً في الدنيا وأنهم لو شاؤوا الدنيا لحصلوا عليها.

كما ذكر الإمام يحيى بن عبد الله عليه السلام مبيناً حال أمير المؤمنين على عليه السلام في رسالته إلى هارون الغوي حيث قال ما لفظه (ولو شاء أمير المؤمنين لهدأت له، وركنت إليه ؛ بمحابة الظالمين، واتخاذ المضلين، وموالاة المارقين) الخ انتهى ص ١١٦ من التحف. وقد سار على نهجه أئمة الهدى من ولده من ذلك الزمان وإلى هذا الأوان بل وإلى آخر أيام الدنيا كما جاءت به الأخبار عن النبي المختار صلى الله عليه وعلى آله الأطهار.

فصل في الابتلاء بالجهاد

الامتحان بالجهاد لا بد منه في هذه الحياة لا بد لكل مؤمن أن يمر بمرحلة هذا الاختبار العظيم الذي يميز الله به بين صادق الإيمان من الكاذب قال تعالى مقسماً: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: ٣١] وقال: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٢] وقال: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً﴾ [التوبة: ١٦] إلى غير ذلك من الآيات

فلا بد لنا أيها الإخوة من مراحل كثيرة نمر بها في هذا الابتلاء فعلى المؤمن أن يوطن نفسه على القبول والرضى بكل ما يتوجه عليه وأن يتهم نفسه وينبذ هواه ويترك كل ما يصده عن ذلك من حطام الدنيا الفانية فمثلاً قد يبتلى الإنسان بطاعة قائم من آل من

العلماء الذين لا يهواهم ولا يالفهم بحيث لو كان غيره ممن نفسه تميل إليه لاتبعه وجاهد معه لكن هذه سنة الله في الابتلاء فالحياة كلها ابتلاء فقد قالت قريش فيما حكاها الله لنا ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١] وكذلك قال فرعون لعنه الله لموسى صلوات الله عليه ﴿فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ﴾ [الزخرف: ٥٣] محتقرا له حين دخل عليه وعليه ثياب البذلة وكذلك بنو اسرائيل قالوا في شأن طالوت ﴿أَتَنَى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ﴾ [البقرة: ٢٤٧] فهكذا سنة الله في الخلق ولن تجد لسنة الله تبديلا.

وقد يتجاوز الإنسان هذه المرحلة من الابتلاء فيمر بمرحلة أخرى وهكذا وقصة طالوت من أكبر الأمثلة على ذلك فعليك أخي المؤمن بتدبرها واعلموا يا جنود الحق العاملين في جميع المجالات الخادمة للدين أنكم تعملون عملكم ذلك مع الله فلا تتقاعسوا في أي شيء من الأعمال لأجل أي غرض من الأغراض الدنيوية مثلا إذا أمرت أخي المؤمن بطاعة من هو أصغر منك سنا أو علما أو جاها أو مساويا لك وما أشبه ذلك فعليك بالامتثال وهذا هو المقصود بالأحاديث في الطاعة المطلقة لولي الأمر سواء حصلت على ما كنت تتوقع من حطام الدنيا الفانية أم لم تحصل فلا يكن ذلك صارفا لك ومشطا عن السير في عملك هذا الذي ترجو من ورائه الفوز برضا الله والجنة فتكون ممن خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين وعليكم بترك الحسد والقناعة بما حصل من الزاد فسوف ترجعون الى الله فيثيبكم ثواب المحسنين ويعطيكم أفضل أجور العاملين وعليكم أن تعرفوا أنه ليس الغرض من الجهاد والأمر والنهي هو أن نحقق دولة نتولى على الناس فيها ونحصل على المناصب والوظائف وإنما الغرض هو الائتمار لأمر الله في جهاد الظالمين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فان وصلنا إلى دولة نحكم فيها بالعدل فيعم خيرها جميع الناس فذلك من فضل الله علينا والا فقد أدينا ما أمرنا فلا تفعلوا أيها الإخوة شيئا من المحرمات لتحقيق ذلك فالله لا يريد ذلك منا ولا يصلح عمل المفسدين وفقنا الله لكل خير وسداد.

فصل

في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

منزلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر منزلة عظيمة لدى أهل البيت الطاهرين وقد جاء الحث على ذلك في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ.

ولكننا نذكر هنا ما قاله أئمة أهل البيت عليهم السلام إذ هم حجة خصوصاً على من اعترف بمقامهم.

وقال أمير المؤمنين وسيد الوصيين علي بن أبي طالب عليه السلام: (وَإِنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ لَخُلُقَانٍ مِنْ خُلُقِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَإِنَّهُمَا لَا يُقَرَّبَانِ مِنْ أَجَلٍ وَلَا يَنْقُصَانِ مِنْ رِزْقٍ).

وفي مجموع زيد عليه السلام [ص ٣٥٢]: عن آبائه، عن علي عليه السلام، قال: (لا يفسد الجهاد، والحج جور جابر كما لا يفسد الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر غلبة أهل الفسق).

وقال الإمام زيد في رسالته إلى علماء الأمة ص ٢٩٧ من المجموع مالفظه (ثم إني أوصيكم معشر العلماء بحفظكم من الله في تقواه وطاعته، وأن لا تبعوه بالمكس من الثمن، والحقير من البدل، واليسير من العوض، فإن كل شيء آثرتموه وعملتكم له من الدنيا ليس بخلف مما زين الله به العلماء من عباده الحافظين لرعاية ما استرعاهم واستحفظهم من أمره ونهيه، ذلك بأن العاقبة للمتقين، والحسرة والندامة والويل الدائم للجائرين الفاجرين. فتفكروا عباد الله واعتبروا، وانظروا وتدبروا وازدجروا بما وعظ الله به هذه الأمة من سوء ثنائه على الأخبار والرهبان. إذ يقول: ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَنْبِيَاءُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّخْتِ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: ٦٣].

وإنما عاب ذلك عليهم بأنهم كانوا يشاهدون الظلمة الذين كانوا بين ظهرانيهم يأمرون بالمنكر، ويعملون الفساد، فلا ينهونهم عن ذلك، ويرون حق الله مضيعاً،

ومال الله دولة يؤكل بينهم ظلماً، ودولة بين الأغنياء، فلا يمنعون من ذلك، رغبةً فيما عندهم من العرض الآفل، والمنزل الزائل، ومُداهنة منهم على أنفسهم وقد قال الله عز وجل لكم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: ٣٤]، كيما تحذروا.

وإذا رأيتم العالم بهذه الحالة والمنزلة فأنزلوه منزلة من عاث في أموال الناس بالمُصانعة، والمُداهنة، والمُضارعة لِظُلْمَةِ أهل زمانهم، وأكابر قومهم، فلم ينهوهم عن منكر فعلوه؛ رغبة فيما كانوا ينالون من السُّحت بالسكوت عنهم) وساق في ذلك إلى أن قال: (فكره الله تعالى للعلماء - المُستَحْفَظِينَ كُتْبَهُ وَسُتَّتْهُ وَأَحْكَامُهُ - ترك ما اسْتَحْفَظَهُمْ، رغبةً في ثواب مَنْ دُونَهُ، ورهبةً عقوبةٍ غيره. وقد مَيَّزَكم الله تعالى حَقَّ تمييز، ووسَمَكم سِمَةً لا تخفى على ذي لُبٍّ، وذلك حين قال لكم: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١].

فبدأ بفضيلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم بفضيلة الأمرين بالمعروف والنَّاهين عن المنكر عنده، وبمنزلة القائمين بذلك من عباده.

ولعَمَرِي لقد استفتح الآية في نَعْتِ المؤمنين بفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فاعتبروا عباد الله وانتفعوا بالموعظة.

وقال تعالى في الآخرين: ﴿وَالْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾ [التوبة: ٦٧]. فلَعَمَرِي لقد استفتح الآية في ذمهم بأمرهم بالمنكر ونهيهم عن المعروف، فاعتبروا عباد الله وانتفعوا) إلخ انتهى

وقال الإمام إدريس بن عبد الله (عليه السلام) في دعوته (وفرض الله عز وجل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأضافه إلى الإيمان به والإقرار بمعرفته، وأمر بالجهاد

عليه والدعاء إليه، وقال عز وجل: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ﴾ [التوبة: ٢٩]، وفرض قتال العاندين عن الحق، والباغين عليه ممن آمن به وصدق بكتابه حتى يعودوا إليه ويفيئوا.

كما فرض الله قتال من كفر به وصد عنه حتى يؤمن ويعترف بدينه وشرائعه، فقال تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الحجرات: ٩].

فهذا عهد الله إليكم وميثاقه عليكم في التعاون على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان فرضاً من الله واجبا، وحكما من الله لازما. فأين عن الله تذهبون وأنى تؤفكون، وقد جابت الجبابة في الآفاق شرقا وغربا، وأظهروا الفساد وامتلاأت الأرض ظلما وجورا فليس للناس ملجأ، ولا لهم عند أعدائهم حسن رجاء. فعسى أن تكونوا معاصر إخواننا من البربر اليد الحاصدة للجور والظلم، وأنصار الكتاب والسنة، القائمين بحق المظلومين من ذرية خاتم النبيين، فكونوا عند الله بمنزلة من جاهد مع المرسلين ونصر الله مع النبيين والصديقين) انتهى ص ٦٠ من كتاب أخبار فخر.

وقال الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام: (وحقيقة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: قول النبي صلوات الله عليه: (من غابت عليه شمس نهاره ولم يأمر بمعروف ولم ينه عن منكر فقد تبوأ مقعده من النار)^(١) انتهى ص ٣٦٨ من مجموعه.

وفي الجامع الكافي قال الحسن بن يحيى عليه السلام: أجمع آل رسول الله ﷺ أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة على العامة والخاصة وأجمعوا على أن جهاد أهل البغي واجب على الخاصة والعامة) انتهى نقلاً من الإعتصام ص ٤٤٦.

وقال الإمام الهادي إلى الحق عليه السلام: (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض من الله لا

(١) لعل هذا الخطاب موجه إلى من رأى المنكر فلم ينكره حتى غابت شمس يومه، أما من لم ير منكراً فما ينكر حتى يلزمه هذا الوعيد، فهو خاص بمن توفرت الدواعي لأن ينكر المنكر فلم ينكر. تأمل موقفاً. تمت شمس الدين.

يسع تركه ولا يحل رفضه وهو أكبر فروضه التي أوجبها على عباده وأعظمها وفي ذلك ما يقول الله عز وجل: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤١]. انتهى من كتابه الأحكام. ص ٥٠٣ ج ٢.

وقال ﷺ في كتابه المجموع ما لفظه: (وكان أفضل ما افترض الله عليهم، وجعله حجة مؤكدة فيهم الجهاد في سبيله، والأمر بالمعروف الأكبر، والنهي عن النظام والمنكر، ولذلك امتدح الله به الأنبياء المرسلين، وذلك قوله: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، ويقول: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤١]، ويقول سبحانه: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠] ويقول تعالى أمراً منه لجميع المسلمين: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ألف الله بين المؤمنين، وجعلهم إخوة عليه متوالين وذلك قوله: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١] وبتروك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ذم الله المنافقين والمنافقات حين يقول: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [التوبة: ٦٧]. والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فلا يُنال إلا بالإقدام والتصميم، والنية والاعتزام الكريم على الجهاد في سبيل الله، وتوطين الأنفس على ملاقة أهل الظلم والطغيان، فحينئذ ينال ذلك، ويؤدي فرض الله من كان كذلك، وهو الجهاد في سبيله وفي ذلك ما يقول في واضح التنزيل: ﴿لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ

وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْفَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْفَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾ [النساء: ٩٥، ٩٦] وقال الله تبارك وتعالى ﴿:﴾ نَصْرَ من الله وَفَتْحَ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ [الصف: ١٠، ١٣] ويقول: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩] وللفضل الجهاد أمر الله نبيه بالتحريض عليه للعباد حين يقول: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾ [الأنفال: ٦٥]، ويقول تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [آل عمران: ١٧٠] انتهى. ص ٥٠٦.

وقال الإمام المؤيد بالله يحيى بن حمزة عليه السلام في كتابه التصفية مبيناً أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ما لفظه: (اعلم أنها قطبان من أقطاب الدين وهما المهمان للذان بعث الله بهما جميع النبيين فلو طوي بساطهما وأهمل رعاية حقهما لتعطلت النبوة واضمحلت الديانة وعمت الفتنة وفشت الضلالة وشاعت الجهالة وانتشر الفساد واتسع الخرق وخربت البلاد إلى قوله.... فمن سعى في تلافي هذه الفترة وانتعاش هذه العثرة مجدداً لهذه السنة الدائرة محيياً بسيفه ولسانه هذه الآثار الغابرة ناهضاً بأعبائها ومشمراً في إحيائها كان مستأثراً من بين سائر الخلق بإحياء سنة أفضى الزمان إلى إمامتها ومشيداً بإحياء قرينة تنضال درجات القرب دون ذروتها وفاز عند الله بالخط الأكبر وظفر من جهته بالنصيب الأجل الأوفر) انتهى.

وقال السيد العلامة بدر الدين بن أمير الدين عليه السلام أثناء تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ...﴾ [آل عمران: ١٠٤] ص ٥١٤ مالفظة (وفي الآية دلالة كما قلت على تكليف الذين آمنوا كلهم بإيجاد أهل الصفات المذكورة بإيجاد أمة هذه صفتها وطريقتها وعادتها المستمرة وعلى هذا يجب تعلم الدين ليتمكن إيجاد أمة من العلماء تقوم بهذا الواجب).

وقد غلط من قال: إن هذا الواجب خاص بالعلماء لأن الخطاب موجه إلى الذين آمنوا كلهم فعلى الأمة أن يوجدوا علماء ليقوموا بهذا الواجب فالعلم شرط أداء لا

شرط وجوب.

ومن فوائد هذه الآية : وجوب تحضير المذكورين بأن يدعو بعضهم بعضاً إلى تحصيل هذه الأمة ويتعاونوا بالمال والدفاع عنهم ويستمروا على ذلك ويتخيروا الصالحين لذلك بالعلم والعمل والعقل والزهد في الدنيا والورع الذين يحاولون جمع المسلمين باستعمال الرفق والتيسير وحسن الظن وفتح باب التأويل والحمل على السلامة دون من يشدد ويسعى في تفريق المسلمين وإلقاء العداوة بينهم والبغضاء عملاً بسوء الظن وبناء على المخالفات في المسائل الفرعية التي للنظر فيها نظره والمخالفات بطريق الخطأ والنسيان والإضرار... إلخ كلامه) انتهى.

وله رضوان الله عليه كتاب التحذير من الفرقة أورد فيه كثيراً من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي توجب على جميع المسلمين التوحد والإعتصام بحبل الله وتنهاهم عن التفرق والاختلاف وأن بالإمتثال لأمر الله في ذلك سيكون النصر للإسلام على سائر الأديان وقد ذكر ذلك أثمتنا ﷺ في كتبهم إلا أننا لم نذكر ذلك خشية الإطالة ولأن الأكثر يعلمون ذلك.

والشئ الذي ينبغي التنبيه عليه هو أمر الغلو في العداة حتى بين أبناء المذهب الواحد والطائفة الواحدة والغلو هو مذموم في أي شئ كان كما قد تقدم والتوسط هو الممدوح وهو المطلوب من الله سبحانه وتعالى وقد استطاع الإمام الأعظم زيد بن علي ﷺ توحيد المذاهب الإسلامية للجهد والقتال معه ضد أولئك الظالمين وترك الإمام إبراهيم بن عبد الله ﷺ الجهر بالتكبير الخامسة على الجنائز خشية انفضاض الجمع الذي بين يديه ولا شك أن الإنسان الذي يكون أكبر همه هو الدين سوف يتغاضى عن كثير من الحقوق اللازمة له من أجل مصلحة الدين.

فصل في وجوب الجهاد

قال الله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦] وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تُرَضُّوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤].

وقال النبي ﷺ: «إذا تبايعتم بالعينة^(١) وأخذتم بأذناب البقر وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لا ينتزعه حتى ترجعوا إلى دينكم».

وقال أمير المؤمنين علي عليه السلام: (وليس شيء مما افترض الله على العباد أشد من الجهاد، هو أفضل الاعمال ثواباً عند الله) انتهى

وقال عليه السلام: (الجهاد بابٌ من أبواب الجنة فتحه الله لخاصة أوليائه وهو لباس التقوى ودرع الله الحصينة وجنته الوثيقة فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذل وشمله البلاء وديث الصغار والقماءة وضرب على قلبه بالإسهاب وأدبل الحق منه بتضييع الجهاد وسيم الخسف ومنع النصف).

وقال عليه السلام: (إن أفضل ما توسل به المتوسلون إلى الله سبحانه وتعالى الإيمان به وبرسوله والجهاد في سبيله فإنه ذروة الإسلام).

وقال الإمام زيد عليه السلام:

حكم الكتاب وطاعة الرحمن
فرضا جهاد الجائر الخوان
فالمسرعون إلى فرائض ربهم
برؤا من الآثام والعدوان

(١) العينة بالعين نوع من أنواع البيوع الربوية.

والكافرون بِفَرْضِهِ وبحكمه كالساجدين لَصُورَةِ الأوثان
كيف النجاة لأمة قد بدلت ماجاء في القرآن والفرقان

وكان يردد عليه السلام هذه الكلمات (والله ما كره قوم قط حر السيوف إلا ذلوا، من أحب الحياة عاش ذليلاً، كيف لي أن أسكن، وقد خولف كتاب الله، وتحوكم إلى الجبت والطاغوت، والله لو لم يكن إلا أنا وابني يحبى لخرجت وجاهدت حتى أفنى).

وقال الإمام الحسين بن علي الفخي عليه السلام: (كيف لا يغضب أولو النهى؟ أم كيف يسبخ الطعام لأهل البر والتقوى؟. قد دُرِسَ الكتاب فأول على غير تأويله، وغني به على المعازف؛ فخرّف عن تنزيله، فلم يبق من الإسلام إلا اسمه، ولا من القرآن إلا رسمه. فلو أن مؤمناً تقطعت نفسه قطعاً أما كان ذلك لله رضا؟ بل كان بذلك عندي جديراً. فروحوا بنا إلى الله واصطبروا لله، فوالله إن الراحة منهم ومن المقام معهم في دارهم لراحة، والجهاد عليكم فريضة، فقاتلوهم فإن الله قد فرض عليكم جهادهم، واصبروا أنفسكم ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُورٌ﴾ [الصف: ٤]، وكونوا ممن أحب الله والدار الآخرة؛ باين أعداءه وأحب وأثر لقاءه، عصمنا الله وإياكم) انتهى من كتاب أخبار فخر ص ٣٦.

وقال الإمام الهادي إلى الحق عليه السلام: (وسألت فقلت: من يجب عليه النفير في سبيل الله؟

واعلم هداك الله أن النفير والهجرة في سبيل الله واجب على كل من عرفه ممن عدم أربعة أشياء، وكان سالماً منها، وهي: العرج والعمى، والمرض والفقر، فمن لم يكن من أهل هذه الأربعة الأشياء فالهجرة عليه والنفير واجبان، والجهاد والقيام لا زمان، لا يفكه عن فرضهما، ولا يزيحه عن واجب أمرهما؛ إلا القيام بهما والأثرة لهما، أو الكفر بمن افترضهما، كما قال الرحمن الرحيم، فيما نزل من الفرقان الكريم؛ حين يقول تبارك وتعالى: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ

تَعْلَمُونَ ﴿[التوبة: ٤١]﴾ ثم قال سبحانه . قطعاً منه لحجج المتعللين، واعذاراً وإنذاراً إلى العالمين، وتبييناً لفرضه الأكبر، وإقامة لدينه الأوفر، وحضاً على ما به قوام الإسلام، وصلاح دين محمد ﷺ .: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ﴾ [التوبة: ٢٤] إلى قوله: ﴿فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤]، فجعل المتخلفين عن جهاد الظالمين، في الحكم عنده سبحانه من الفاسقين. وما ذكر به من ذلك أولئك، ومن كان من الخلق كذلك؛ فكثير في القرآن، معلوم عند أهل المعرفة والبيان، يطول شرحه لو شرحناه، ويجزي ما ذكرناه عما تركناه.

وكيف لا يكون من منع الجهاد، وتعلل بالأموال والأولاد، من أشر العباد عند ذي العزة والأيد؛ وقد هتك الدين، وباين رب العالمين، وشرك في دماء المسلمين، وقوى بذلك جميع الفاسقين؟! فكان بخذلانه للدين، وقعوده عن المحقين؛ شريكاً للكافرين، ومعاضداً للفاجرين، إذ كانت . بخذلانه . نيته وسطوته على المحقين، بتخلف المتخلفين مظهره . فكان محل الخاذل . بخذلانه وقعوده عند الله . محل المحارب بمحاربتة، لا ينفك الخاذل للمؤمنين، من المشاركة للفاسقين، فيما نالوه من المتقين، في حكم أحكم الحاكمين.

فليتق الله ربه، وليقس بفتنه شبّه^(١)، وليترك عنه التعللات، وليحذر من الله النقمات، فقد وضح الحق لطالبه، واستنار الرشد لصاحبه. فلا عذر في تخلف المتخلفين، ولا حجة في تأويل المتأولين، ولا بد من النصرة لرب العالمين، أو الكفر بما أنزل على خاتم النبيين صلى الله عليه وعلى آله الطيبين وسلم) انتهى من المجموع. ص ٥٧٠.

ويناسب هذا القول قول جده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ: (وَقَدْ قَلَّبْتُ هَذَا الْأَمْرَ بَطْنُهُ وَظَهْرُهُ حَتَّى مَنَعَنِي النَّوْمَ فَمَا وَجَدْتُني يَسْعُنِي إِلَّا قِتَالُهُمْ أَوْ الْجُحُودُ بِمَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ (صلى الله عليه وآله) فَكَانَتْ مُعَالَجَةُ الْقِتَالِ أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ مُعَالَجَةِ الْعِقَابِ وَمَوَاتُ الدُّنْيَا أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ مَوَاتِ الْآخِرَةِ) انتهى من نهج البلاغة.

(١) الفتر نوع من أنواع القياس تقريباً ما بين الإبهام والسبابة، والشبر معروف.

أقول والفقر الذي عده الإمام الهادي عليه السلام بين الأعذار التي يسقط بها الجهاد عن الإنسان هو الذي ذكره الله سبحانه بقوله ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾ [التوبة: ٩٢] فالمقصود به هو الشخص الذي ليس لديه ما يركب فوقه إلى محل القتال أو لا يجد الكراء أو لا يجد السلاح الذي يقاتل به كما ذكره الأئمة والعلماء فإذا أعطاه الإمام ذلك وجب عليه الجهاد فأما إذا كان له زوجات وأولاد وأقارب يحتاجون إلى الإنفاق عليهم وليس له مال يتركه للإنفاق عليهم فذلك غير عذر له عند الله سبحانه في ترك الجهاد فقد قال الله سبحانه ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ﴾ [التوبة: ٢٤]... إلخ الآية قال الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة عليه السلام في المهذب ص ٤٨٢ ما لفظه (ولا عذر حينئذ لمن يقول لا أجد ما أترك معهم، ولا أجد ما أنفق عليهم بعدي أو على من يكفلهم، أو إني أتسبب لهم من المهنة، فإن هذا غير عذر عند الله سبحانه) انتهى فيجب عليه النفير للجهاد في سبيل الله وتركهم فالله هو الرزاق ذو القوة المتين.

وقال الإمام المرتضى عليه السلام في الإيضاح ص ٧١٣ ما لفظه (ثم بعد ما ذكرنا فيجب على الخلق أن يعرفوا فضل الجهاد وما أوجب الله عز وجل لمن جاهد من الثواب الكريم والجزاء العظيم فبالجهاد يقام الكتاب وتحيا السنة وتنفذ الأحكام ويذهب الباطل والآثام وتشبع البطون الجائعة وتكسى الظهور العارية وينصف المظلوم ويقمع الجبار ويرضى الرحمن ويسخط الشيطان وتذهب الأهوال المشكلة وتثبت الأسباب النيرة وفي ذلك ما يقول الله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الصف: ١٠] ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الصف: ١١] ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ دُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِينٌ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَذْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [الصف: ١٢] فأوجب الله سبحانه لمن جاهد غفران الذنوب جميعا ولم يوجبه في شيء من الأعمال إلا في الجهاد وقال سبحانه وجل عن كل شأن شأنه في الجهاد: ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [الأنفال: ٧٣] ثم قال

عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنَا قُلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة: ٣٨] ﴿إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التوبة: ٣٩] وقال سبحانه: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ فلما ذكر الجهاد قال ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ وقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمْ الصَّادِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥].

وفي الجهاد ما يقول رسول الله صلى الله عليه وعلى آله (ما اغبرت قدما رجل مؤمن في سبيل الله فطعمته النار) وقال ﷺ: (إذا أرجف قلب المؤمن في سبيل الله تحاتت الذنوب عنه كما يتحات التمر اليابس من روؤس النخل في يوم عاصف) وفي الجهاد ما يقول رسول الله ﷺ: (لنومة في سبيل الله أفضل عند الله من عبادة ستين سنة يصوم نهارها لا يفطر ويقوم ليلها لا يفر) ويقول ﷺ: (ما خفقت راية حق على رأس امرء مسلم إلا حرم الله عليه النار). وقال ﷺ (مثل أعمال البر مع الجهاد كمثل حجة في بحر) وفي الجهاد من الفضل والذكر من الله سبحانه ومن رسوله ﷺ ما يطول شرحه ويكثر ذكره والقليل النافع خير من كثير غزير لا يغني) انتهى.

وقال الإمام القاسم بن علي العياني ﷺ ص ٣٢٨ من المجموع ما لفظه (ثم اعلّموا رحمكم الله أن الله ابتلا بإنفاق أموالكم في سبيله وبذل أنفسكم للقتل دون حريمه وصلاح بلاده وعباده ولم يجعل لمؤمن أن يأخذ على قتاله أجرا إن لم يعطه زال عنه فرض الجهاد بل قال وقوله الحق المبين ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنَا قُلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة: ٣٨] ﴿إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ [التوبة: ٣٩] وها أنتم في وقت ذلك فلا تنسوا ما أمركم الله ولا تبخلوا بما رزقكم الله عن الإنفاق في سبيله وقد علمتم من قوله الصادق قوله جل وعز: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَتَتْ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١] فأَيُّ

تجارة تُربح بائعها مثل هذا الربح الذي ينال فيه سبعمائة أضعافه؟! أذلك والحمد لله غير موجود في أي دنياكم ولا مستفاد في مكاسبكم ولا معلوم مثله عند أحد منكم فهل فيكم لهذه التجارة طالب يبذل اليسير الحقيق من ماله لينال الكثير الجزيل من ثواب ربه والله يقول وقوله الحق ﴿وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٢١] فلا تزهّدوا رحمكم الله في عمل يكتب لكم فيه ضعفني نفقاتكم وكثيرها فيقطع ما لا تحصون عدده من الأودية التي لا يتجاوزنها في سبيل ربكم فليس ما وعدتم على ذلك بقليل ولا العجز فيه بمثل.

فسارعوا إلى أفضل أعمالكم قبل حلول آجالكم وفوت آمالكم وذروا طول الغفلة عنكم (فإذا بعد الحق إلا الضلال) وقال سبحانه معرفاً بالمؤمنين واصفاً لهم بأكرم صفاتهم: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [النور: ٦٢] أجل صدق الله ورسوله أن أولئك المؤمنين الذين بذلوا أنفسهم وأموالهم ولم ييخلوا عن القربات إليه بالمضنون من الأنفس والأموال وهل يوجد بماله إلا من سمح بنفسه وصيرها لحكم ربه؟! فكونوا رحمكم الله بأولئك مقتدين ولا تأثرهم سالكين تنالوا من ذلك الخير ما نالوا وتبلغوا في الآخرة ما هم بالغون.

وقال وقوله الحق: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الصف: ١٠] ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الصف: ١١] أما والله لا ربحت صفقة من فاتته هذه التجارة!! واعتاض منها الخسارة!! انتهى.

وقال الإمام الحسين بن القاسم (عليه السلام) في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ﴾ [الحديد: ٢٥] (يريد: خلقنا ولا فرق بين أنزلنا وفعلنا) ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ﴾ [الحديد: ٢٥] ونصرهم الله فيما غاب عنهم من الوعد والوعيد فيعلم عز وجل من ينصره وينصر أنبياءه ويقا تل وينابذ في الدين أعداءه ويعز بجهد و صبره أولياءه مع ما شاهد في ذلك من حر الجلا د ومفارقة الوطن والأهل والأولاد والمحن

والسير في أقطار البلاد فآلهموا أنفسهم فراق ذلك مختارين قبل يفارقونه كارهين مأزورين وكونوا لذلك مستعدين منتظرين محتسبين لله عز وجل صابرين فالدنيا غير مقيمة لأهلها ولكن هذه الأمة أبت إلا التهادي في جهلها فمن لم يختر فراق الدنيا فارقها صاغرا وارتحل بالموت وكان عند الله بائرا وأنا أعطي الله عهدا وميثاقا وثيقا أكيدا لئن بلغني ما أومل من الجهاد والمنازمة لذوي الغي والفساد لأوثرن طاعته في جميع الأحوال ولأنصرن دينه بالفعل والمقال ولو ذهب في ذلك رأسي أو رخصت في الغضب لله نفسي فنسأل الله العون على ذلك برحمته والتوفيق والتسديد لطاعته فالجهاد أقرب ما يتقرب به إلى الرحمن ويطلب به الفرار من النيران) انتهى ص ١٢٦ من المصاييح الجزء الثاني.

وقال عليه السلام في تفسير قوله تعالى ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢] يريد أنهم جماعة أوليائه وأنصاره ومعنى هم المفلحون يريد أنهم الباقون الراحون نسأل الله الفلاح برحمته والتوفيق لجهاد أهل معصيته وعداوته فالجهاد أفضل ما دعا به الداعون وأنبل ما طلبه من الله الطالبون فرحم الله عبدا جاهد بلسانه وقلبه ويده واجتهد في نكاية أعداء الله بطاقته ومبلغ ما ركب الله فيه من قوته حتى يموت على ذلك أو في الجهاد فيبلغ أفضل درجات العباد فنسأل الله العون على ما قصدنا من الرشاد وهلاك المنكر والمحال والفساد) انتهى ص ٩٣ من المصاييح.

وقال الإمام الموفق بالله عليه السلام: (ما من شيء أعزُّ على الإنسان من حياته، فمتى بذل لله تعالى حياته فأية قرابة مثلها؟

وقال: الجهاد منوط بالمال والحياة، فمن واسى بحياته، وأنفق في سبيل الله ماله، فقد أَرْضَى بنعم الجنان حياته، وأثقل بحسناته ميزانه، وتلافى بربحه خسارانه.) انتهى من الإعتبار.

وقال الإمام محمد بن القاسم الحوثي عليه السلام: (ونحن ندعوا إلى الكتاب والسنة، وما جاء

به الله ورسوله، وإحياء معالم الدين، والجهاد في سبيل رب العالمين، والذب عن المسلمين، لا نبالي بوفاق من وافق، ولا بشقاق من شاقق؛ لأن الله قد واعدنا إعزاز الدين وبيانه، ونصر الحق وأعوانه، وقد شاهدنا عنوان ذلك، وأهرع الجمل الغفير إلى ما هنالك، وأجابوا ولبوا، ونشرت أعلام الجهاد، وظهر الصلاح على العباد، مع أننا على ثبات من أمرنا وبصيرة في ديننا، وبينه من ربنا، واثقين بوعد الله: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [غافر: ٥١]، ﴿وَلَنَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ﴾ [الحج: ٤٠]. إلى أن قال: جردنا العزيمة غيرة لدين الله تعالى، وقمنا بهذا الواجب العظيم تعظيماً وإجلالاً لقول الله تعالى: ﴿وَمَن أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ [فصلت: ٣٣]. ومنها: وإنا بحمد الله لما قمنا بهذا الأمر دعونا الأمة لما فيه صلاحها ورشادها، وخيرها وسدادها، وامثلنا أمر ربنا عز وجل فيما أوجب علينا، وحملناهم الحجة فيما أوجب عليهم، وأودع من الأمانة لديهم.

بعد أن قال: ولا زلنا نبذل النفوس والنفيس طلباً لإعزاز الدين، والذب عن شريعة سيد المرسلين، وإحياء سنة الجهاد التي هي طريقة الأنبياء والأئمة الراشدين، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) انتهى من كتاب التحف ص ٣٧٣.

وقال السيد العلامة بدر الدين بن أمير الدين رحمته الله أثناء تفسيره لقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ﴾ [البقرة: ٢١٦] ص ٣١٩ ما لفظه: (وهذه الآية وهي قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ﴾ ترد على من يمني نفسه أن قد قام بفريضة الجهاد لأنه يجاهد نفسه وهو الجهاد الأكبر أو لأنه يجاهد بقلمه ويحتج فيما يكتب على بطلان أقوال الكفار ويدافع عن الإسلام بقلمه ولسانه وهذا كله وإن كان جهاداً فهو لا يكفي عن بذل النفس في سبيل الله وإذا صدق في جهاد نفسه فمنه بيعها من الله وحملها على القتال في سبيل الله وتعريضها للقتل أو الغلبة للقيام بما فرض الله عليه في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّهُمْ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ [التوبة: ١١١]

ومن الناس من يقول: لو كان جهاد لجاهدت ويظن أن نيته لذلك تكفيه دون أن يعمل لتحصيل الأنصار والقوة بل يكتفي بانتظار اجتماع جيش ذي عدة ولعل

الآخرين مثله كل منهم ينتظر وينوي أن يجاهد إذا جاء جهاد ولعل كثيراً من الناس لو علم وجوب الجهاد وإعداد القوة لا استعداد للجهاد ولكن الناس لا يذكرون له الجهاد ولا يأمرونه بالإعداد فهل الجهاد يأتي الناس وهم قاعدون لا يدعو إليه أحد ولا يستعد له أحد كما يأتيهم شهر رمضان وشهر الحج وأوقات الصلاة !!

إذاً فانتظار الجهاد كانتظار الصلاة أما إذا كان الجهاد لا يكون إلا بالاجتماع له والإعداد له والتداعي إليه والتواصي به والحث عليه والتخويف من الاتكال على الأعذار فإنه يلزم الذين يريدون امتثال أمر الله والقيام بفرضه تحصيل ما لا يتم إلا به والتماس الأنصار والقوة والعمل على جلب المحبة والإخاء وتأليف القلوب للقيام بالواجب وأن يحذروا أن يكونوا كمن أمر بطلوع السطح فقال لا أستطيع ليس عندي سلم وهو يستطيع التماس السلم والصعود عليه وليعتبروا بالإمام القاسم بن محمد عليه السلام في جهاده وصبره ومصابرته حتى انتصر وكذلك الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين وكذلك الناصر الأطروش وغيرهم من أئمة الهدى الذين باعوا أنفسهم من الله صادقين) انتهى.

إلى غير ذلك من أقوالهم فهي كثيرة والمقصود الإختصار.

فصل

في فوائد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

قال الإمام علي عليه السلام (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فريضة عظيمة بها تقام الفرائض، إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبيل الأنبياء ومنهاج الصالحين، فريضة بها تقام الفرائض وتحل المكاسب وترد المظالم، وتعمر الأرض، وينتصف من الأعداء) انتهى.

وقال الإمام زيد عليه السلام (واعلموا أن فريضة الله تعالى في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إذا أقيمت له استقامت الفرائض بأسرها، هيئتها وشديدها، وذلك أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو: الدعاء إلى الإسلام، والإخراج من الظلمة، وردّ المظالم، وقسمة الفيء والغنائم على منازلها، وأخذ الصدقات ووضعها في مواضعها، وإقامة الحدود، وصلة الأرحام، والوفاء بالعهد، والإحسان، واجتناب المحارم، كل هذا من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يقول الله تعالى لكم: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِنِّمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢]، فقد ثبت فرض الله تعالى، فاذكروا عهد الله الذي عاهدتموه وميثاقه الذي واثقكم به إذ قلت: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [المائدة: ٧]. انتهى ص ٣٠٠ من المجموع.

وقال الإمام الموفق بالله عليه السلام: (ما من أمة استقاموا بالمعروف والانتفاء عن المنكر، إلا استقامت أمورهم ديناً ودنياً، وما من أمة ضيعوهما، إلا سلط عليهم أشرارهم، وضاع خيارهم، وانبثق عليهم فساد الدنيا والدين، وهما حق الله عليك، فمهما لم ترع حقه كيف ترجو رعاية حقك عليه وعلى غيرك) انتهى من الاعتبار وسلوة العارفين

أقول تأمل أخي القارئ لهذا الكلام فقد صرح بما دلت عليه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية من أن القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيه صلاح الدنيا والدين.

فصل في فوائد الجهاد

قال الإمام علي عليه السلام: (شرع الله الجهاد عزاً لأهل الإسلام)

وقال الإمام زيد عليه السلام في رسالته إلى علماء الأمة مبيناً فضائل الجهاد (وذلك أنا ننزع الجائرين عن الجنود، والخزائن، والمدائن، والفيء، والغنائم، ونثبت الأمين المؤمن، غير الرأشي والمرتشي الناقض للعهد؛ فإن نَظَهَرْ فهذا عهدنا، وإن نستشهد فقد نصحن

لربنا، وأدينا الحق إليه من أنفسنا، فالجنة مثوانا ومنقلبنا، فأبي هذا يكره المؤمن، وفي أبي هذا يرهب المسلم؟ وقد قال الله عز وجل لنبيه ﷺ: ﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾ [النساء: ١٠٧] انتهى من المجموع ص ٣٠٥.

وقال الإمام الهادي إلى الحق ﷺ (وما ذكر الله من تفضيل الجهاد فأكثر من أن يحيط به كتاب، وهو معروف عند من رزق فهمه من ذوي الألباب. وكيف لا يكون الجهاد في سبيل الله فضل على جميع أعمال المؤمنين، وبه يحيا الكتاب المنير، ويطاع اللطيف الخبير، وتقوم الأحكام، ويعز الإسلام، ويأمن الأنعام، وينصر المظلوم، ويتنفس المهموم، وتنفي الفاحشات، ويعلو الحق والمحقون، ويخمل الباطل والمبطلون، ويعز أهل التقوى، ويذل أهل الردى، وتشيع البطون الجائعة، وتكسى الظهور العارية، وتقضى غرامات الغارمين، وينهج سبيل المتقين، وينكح الأعزاب، ويقتدى بالكتاب، وترد الأموال إلى أهلها، وتفرق فيما جعل الله من وجوهها، ويأمن الناس في الآفاق، وتفرق عليهم الأرزاق). انتهى من المجموع. ص ٥٠٦.

وقال ﷺ في سياق تفسيره لقوله تعالى: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ [الصف: ١٠] ما لفظه: (قيل له: إنما أراد الله الواحد الأحد المتقدس الفرد الصمد الدلالة على فضل الجهاد والقيام بالحق في الخلق والبلاد فدلهم بما قال وبما ضرب من التجارة في الأموال على أنه لا شيء أفضل عنده يعدل الجهاد ومن جميع ما افترض على العباد فنبههم للحظ والفضل المبين وأخبرهم أنه أعظم وأجزل ما يلقونه به يوم الدين وكيف لا يكون ما ذكر الله من الجهاد عنده كذلك ولا تكون تجارة عند الله سبحانه للعباد نجاة من العذاب والمهالك وبه تقوم أحكام رب العالمين ويحي دين خاتم النبيين ويعز المؤمنون ويذل الفاسقون وتشيع الأكباد الجائعة وترفع الرقاب الخاضعة وتظهر حجج الحق الدامغة وتموت البدع الشائعة وتعلو وتظهر الخيرات وتماط وتنفي الفاحشات ويعمل في كل البلاد الصالحات وينصر المظلومون ويردع الجائرون وتكسى الظهور والجنوب العاريات ويمات الظلم والشرور وتقضى الديون عن الغارمين

والغارمات فيالها من تجارة ما أربحها ودعوة ما أنورها لو كان لها من الأنام مجييون أو في هذه الأمة المخذولة طالبون ولكن لا طالب ولا تاجر فيها ولا مقبل إليها تعلقوا بالشبهات وتسلبوا بالأمنيات وكرهوا الوفاة واستطابوا تافه الحياة ومالوا إلى غرور الدنيا وجروا واستبقوا في ميادين الهوى وزهدوا في دار الخلد التي تبقى لا نصب فيها ولا تعب ولا شقاء كأن لم يسمعوا الواحد العلي الأعلى يقول فيما نزل من الوحي على نبيه المصطفى ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهيَّ الْحَيَوانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤] إلى آخر كلامه ﷺ (١).

وقال الإمام القاسم العياني ﷺ ص ٢٥٠ من المجموع ما لفظه (فرحم الله عبدا ورحم والديه اتبع أمر الله ، فلم يأمر عباده بالقتل والقتال لأولي الضلال إلا لمصالح يشملهم نفعها في عاجل الدنيا ، ويثابون بها في الآخرة التي لا تفنى ، قال عز وجل ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧] والله صادق وعده ورسله ولا خلف لوعده

وقد نعلم يا أهل طاعتنا أننا قد ندعوكم من القيام في سبيل الله على أمر يثقل عليكم، وهو يعلم الله أشق فروضه عليكم وأحمده عاقبة لكم في العاجل والآجل قال الله عز وجل: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦] صدق الله العظيم وبلغت رسله الكرام أجل لقد نجد في طلب الراحة من المضار ما لا نجده في العز والإمتناع والصبر على محبة القتال، فالله عباد الله قوموا في سبيل الله، وانفروا إلى من أراد بكم الفتنة، وبغى لكم الفرقة، فما بعد ما جرى من معذرة في ترك فنترك، ولا في حلم فنحلم، ولا في صبر فنصبر، والله يقول وقوله الحق ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾ [الشورى: ٣٩] وكونوا رحمكم الله من المنتصرين، وادخلوا في مدحة رب العالمين) انتهى.

(١) انظر الجزء الثاني من المصباح ص ٣٢.

فصل

في الذم والوعيد لمن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد

واجابة القائم الداعي

قال الإمام علي عليه السلام: (يكون في آخر الزمان قوم متقروون، متنسكون، متفقهون، لا يوجبون أمراً بمعروف، ولا نهياً عن منكر، إلا إذا درّت لهم معاشهم، وسلموا في أمر دنياهم، فلو أن الصلاة والصوم أضراً بشيء من دنياهم لرفضوهما، وقد رفضوا من الفرائض أسنمها وأشرفها الجهاد في سبيل الله، فريضة تقام بها الفرائض، وتحيا بها السنن، وتعمر بها الأرض، ويتنصف بها من الأعداء) انتهى من المجموع المنصوري.

وقال عليه السلام: ﴿لَمْ يَلْعَنِ اللَّهُ الْقَرْنَ الْمَاضِيَ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ إِلَّا لِتَرْكِهِمُ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ فَلَعَنَ اللَّهُ السُّفَهَاءَ لِرُكُوبِ الْمُعَاصِي وَالْخُلَمَاءَ لِتَرْكِ التَّأْهِمِ﴾ انتهى من النهج.

وقال عليه السلام في الجهاد: (فَمَنْ تَرَكَهُ رَغْبَةً عَنْهُ أَلْبَسَهُ اللَّهُ ثَوْبَ الذُّلِّ وَشَمَلَهُ الْبَلَاءُ وَذِيَّتْ بِالصَّغَارِ وَالْقَمَاءِ وَضُرِبَ عَلَى قَلْبِهِ بِالْإِسْهَابِ وَأُذِيلَ الْحَقُّ مِنْهُ بِتَضْيِيعِ الْجِهَادِ وَسِيمَ الْخُسْفِ وَمُنِعَ النَّصْفَ). انتهى من النهج.

وقال الإمام زيد عليه السلام: (فإياكم والآثار، وأفاعيل أئمة أهل الضلال، فلا تكونوا من المتصلين بالمقارنة، فائمة الضلالة سامرية، قالوا: لا جهاد في الدين، وخذلوا أهل الحق عند عصمة أمرهم) انتهى من المجموع. ص ٣١٥

وقال عليه السلام: (وذكرت أمر السامرية الذين قالوا: لا قتال، كما قال إخوانهم من قبلهم: لا مساس) انتهى من المجموع ص ٣١٨

وقال الإمام الهادي إلى الحق عليه السلام: (فليعلم كل عالم أو جاهل، أو من دعي إلى الحق والجهاد فتوانى، وتشاغل، وكره السيف والتعب، وتأول على الله التأويلات، وبسط لنفسه الأمل، وكره السيف والقتال، والملاقاة للحتوف والرجال، وأثر هواه على

طاعة مولاه، فهو عند اللطيف الخبير، العالم بسرائر الضمير؛ من أشر الأشرار، وأخسر الخاسرين، إن صلاته وصيامه، وحجه وقيامه بُور، لا يقبل الله منه قليلاً ولا كثيراً، ولا صغيراً ولا كبيراً. وأنه ممن قال الله سبحانه فيه حين يقول: ﴿وُجُوهُ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ تَصْلَى نَاراً حَامِيَةً﴾ [الغاشية: ٢-٤]. وكيف يجوز له الإقبال على صغائر الأمور من الصالحات، وهو رافض لأعظم الفرائض الواجبات؟! وكيف لا يكون الجهاد أعظم فرائض الرحمن؛ وهو عام غير خاص لجميع المسلمين؟!

وَعَمَلٌ مَنْ عَمِلَ بِهِ شَامِلٌ لِنَفْسِهِ وَلِغَيْرِهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ؛ لأن الجهاد عزٌّ لأولياء الله، خيف لأعداء الله، مشبع للجوع، كاسٍ للعراة النّباع، نافٍ للفقر عن الأمة، مصلح لجميع الرعية، به يقوم الحق، ويموت الفسق، ويرضى الرحمن، ويسخط الشيطان، وتظهر الخيرات، وتموت الفاحشات.

والمصلي فإنما صلاته وصيامه لنفسه، وليس من أفعاله شيء لغيره. وكذلك كل فاعل خير فعله لنفسه لا لسواه. فأين بالجهلة العمين، أو العلماء المتعامين؟ كيف يقيسون شيئاً من أعمال العباد؛ إلى ما ذكر الله سبحانه من الجهاد؟! هيهات هيهات بعد القياس، ووقع على الجهلة الإلتباس، وحبطت بلا شك أعمال المتخلفين، وخسر الراكنون إلى الدنيا، المؤثرون لما يزول ويفنى، المتشبثون بالأموال والأولاد والأهلين، وهم. أَحَدَ الْيَوْمِينَ. لذلك مفارقون، ولما تشبثوا به تاركون، وعما أثروه على ربهم والجهاد في سبيله رائحون. وفي أولئك ومن كان من الخلق كذلك؛ ما يقول الرحمن الرحيم، فيما نزل من الفرقان العظيم: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤] انتهى من المجموع. ص ٥١٧.

وقال ﷺ في المتخلف عن إجابة الداعي من الآل ما لفظه: (وَمَنْ أَضَلُّ عَنِ اللَّهِ

وأهلك، أو أشد عذاباً عند الله أو آفك، ممن تخلف عن الحق وهو يعرفه، وسوف بإقبال عليه. فكذلك لعمر أبي الجفاعة الرافضين للحق والمحقين، المتأولين في ذلك على رسول الله ﷺ ما لم يجعل الله إلى التعلق به سبيلاً أشد عذاباً عند الله وآلم تنكيلاً، ممن لم يعرف ما افترض الله عليه في الجهاد، فهو يتكلمه في البلاء متحيراً عما اهتدى إليه غيره من العباد، فنعوذ بالله من التخلف عن أمره، والصد عن سبيله، فلا صد ير حمك الله أصد، ولا جرم عند الله أشد من جرم من تخلف عن الحق؛ ممن نُظر إليه من السواد الأعظم من الكبراء وبه يقتدي العوام من العلماء والجهلاء، بل تخلف من كان كذلك ثم تخلف؛ فقد عطل ورفض الحق، وأضعف دعوة الصدق؛ لأن كثيراً من ضعفة المؤمنين يقتدون بأفاعيله، لثقتهم به، واتكاهم على دينه، ونظرهم إلى عزيمته، إذ قصرت عزائمهم، وصغرت عن كثير من ذلك بصائرهم، فهم له أتباع في كل أمره، لا يعدلون عن قوله ورأيه، ولا يفعلون إلا بفعله، وإن نهض نهضوا، وإن أقام أقاموا، وإن نصر نصروا، وإن خذل خذلوا، فكلهم مأخوذ بنفسه؛ إذ هو مقصر عن مدى غيره، والمنظور إليه منه فمأخوذ بهم؛ إذ علم أنهم إليه ينظرون، وإياه ينصرون. فيا ويل من تخلف عن الله وخالف الهدى، وركن إلى الأولاد والدنيا). انتهى من المجموع. ص ٥١١.

وقال عليه السلام: «وأشهد أن الجهاد بالنفس والمال أفضل ما تعبد الله به عباده، وأن تاركه بعد ظهور واحد منا أهل البيت كافر بالله جاحد، والله سبحانه معاند، هذا قول يحيى بن الحسين وعليه يموت». انتهى نقلاً من الموعدة الحسنة. ص ١٢٤.

وقال الإمام المرتضى عليه السلام مناقشاً للغافلين التاركين لدعوة الداعي من الآل ص ٦٩٨ مالفظة: (أليس يلزمكم إن كنتم من أهل مقاتلنا القول على الله بالعدل والتوحيد، والإقرار بالوعد والوعيد، وإقامة الفروض المؤكدة، على الصحة والحقيقة، والإسراع لمن دعاكم إلى الحق والهدى، والدين والتقوى، والجهاد للظالمين، والمنازمة للفاسقين، حتى يظهر أمر الله وهم كارهون، والإجابة إلى الإمام الداعي إلى الرشاد والإيمان، القائم بالفرقان، المظهر للأحكام، الناعش للإسلام، المشبع للأيتام،

الحافظ لجميع الانام ، فقد دعاكم وناداكم فثاقلتم إلى الأرض ، وتركتم ما أمركم الله به من الفرض ، فخذلتم الحق والمحقين ، ورفضتم أكبر فرائض رب العالمين ، وما أجد لكم غدا عند الله العلي الأعلى في الرفض لذلك ، والعناد له ، وترك الدخول ، عذراً عند الله عز وجل ، بل لا يسعكم ، ولا يحل لكم ، إن كنتم بالله مقرين ، وبحسابه موقنين ، ولثوابه راجين ، أن تعدلوا عن الحق ، وتصروا على المجانبه له ، وترفضوا ما افترض الله عليكم منه فبادروا بالتوبة وانتبهوا من الغفلة) انتهى من المجموع.

فصل

في وجوب تسليم الحقوق إلى الإمام وإن لم تنفذ أوامره

تجب على كل مسلم إجابة دعوة الداعي من آل الرسول وطاعته والإتيار لأمره والإنتهاء لنهيهِ والأدلة على ذلك كثيرة وقد ذكرها الإمام محمد بن القاسم عليه السلام في كتابه الموعظة الحسنة فلا فائدة في الإطالة بذكرها وفي كلام الأئمة السابق ذكرهم ما يكفي ويغني.

والذي أريد التنبيه عليه هو أنه يجب تسليم الحقوق الواجبة إلى الإمام القائم الداعي وإن لم تنفذ أوامره ونواهيهِ لأنه لو لم يجب تسليمها إليه إلا بعد نفوذ أوامره لحصل الدور لأن الإمام لا يستطيع القيام إلا بمعاونة من الأتباع بالأموال الواجبة وغيرها فإذا كان لا يجب عليهم تسليمها إلا بعد نفوذ أوامره لأدى ذلك إلى توقف القيام عليها وتوقف وجوب تسليمها عليه وفي ذلك بطلان الإمامة ونكسها على الهامة وقد ذكر ذلك كثير من الأئمة عليهم السلام منهم الإمام محمد بن القاسم الحوئي عليه السلام في كتابه الموعظة الحسنة قال عليه السلام أثناء الإستدلال على ذلك ص ١٢٠ مالفظة (ولأن القول بعدم ولاية الإمام لعدم نفوذ الأوامر يؤدي إلى بطلان الإمامة ونكسها على الهامة ، ويلزم التمانع والدور ، ألا ترى أن الإمام في أول أوامره ومبتدأ أحواله وقيامه إذا كان لا

يجب تأدية حق من حقوق الله إليه إلا بالقهر والإجبار ولا يتمكن من القهر والإجبار إلا بتأدية حقوق الله إليه فقد توقف كل من الطرفين على الآخر ودار، وكل رأي يلزم منه الدور فهو رأي أعمى وركوب دهما، هذا دليل عقلي واضح جلي.

وإنما الإمام واحد من المسلمين يجب عليه الدعاء وعليهم الإجابة لا يُكلفه الله فوق وسعه وطاقته، فهل يجوز لمسلم أن يحقر جانبه أو يشبط عن طاعته وإجابته؟.

مع أننا نقول: المراد بنفوذ الأوامر "نفوذ الدعوة وبلوغها بنحو الرسل والرسائل" كما نقله عن الأئمة السيد العلامة الشرفي في كتابه المسمى «ضياء ذوي الأبصار» وساق في ذلك إلى أن قال (قال عليه السلام) (أي الإمام الهادي) في الأحكام ما لفظه: فإن كان في الزمان إمام حق فإليه استيفاء الزكاة كلها من أصناف الأموال الظاهرة والباطنة وإلى من يلي من قبله، وله أن يجبر أرباب الأموال على حملها ويستحلف من يُتهم بإخفائها، انتهى كلامه من الأحكام وقال عليه السلام في المجموع ما لفظه: «والزكاة كلها إلى إمام المسلمين من ولد رسول الله ﷺ ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣]، ثم أمر خلقه أن يدفعوا ذلك إليه فقال تعالى: ﴿وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا﴾ [الأنعام: ١٤١]، يقول لا تدفعوا إلى غير المحق، فإذا عدت الرعية هذا الإمام ولم يوجد على ظهر الدنيا شرقها وغربها وجب أن يقسموها في خمسة أصناف بين الفقراء والمساكين وابن السبيل والغارم وفي الرقاب ويتركوا الثلاثة.» انتهى كلام الهادي عليه السلام في الأحكام والمجموع. إلخ... ما ذكره عليه السلام.

وقد أورد الأدلة من الكتاب والسنة وأقوال الأئمة وفيها التشديد والتغليظ على من تهاون بذلك وأنه لا يجوز لأحد الصرف في المصارف إلا بإذن الإمام انظر أخي المطلع على كتابه المذكور.

فصل في حكم وجوب الجهاد

قد اختلفت الأقوال في حكم وجوب الجهاد هل هو فرض عين أم فرض كفاية.

قال الإمام محمد بن القاسم الرسي عليه السلام في ذكره للجهاد وهو فرض على كل مسلم وقال ابن أخيه عبد الله بن الحسين بن القاسم عليه السلام : (الجهاد عندنا واجب على كل أحد إلا على من لم يقدر عليه لعللة مانعة والأقرب أنه إجماع أهل البيت عليهم السلام انتهى من الناسخ والمنسوخ لا بن أبي النجم ص ٦١

وفي كلام الإمام الهادي عليه السلام ما يدل على أن الجهاد مع الإمام فرض عين لا يجوز تركه إلا لأهل الأعذار الذين ذكرهم الله في كتابه.

قال عليه السلام في كتابه المجموع ص ٥٠٩ واصفاً وجوب الجهاد مع الأئمة القائمين من الآل ما لفظه (فرضاً من الله على الخلق، لا يسعهم التخلف عنه ساعة، ولا التفريط في أمره فينة، إلا بعذر قاطع مبين عند الله سبحانه).

وقال الإمام المرتضى عليه السلام (والجهاد إنما فرضه الله عز وجل على كل مسلم وأمرهم بجهاد كل ظالم غاشم) وقد ذكر الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة عليه السلام وجوبه على الأعيان وأنه لولا الجهاد لطمست رسوم العدل وطفئ نور الحق وذكر أنه إنما يكون فرض كفاية إذا استقل بعض المسلمين بحرب من يجب حربه جاز للآخرين التخلف بالإذن من الامام انظر المذهب ص ٤٨٠

وهناك من يقول بأنه فرض كفاية ويستدلون على ذلك بأدلة من الكتاب والسنة ولكن تلك الأدلة متأولة وأحسن ما قيل في هذا ما ذكره الإمام المنصور بالله عليه السلام أقول ولا خلاف في الحقيقة بين من قال بأنه فرض عين وبين من قال بأنه فرض كفاية وذلك لأن فرض الكفاية يكون في مبتدأ أمره فرض عين ولا يكون كفاية إلا إذا أغنى قيام من قام به عن الباقيين وهنا في هذا الأمر أي أمر الجهاد لا يسقط فرض الجهاد عن

من يسقط عنه إلا إذا استقل بعض المسلمين بحرب من يجب حربه جاز للباقيين
التخلف بالإذن من الإمام كما ذكره المنصور بالله وذلك لأن التعيين للأشخاص
المجاهدين هو إلى الإمام فهو الذي يختار والذي ينبغي على جميع الناس هو المبادرة
بالتسجيل لديه والاستعداد للقتال معه فمتى ما طلب من أحد منهم القتال بادر إليه
من دون قيد أو شرط والله الموفق.

مناسبة الدعوة لجهاد أمريكا وإسرائيل

إن أئمتنا عليهم السلام قد جاهدوا الكفار و الفساق والظلمة والبغاة وإن كان الأغلب مجاهدة الظالمين من المسلمين لكن وضعنا اليوم يختلف عن أيامهم فقد كانت الدولة المهيمنة في أيامهم هي دولة الإسلام المتزعم لها الظالمون من الأموية والعباسية وغيرهم إلى زمن قريب فكان التصدي لها هو الأسبق وفي هذه الأيام الدولة المهيمنة على المسلمين هي أمريكا فما أشبه وضعنا اليوم بأيام العرب عند بعثة النبي ﷺ فقد كانت الهيمنة في ذلك الوقت لدولة الكفار من الأعاجم وكانت حالة العرب كحالتهم اليوم من الذلة والصغار والتناحر والتقاطع وووو إلخ.

فتصدي لها النبي ﷺ بعد أن وجد الأنصار المعينين له ولو قايشنا بين نسبة أنصار الرسول ﷺ أمام دولة الكفر في ذلك الوقت وبين نسبة أنصار أهل البيت في عصرنا الحاضر لوجدنا نسبة أنصارهم اليوم أرفع من كل النواحي الاقتصادية والعسكرية وغير ذلك لو اجتمعوا على قائد من الآل يشبه ذلك القائد العظيم وهو النبي ﷺ وأقول والله العظيم لو اجتمع أهل البيت وأتباعهم لأقاموا دولة إسلامية قوية تهز الشرق والغرب وتنشر دين الله في كل آفاق العالم ويهاجمها جميع الكفار وأولياؤهم ويجهادونهم حتى يدخلوا في دين الاسلام أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون وحتى تكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا هي السفلى فإننا لله وإنا إليه راجعون ولكن بلى وعسى فإن مع العسر يسراً إن مع العسر يسراً نسأل الله أن يوفق جميع المسلمين إلى ذلك تحت راية الحق من أهل بيت نبينا ﷺ.

نعم فالتصدي أيها الإخوة المسلمون لرأس الكفر الذي يهين مقدسات الإسلام ويدمر بلادهم من دولة دولة ويضرب الأمة الإسلامية بعضها ببعض ويث بينها

الطائفية والعنصرية والمذهبية وغير ذلك يريد بذلك تدمير الاسلام والمسلمين واستعبادهم وينقل صورة لجميع الناس في أنحاء العالم بأن الإسلام هو الإرهاب والقتل والقمع والوحشية ووالخ.

يريدون بذلك تنفير الناس جميعا عن الإسلام الذي هو دين المحبة والسلام والألفة والرحمة والإخاء وغير ذلك من الأخلاق العظيمة التي جاء بها الإسلام ويريدون للمسلمين ان يتناحروا ويضربوا بعضهم ببعض ويستفيد العدو من دون خسائر مادية أو بشرية أليس التصدي لهم أولى من الاقتتال بيننا لا شك لدى أي مسلم يغار على الإسلام ويهمه أمر المسلمين أن قتال أولئك الكفار وأوليائهم الذين حكمهم عند الله كحكمهم بنص الكتاب أولى من الاقتتال بين المسلمين.

فصل

في قلة الأنصار وما يتعلق بذلك

قد يقول القائل بأن هذا الأمر يحتاج إلى الأنصار فما هو العدد المعتبر في ذلك ؟
فأقول والله الموفق:

العبرة في ذلك بظن القائم كما ذكره الإمام أبو طالب عليه السلام عن الإمام نجم آل الرسول القاسم بن إبراهيم عليه السلام وقال الإمام زيد بن علي عليه السلام: إذا كان الإمام في قلة من العدد لم يجب عليه قتال أهل البغي فإذا كان أصحابه ثلاثمائة وبضع عشرة عدة أهل بدرٍ وجب عليه وعليهم القتال ولم يعذروا بترك القتال فإنه ليس من الأعمال شيء أفضل من جهادهم انتهى من المجموع في الفقه.

وقال الإمام الهادي عليه السلام: ولو كان معي ألفا راجل وخمسمائة فارس مؤمنين صابرين لدوخت بهم عامة الأرض أين من الله ممن لا نصيب له من الله تعالى وكان

يقول قول الله عز وجل: ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ الخ انتهى من سيرته ص ٢٢٦.

وقال الإمام المنصور بالله ﷺ في معرض ذكره لأهل البيت : (ولقرابتهم هذه القريبة، ودعواهم هذه الظاهرة، لم يترك قائمهم القيام على قلة الأعوان، وغدر الزمان). انتهى من اللوامع ص ٦٤٢

وقد قال أمير المؤمنين علي ﷺ: (وَاللَّهِ لَوْ لَقِيتُهُمْ وَاحِدًا^(١) وَهُمْ طِلَاعُ^(٢) الْأَرْضِ كُلِّهَا مَا بَالَيْتُ وَلَا اسْتَوْحَشْتُ وَإِنِّي مِنْ ضَالِّهِمْ الَّذِي هُمْ فِيهِ وَاهِدِي الَّذِي أَنَا عَلَيْهِ لَعَلِّي بَصِيرَةٌ مِنْ نَفْسِي وَيَقِينُ مِنْ رَبِّي وَإِنِّي إِلَى لِقَاءِ اللَّهِ لَمُشْتَاقٌ وَحُسْنِ ثَوَابِهِ لَمُتَّظِرٌ رَاجٍ) انتهى

وقال الإمام الحسين ﷺ (ألا إني زاحف بهذه الأسرة على قلة الإخوان وخذلة الأصحاب.

وقال :

سأمضي وما بالموت عار على الفتى إذا ما نوى حقاً وجاهد مسلماً
وواسى الرجال الصالحين بنفسه وفارق مشوراً وجاهد مجرماً
فإن عشت لم أندم وإن مت لم ألم كفى بك داءً أن تعيش وترغماً

وقال الإمام زيد ﷺ: (والله لو لم يكن إلا أنا وابني يحي لجاهدتهم)

وقال الإمام الحسين بن علي الفخي ﷺ: (يا أهل القرآن، والله إنَّ خصلتين أدناهما اللجنة لشريفتان، وإن يبقكم الله ويظفركم لنعملن بكتاب الله وسنة نبيه، ولنشبعن الأرملة، وليعيشن اليتيم، ولنُعزّن من أعزه كتاب الله وأوليائه، ولنذلن من أذله الحق

(١) أي منفرداً.

(٢) أي ملؤ الأرض.

والحكم من أعدائه، وإن تكن الخصلة الأخرى فأنتم تبعاً لسلفكم الصالح تُقَدِّمُونَ عليهم وأنتم داعون إليهم: رسول الله ، وحمزة ، وعلي، وجعفر، والحسن والحسين، وزيد بن علي، ويحيى بن زيد ، وعبدالله بن الحسن، ومحمد وإبراهيم أبناء عبدالله. فمن أي الخصلتين تجزعون؟ فوالله لو لم أجد غيري لحاكتهم إلى الله حتى ألحق بسلفي) انتهى ص ٣٨ من كتاب أخبار فخ.

هذا وقد قام أئمتنا عليه السلام بجهد الظالمين بأعداد يسيرة من الأتباع لا يُظن بهم النصر على الأعداء من جهة العادة، انظر كم الأتباع الذين كانوا مع الأئمة في وقت دولة بني أمية التي كانت مهيمنة على العالم بأسره. وكذلك دولة بني العباس فقد كان هارون الغوي يقول للسحابة أمطري حيث شئت فإن خراجك يصل إلي، وكم من الأئمة خرجوا عليهم وكم نسبة أتباعهم من أولئك، وكذلك قام الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد عليه السلام في مبتدأ أمره برجلين من بلاد الشرف على دولة العثمانيين التي كانت تحكم أكثر بلاد المسلمين، واليمن في قبضتها وقاومهم مقاومة شديدة ولم يزل في كر وفر حتى طهر بلاد اليمن من أرجاسهم كما قال الإمام مجد الدين عليه السلام في الزلف:

وطهرها المنصور شرقاً ومغرباً فأعداء رب العالمين صعاصع

فليست حالتنا أسوء من حاله.

فإن قيل: بأن هناك فرق بين أيام أولئك الأئمة وبين وقتنا الحاضر فإن الأعداء قد ملكوا القوة العظيمة في البر والبحر والجو فلا طاقة لنا بهم

فأقول والله الموفق:

أولاً: بأن تملك الأعداء للأسلحة الفتاكة موجود منذ زمن طويل فقد ظهرت تلك الأسلحة في أيام الإمام شرف الدين عليه السلام ولم يكن ذلك بصاد للأئمة عن القيام فكم قد قام من الأئمة من ذلك الزمان وإلى هذا الأوان مع الفرق الشاسع فيما يملكون من

القوة أمام الأعداء.

ثانياً: إِنَّ الله سبحانه وتعالى قد أمرنا بقتالهم ولم يأمرنا أن نعد من القوة مثلما معهم وإنما أمرنا بما هو في استطاعتنا فقط كما قال سبحانه ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠] وهو سبحانه يعلم ما يأتي في آخر الزمان من الأسلحة القوية فلو كانت شرطاً في وجوب ذلك لذكرها ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤] وقد قال تعالى ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾ [الأنفال: ٥٩] أي لا يعجزون الله والنصر بيده ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ ثم قال سبحانه بعدها مباشرة ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠] أي ليس عليكم إلا إعداد ما في استطاعتكم والله هو الناصر لكم ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ﴾ [محمد: ٧] قال أمير المؤمنين علي (عليه السلام) (وَقَدْ تَوَكَّلَ اللَّهُ لِأَهْلِ هَذَا الدِّينِ بِإِعْزَازِ الْحُوزَةِ وَسَتْرِ الْعَوْرَةِ وَالَّذِي نَصَرَهُمْ وَهُمْ قَلِيلٌ لَا يَتَّصِرُونَ وَمَنْعَهُمْ وَهُمْ قَلِيلٌ لَا يَمْتَنِعُونَ حَتَّى لَا يَمُوتَ) انتهى.

وقال الإمام إدريس بن عبد الله (عليه السلام) (ولا يؤيسنكم من علو الحق وإظهاره قلة أنصاره. فإن فيما بدء به من وحدة النبي صلى الله عليه وآله والأنبياء الداعين إلى الله قبله وتكثيره إياهم بعد القلة، وإعزازهم بعد الذلة دليل بين، وبرهان واضح، قال الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ [آل عمران: ١٢٣] ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠]. فنصر الله نبيه، وكثر جنده، وأظهر حزبه، وأنجز وعده جزاء من الله له وثواباً لفعله وصبره وإيثاره طاعة ربه ورأفته بعباده ورحمته، وحسن قيامه بالعدل والقسط في بريته، ومجاهدة أعدائه، وزهده فيما زهده فيه ورغبته فيما ندبه إليه، ومواساته أصحابه، وسعة خلقه، كما أدبه الله وأمره وأمر العباد باتباعه، وسلوك سبيله، والإقتداء بهديه واقتفاء أثره فإذا فعلوا ذلك أنجز لهم ما وعدهم، كما قال عز وجل: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧] إلخ انتهى من أخبار فتح ص ٥٩ أقول تأملوا أيها الإخوة إلى كلامه (عليه السلام) فإنه قد نبه أهل الحق إلى الاعتبار ودعاهم

إلى التأسي بالأنبياء الأخيار وقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ [الأحزاب: ٢١].

وقال الإمام محمد بن القاسم الرسي عليه السلام: في تفسير قول أمير المؤمنين علي عليه السلام في الشعبة الثالثة من الجهاد وهي قوله و من صدق في المواطن قضى ما عليه ما لفظه: فمن قام لله بذلك أورثه درجة الرهبة والتعظيم والإجلال لمقامه والحياء وذلك أن أهل الرغبة والتعظيم له نظروا إلى عظمة الله بباطن قلوبهم وإلى أمره لهم بالقيام وأنه يملك من ضرهم ونفعهم ما لا يملكه غيره وأنه القادر على صرف الأسواء عنهم والحائل بينهم وبين شر عدوهم فيسهل عليهم أمر المخلوقين عند ذلك وعلموا أنه جل ذكره إن خلا بينهم وبين أعدائهم فإنما فعل ذلك بالنظر منه لهم وليعرضهم على الصبر على ما أصابهم وليستكملوا أبواب المطيعين في السراء والضراء والشدة والرخاء فثبتت عزائمهم وصح يقينهم وشروا لله عند ذلك أنفسهم فصغر عندهم جميع الخلق إذ علموا إن الله هو الناصر ناصرهم ومؤيدهم كما ضمن لهم بقوله: ﴿إِن تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧] فنهوا عن كل معصية وتجرعوا فيه كل غصة وخاضوا فيه كل غمرة ولم يرهبوا عند ذلك مخلوقا ولم يقعدهم عن القيام بواجب حق الله كثرة عدو ولا استفحال جمع ولا تعاضم جبروته فهذه صفة القائمين لله بحقه من العالمين بباطن حكمته وعظيم جبروته.

وأما أهل العلم الظاهر فإنهم ينظرون بظاهر أبصارهم إلى ظاهر أهل الدنيا وليس معهم معرفة الباطن من عظيم جلال الله وواجب حقه ولذلك عظم عندهم شأن أهل الدنيا وما راوا من سلطانهم وظاهر سلاحهم وكثرة جمعهم فيقع الظاهر من النظر على الظاهر من الدنيا فيدخله رهبة لضعف علم باطنه ويقينه فينتج له ذنب التقصير في أمر ربه والتفريط فيه لخوف سطوة خلقه كما قال جل ثناؤه: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ﴾ [الحج: ١١] فهذه صفة الضعف والغفلة من علم أهل الظاهر وقد قال تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ [الروم: ٧] الخ انتهى ص ٣٠٠ من المجموع.

وقال الإمام الهادي عليه السلام في وصف من مضى من المجاهدين من أهل البيت عليهم السلام:
فلقد جاهدوا أعداء الله واحتسبوا، فلقوهم، وجالدوهم وصابروهم، والفسقة حينئذ
أقرباء أعزاء، جيوشهم جامعة، وأموالهم كاملة، وكلمتهم مؤتلفة، وجماعتهم غير
مختلفة، فصَفُّوا لهم الصفوف، وضربوا وجوههم بالسيوف، ووفوا الله بعهدده، وقاموا
له فيه بأمره، صابرين محتسبين، ولذلك من فعلهم متخيرين، حتى لحقوا بالله
مستشهدين، كراماً طيبين مطيبين، فائزين بالثواب، ناجين من العقاب، قد فازوا
بالرضا والرضوان، يتقلبون في عرصات الجنان،.... إلخ. انتهى من المجموع. ص ٥٢٠

فإن قيل: إن الله قد خفف الأمر على المسلمين فقال سبحانه: ﴿الآن خَفَفَ اللَّهُ عَنْكُمْ
وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِثَّةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ
اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٦٦]، فلم يوجب علينا القتال إلا إذا كنا في العدد مثل نصف
الأعداء فكيف بنا وكل أهل الدنيا أعداؤنا.

فأقول والله الموفق: ليس الأمر على ما توهمت فإن الله سبحانه قد أمر المسلمين مع
النبي ﷺ في أول الأمر بوجوب ثبات العشرين للمائتين فقال تعالى ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ
عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ﴾ [الأنفال: ٦٥] فأوجب ذلك في حال المواجهة في ساحة القتال
واستمر ذلك الأمر الإلهي إلى أن قويت شوكة المسلمين ثم خفف عنهم لما لحقهم من
الوهن والضعف بسبب كثرة ما قد لاقوا من المصاعب والمتاعب في الجهاد لأعداء
الدين وهذا من حكمة الشارع الحكيم في تدرج الأوامر وإنزالها على حسب الحكمة
والمصلحة وذلك أن أي جماعة متحركة للجهاد أو غيره تكون في مبتدأ أمرها في قوة
ونشاط كبير إلى أن تحقق كثيرا مما تسعى إليه ثم يدخلها الوهن والضعف فخفف الله
الأمر بعد ذلك بالآية الأخرى^(١) وعلى طرد الحكمة الإلهية فإن القائم من الآل يجب
عليه من المواجهة هو وأتباعه مثلما وجب على النبي ﷺ وأتباعه وهو ثبات العشرين
للمائتين ثم يتخفف عنهم بعد ذلك كما تقدم فالمقصود بذلك العدد كما ذكرنا هو في

(١) الذي يظهر لي والله تعالى أعلم أن وجوب ثبات الواحد للعشرة باق وهو العزيمة ووجوب ثبات الواحد للإثنين
رخصة تماماً كالصيام في السفر والإفطار فيه. تأمل. تمت شمس الدين.

حال المواجهة للأعداء لا كل الأعداء في الدنيا لأن النبي ﷺ قد قاتل يوم بدر ثلاثمائة وبضع عشرة وكم نسبة هؤلاء إلى كل من كان له من أعداء في الدنيا فإن أهل الأرض كلهم قاطبة كانوا أعداء فلو لم يجب عليه القتال إلا بعد أن يكون معه لكل مائتين في الأرض عشرون من المؤمنين لما قاتل هو ولا غيره من الأئمة أحدا من الأعداء فنحن إذا انتظرنا إلى أن يكون معنا مثل نصف الأعداء الذين يسكنون في الأرض لم يتأت ذلك لنا ولو مكثنا ندعو إلى أن تقوم القيامة فهذا ما يتناسب في تفسير الآية وما لمسناه من مذهب العترة الطاهرة وأيضا المراد من الآية هو التخفيف في الوجوب لا في الجواز فأما الجواز فهو جائز وإن لم يوجد ذلك العدد فقد واجه الإمام الحسين ﷺ تلك الآلاف من الأعداء بثلة بسيطة من المؤمنين، وجاهد الإمام الحسين بن علي الفخري ﷺ دولة بني العباس المستولية على جميع الأقطار الإسلامية بفئة قليلة من المؤمنين ثلاثمائة وبضع عشرة، عدة أهل بدر، وقد قيل بأن الآية الأخرى قد نسخت بقوله تعالى: ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً﴾ [البقرة: ٢٤٩] ويعضده كثرة من ذكرها من الأئمة في دعواتهم وأيضا لم يوجد مثل ذلك العدد مع أي إمام في مبتدأ أمره نعم بعد تحرير هذا الكلام وجدت كلاماً جميلاً لسيد العلامه محمد بن عبد الله عوض حفظه الله في كتابه قصد السبيل ص ٤٨ حول هذه الآية وهو ما لفظه (الا ترى أن الله تعالى كلف المؤمنين في أول الأمر بأن يصبر الواحد منهم في القتال لعشرين من المشركين ، وقد كان المسلمون حين هذا التكليف قلة قليلة يحتاج مثلهم إلى صبر عظيم وحماس شديد وهمة عالية وتوطين الأنفس على التفاني والإستماتة في سبيل دينهم وعقيدتهم وكانت حالتهم في ذلك الوقت لا تسمح لهم بالتراخي والكسل .

ولو لم يعدوا أنفسهم هذا الإعداد ويوطنوها هذا التوطين لألتهمهم المشركون، واستأصلوها تماما.

فلما قوي الإسلام وكثر اتباعه وأنصاره خفف الله عنهم هذا التكليف فأمرهم بثبات الواحد لإثنين ، وذلك لأن الحالة لا تستدعي اكثر من ذلك وهكذا سبيل سائر الأحكام المتعلقة بمصالح العباد) انتهى.

وأيضاً فإن نصر الله لأهل الحق ليس مرتهاً على قلة أو كثرة كما ذكر ذلك أمير المؤمنين علي عليه السلام في كلامه لعمر بن الخطاب حين استشاره في إحدى المعارك قال له عليه السلام ما لفظه: (إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَمْ يَكُنْ نَصْرُهُ وَلَا خِذْلَانُهُ بِكَثْرَةٍ وَلَا بِقِلَّةٍ وَهُوَ دِينُ اللَّهِ الَّذِي أَظْهَرَهُ وَجُنْدُهُ الَّذِي أَعَدَّهُ وَأَمَدَّهُ حَتَّى بَلَغَ مَا بَلَغَ وَطَلَعَ حَيْثُ طَلَعَ وَنَحْنُ عَلَى مَوْعُودٍ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ مُنْجِزُ وَعْدِهِ وَنَاصِرُ جُنْدِهِ) وساق في كلامه إلى أن قال: (وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ عَدَدِهِمْ فَإِنَّا لَمْ نَكُنْ نُقَاتِلُ فِيهَا مَضَى بِالْكَثَرَةِ وَإِنَّمَا كُنَّا نُقَاتِلُ بِالنَّصْرِ وَالْمُعَوْنَةِ).

وقال عليه السلام لأخيه عقيل ابن أبي طالب: (وَأَمَّا مَا سَأَلْتَ عَنْهُ مِنْ رَأْيِي فِي الْقِتَالِ فَإِنَّ رَأْيِي قِتَالُ الْمُحِلِّينَ ^(١) حَتَّى أَلْقَى اللَّهُ لَا يَزِيدُنِي كَثْرَةُ النَّاسِ حَوْلِي عِزَّةً وَلَا تَفَرُّقُهُمْ عَنِّي وَخَشَةً وَلَا تَحْسِنَ ابْنُ أَبِيكَ وَلَوْ أَسْلَمَهُ النَّاسُ مُتَضَرِّعاً مُتَخَشِعاً وَلَا مُقَرَّراً لِلضَّيْمِ وَاهِناً وَلَا سَلِسَ الزَّمَانَ لِلْقَائِدِ ^(٢) وَلَا وَطِيءَ الظَّهْرِ لِلرَّائِبِ الْمُتَعَدِّ وَلَكِنَّهُ كَمَا قَالَ أَخُو بَنِي سَلِيمِ.

فَإِنْ تَسَأَلْنِي كَيْفَ أَنْتَ فَإِنِّي صَبُورٌ عَلَى رَيْبِ الزَّمَانِ صَلِيبٌ
يَعِزُّ عَلَيَّ أَنْ تُرَى بِي كَابَةٌ فَيَشْمَتَ عَادٍ أَوْ يُسَاءَ حَيْبٌ

انتهى من النهج.

هذا مع أنه يجوز للإمام الاستعانة بالفساق على المحاربين كما استعان أمير المؤمنين علي عليه السلام بالأشعث ابن قيس وغيره من الفاسقين بل إن ذلك مما يجب كما ذكره الإمام الهادي عليه السلام حيث قال ما لفظه (وأما ما سألت عنه من استعانة المحقين بالظالمين في طاعة رب العالمين، لمحاربة المحاربين فإننا لا نستحل غيره في مذهبنَا؛ لأن الاستعانة بالظالمين على من حارب الحق والمحقين واجب على المسلمين، لا يسع أحداً تركه، ولا يجوز رفضه، إذا صار الإسلام إلى ذلك محتاجاً، وكان الحق إليه مضطراً، إذا جرت عليهم أحكام الإمام، ومن في عصره من خدم الظالمين وأعوانهم الذين استعان بهم في

(١) أي من أهل قتالي وأباحه وبغى علي.

(٢) أي ولا سهلاً لمن أراد قيادة.

وقت حاجته لهم... إلخ) انتهى من المجموع ص ٦١٠.

وقال الإمام محمد بن القسم الحوثي عليه السلام في كتابه البدور المضئية ص ٧٩ ما لفظه: (وأما مسألة الاستعانة بالفساق، فالصحيح جوازها، وقد استعان الرسول صلى الله عليه وآله بخزاعة وهم كفار^(١))، ولا فرق بين الفسق والكفر مع جواز القتل، لكن اختلفت شروط القائلين بالجواز، منهم من شرط وجود عصابة يمكن بهم إمضاء الأحكام عليهم، ومنهم من لم يشرط إلا وجود عصابة يمنعونهم التعدي وهو الصحيح وإلا لزم عدم جواز الاستعانة بهم ودار الحُكم، ويختلف باختلاف الحال، ولا يبعد رجوعها إلى نظر الأصلح، والترجيح بين المصالح والمفاسد خصوصاً حالة الضرورة ولا سيما فيما هو دفع، وكون ما يحصل منهم من النفع العام أرجح مما يقع من الفساد الخاص ونحو ذلك، ونظر المصالح الشرعية معمول به مهما لم يصادم النصوص الشرعية، ويكون ذلك من باب تخفيف المنكر وإعانة الأقل ظلماً على الأكثر).

(١) مسألة جواز الاستعانة بالكفار في قتال الكفار فيها خلاف بين المسلمين فمن قال بالجواز استدل بها ذكر أعلا هذا إن صح ذلك ومن منع ذلك استدل بما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في خروجه لبدر وقد عرض عليه أحد الكفار المعونة على قتال قريش فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «أشهد ألا إله إلا الله وأني رسول الله، فقال: لا، فقال: إنا لا نستعين بمشرك» وأجابوا عما استدل به المجيزون بأنه إذا كان ذلك والقوة للمسلمين والكلمة لهم والسيادة لهم بخلاف ما يفعله اليوم آل سعود من استعانتهم بالبريطانيين والأمريكيين والإسرائيليين وغيرهم من المشركين في قتال الشعب اليمني المؤمن فإن السيادة والأمر والنهي لهؤلاء المشركين على هؤلاء المغفلين في الوقت الذي يقاتلون المؤمنين والله تعالى يقول: ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾، ويقول: ﴿وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَصُدًا﴾ وحتى لا تبقى منة لكافر على مؤمن، ويقول تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾، وبقوله تعالى: ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ومن الولاية المناصرة، وقد ورد في الدعاء المأثور (اللهم لا تجعل لكافر علي منة ترزقه بها مني مودة). تمت شمس الدين.

أسباب النصر البسيطة

الإرجاف بكثرة الأعداء وقوتهم موجود في كل زمان منذ زمن النبي ﷺ وإلى زمننا هذا.

ونريد أن نذكرك أخي المؤمن بأن هناك أسباباً للنصر على الأعداء ولكنها بسيطة قد لا يتنبه لها الإنسان.

١ - فمنها الالتزام بطاعة القائد الذي أمر الله بإتباعه وعدم مخالفته في أي شيء فقد نصر الله المؤمنين في يوم بدر رغم قلتهم في العدد والعدة قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ [آل عمران: ١٢٣] وانظروا أيها الإخوة إلى الهزيمة يوم أحد بسبب المخالفة للقائد العظيم ﷺ.

٢ - ومنها الوثوق بأن النصر بيد الله وما النصر إلا من عند الله وما علينا إلا فعل السبب والله هو المتولي للأمر كله قال تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُمْلِكَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءٌ حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ١٧] ﴿ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ﴾ [الأنفال: ١٨] وانظروا إلى الهزيمة يوم حنين بسبب الإعجاب بالكثرة وعدم التذكر بأن النصر بيد الله قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا﴾ [التوبة: ٢٥].

٣ - ومنها طاعة الله وفعل ما أمر به ولو كان بسيطاً كدخول الباب في قصة بني إسرائيل كما أخبر الله عنهم بقوله ﴿ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣].

فانظروا إلى هذا السبب ما أبسطه فليس عليهم إلا الدخول من الباب فقط وتحقيق الانتصار والغلبة هي من الله وحده لا شريك له.

٤ - ومنها عدم الإستماع لأهل الإرجاف وإسكاتهم بما أمكن.

٥ - ومنها استشعار عظمة الأمر وهو الله سبحانه وتعالى.

- ٦- ومنها الإيقان بما وعد الله عباده المؤمنين.
- ٧- ومنها التذكر بأن الموت راحة وأن الشهادة في سبيل الله من أعظم الأشياء التي يتمناها عباد الله الصالحون.
- ٨- ومنها تذكر ثبات كثير من المقاتلين لأغراض دنيوية مثل الحمية والعصية وغيرها فكيف بمن هو على الحق ومصيره الجنة.
- ٩- ومنها تذكير النفس بالثبات وأن الفرار معصية كبيرة وتوطين النفس على تحمل الصعاب والمشاق في سبيل الله وعدم الرجوع الى الوراء في كل الأعمال مهما كانت المشقة قال الله تعالى ﴿وَكَايْنٌ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِثْيُونًا كَثِيرًا فَأَمَّا أَصَابُهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا﴾ [آل عمران: ٢٠٠].
- ١٠- ومنها تذكير النفس بأن هذا العمل قد قام به الأنبياء والعلماء الربانيون وعباد الله الصالحون، وعند الأخذ بالأسباب يأتي النصر بإذن الله وتكون الألطاف من الله على عباده المجاهدين فتكون سبباً لنصرهم.
- ١١- إنزال النعاس أماناً وتقوية لقلوب المؤمنين قال تعالى ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ﴾ [الأنفال: ١١].
- ١٢- إنزال المطر الذي جعل الله فيه فوائد كثيرة قال تعالى ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ [الأنفال: ١١] فانظروا إلى هذا السبب البسيط من الألطاف الربانية التي لا تخطر على بال فقد جعل الله منه أربع فوائد الأولى التطهير للمؤمنين الثانية إذهاب رجس الشيطان وهو وسوسته وتخذيذه لهم الثالثة ربط القلوب بأن يشدها ويقويها على الأعداء الرابعة تثبيت الأقدام على الإقدام وعدم التراجع.
- ١٣- تقليل الأعداء في عيون المؤمنين قال تعالى ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّفَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا﴾ [الأنفال: ٤٤] فيكون تقوية لمعنوياتهم النفسانية ٤- الرؤيا في المنام قال تعالى ﴿إِذْ يُرِيكُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشَلْتُمْ﴾ [الأنفال: ٤٣].

١٤ - إدخال الرعب في قلوب الكافرين في غزوة الأحزاب بقتل علي عليه السلام عمرو بن عبد ود وقد كان المؤمنون خائفين منهم كما قال الله ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾ [الأحزاب: ١٠] ثم قال ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾ [الأحزاب: ٢٥] فاعتبروا أيها الإخوة بمثل هذا واعلموا ان الله معكم ﴿وَلَنْ يَتْرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد: ٣٥] ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الحج: ٣٨] ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨] إلى غير ذلك من الأسباب البسيطة والألطف الإلهية التي يؤيد الله بها أوليائه وأهل طاعته.

وأسابب الهزيمة هي عكس أسباب النصر المتقدمة وأهمها وأعظمها هو المعاصي لله عز وجل ولقد وبخ الهادي عليه السلام أصحابه في هزيمتهم في إحدى المعارك وبين لهم أن ذلك بسبب المعاصي التي ارتكبوها في تلك المعركة وضرب لهم الأمثال في ذلك انظر كتاب المجموع له عليه السلام.

فصل

في فضل الجهاد والشهادة في سبيل الله

قال الله تعالى ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩] وقال تعالى ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤].

وقال السيد العلامة محمد بن يحيى الحوثي حفظه الله في كتابه المختار ص ٧٣٦ ما لفظه (في مجموع زيد عليه السلام [ص ٣٥١]: عن آبائه، عن علي عليه السلام، قال: قال رسول الله ﷺ: «أفضل الأعمال بعد الصلاة المفروضة، والزكاة الواجبة، وحجة الإسلام، وصوم شهر رمضان الجهاد في سبيل الله، والدعا إلى دين الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر. عدل الأمر بالمعروف الدعا إلى الله في سلطان الكفر، وعدل النهي عن المنكر الجهاد في سبيل الله، والله لروحة في سبيل الله أو غدوة خير من الدنيا، وما فيها».

وبه فيه [ص ٣٥٢]: عن علي عليه السلام، قال: (غزوة أفضل من خمسين حجة، ورباط يوم في سبيل الله أفضل من صوم شهر، وقيامه، ومن مات مرابطا جرى له عمله إلى يوم القيامة، وأجير من عذاب القبر).

وبه فيه [ص ٣٥٢]: عنه عليه السلام، قال: (من اغبرت قدماءه في سبيل الله حرم الله وجهه على النار، ومن رمى بسهم في سبيل الله فبلغ، أو قصر كان كعتق رقبة، ومن ضرب بسيف في سبيل الله فكأنما حج عشر حجج حجة في إثر حجة).

وقال الهادي عليه السلام في الأحكام [ج ٢ ص ٥٠٣]: وفي ذلك ما بلغنا عنه عليه السلام أنه قال: «ما اغبرت قدما أحد في سبيل الله فطعمته النار».

وبلغنا عنه عليه السلام أنه قال: «النومة في سبيل الله أفضل من عبادة ستين سنة في أهلك تقوم ليلك لا تفتر، وتصوم نهارك لا تفطر».

وبلغنا عن حسان بن ثابت الأنصاري أنه قال: يا رسول الله عندي عشرة آلاف، فإن أنفقتها يكون لي أجر مجاهد؟ فقال عليه السلام: «فكيف بالخط والارتحال».

فإن قال قائل كلما ذكرته في هذا القسم هو صحيح ولكن من نجاهد؟

فأقول والله الموفق: نجاهد أولئك الكفار الذين أهانوا كرامة جميع المسلمين كما قدمنا وأولياءهم الذين حكمهم بنص الكتاب وكذلك الباغيين والمعتدين علينا وكل من يصدنا عن إقامة العدل بين العباد الذي أمر الله به بقوله تعالى ﴿لِيُقْوَمَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥] ونبدأ بالأهم فالأهم بما تكون نتائجه إيجابية نحو مصلحة الدين والواقع أن مثل هذا الأمر راجع إلى نظر من أمرنا الله باتباعه كما تقدم فما أمر الله أهل الأرض باتباعه إلا وهو أعرف بذلك كما قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤] فما على الجميع إلا الامتثال لأمره والإنابة عند نهيهِ وبالله التوفيق.

القسم الرابع

فصل

في اختلاف أهل البيت عليهم السلام

اعلم أيها الأخ المؤمن أن أهل البيت عليهم السلام وإن اختلفوا فإن الحق لا يخرج من أيديهم كما دلت على ذلك الأدلة من الكتاب والسنة وكما قال الإمام زيد عليه السلام (وكتبت تسألني عن أهل بيتي وعن اختلافهم. فاعلم يرحمك الله تعالى أن أهل بيتي فيهم المصيب وفيهم المخطئ، غير أنه لا تكون هداة الأمة إلا منهم، فلا يصرفك عنهم الجاهلون، ولا يزهك فيهم الذين لا يعلمون، وإذا رأيت الرجل منصرفاً عن هدينا، زاهداً في علمنا، راغباً عن مودتنا، فقد ضل ولا شك عن الحق، وهو من المبطلين الضالين، وإذا ضل الناس عن الحق، لم تكن الهداة إلا منا، فهذا قولي يرحمك الله تعالى في أهل بيتي). انتهى من المجموع ص ٣١٧.

واختلاف أهل البيت عليهم السلام لا يكون في المسائل الأصولية كما هو مجمع عليه بينهم وقد حكى الإجماع غير واحد منهم.

واختلافهم إنما هو في مسائل الفروع والاختلاف في مثل ذلك يسير غير عسير لعدة أمور ذكرها السيد العلامة محمد بن عبد الله عوض المؤيدي في كتابه قصد السبيل قال ما لفظه:

- ١ - حصوله في زمان الصحابة.
- ٢ - حصوله بين الأئمة من أهل البيت عليهم السلام.
- ٣ - لا يتسبب في حصول العداة والتضليل والتكفير.
- ٤ - لا يوهن من حبل المودة والولاء بين المختلفين. انتهى ص ١٦.

وقد يختلفون في مسائل الإمامة وليس اختلافهم في أصل الإمامة إذ هي مسألة أصولية مقطوع بها مجمع عليها عندهم.

وإنما اختلافهم في تعيين الإمامة في الأفراد منهم وثبوت الإمامة في الأفراد منهم من غير المنصوص عليهم غير قطعي وإنما هو من المسائل الظنية كما ذكره الإمام محمد بن عبد الله الوزير رحمته الله وقال به مولانا الإمام مجد الدين رحمته الله قال رحمته الله في كتابه مجمع الفوائد ص ٢٣٨ ما لفظه (وثبوت الإمامة في الأفراد بعد المنصوص عليهم ليست قطعية على الصحيح) انتهى.

إذا عرفت ذلك فاعلم أن الذي يجب على المؤمن الصادق في اتباع الآل هو إعمال النظر والفكر في الأدلة الدالة على إمامة إمام زمانه ليقوم بها يترتب على المعرفة من الأعمال ومعرفة ذلك هو بمعرفة الحق والحق لا يعرف بالرجال فاعرف الحق تعرف أهله قلوا أم كثروا كما قال أمير المؤمنين رحمته الله وقد أوردنا فيما مضى وفيما سيأتي في كتابنا هذا ما فيه تذكرة لقوم يعقلون.

فصل في تفصيل الاختلاف

إن كان الاختلاف بين علماء أهل البيت هو أن هناك من يدعو إلى الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإصلاح البلاد والعباد وهناك من لا يرى ذلك. فالواجب في هذه الحال هو اتباع الداعي الذي قام بما فرض الله عليهم القيام به كما قدمنا.

هذا هو الواجب على جميع المؤمنين المعترفين بهذا المقام للعترة الطاهرين. يجب عليهم الإتيان للقائم والاحترام للقاعد وعدم الاستنكار عليه أو الطعن فيه وإنما قلنا بذلك لقيام الأدلة على ذلك ولما علم من مذهب الزيدية من وجوب متابعة

الإمام زيد عليه السلام في جهاده ضد الظالمين وتخطئة من خالفه من الأتباع الذين قالوا بإمامة جعفر الصادق عليه السلام بل قد لعن الإمام زيد عليه السلام من ترك الجهاد معه وقال بإمامة جعفر عليه السلام كما هو مشهور ولم يرو عن أحد من الزيدية تخطئة جعفر الصادق بل ورد الثناء^(١) عليه وعلى الإمام زيد عليه السلام وورد الذم والتخطئة لمن خالف الإمام زيداً عليه السلام من الأتباع فقط.

قال في الجامع الكافي ما لفظه: وسئل الحسن عن خروج زيد بن علي عليه السلام وعود جعفر الصادق عليه السلام فقال خروج زيد صلى الله عليه طاعة وعود جعفر طاعة وليس للناس أن يحكموا عليهما وقد بلغنا عن عبد الله بن الحسن عليه السلام أنه قال لولا أن لا يبقى للإسلام ثاغية ولا راغية لخرجنا جميع آل محمد صلى الله عليه وآله فأمرنا بالمعروف ونهينا عن المنكر ودعونا إلى كتاب ربنا وسنة نبينا فأمرنا بالمعروف ونهينا عن المنكر حتى يحكم الله بيننا وبين عدونا ولكن يخرج الخارج منا فيأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حجة على أهل زماننا ويقعد القاعد بقية لغد)، انتهى ص ٧٥٧ من لوامع الأنوار.

ولأننا لو لم نقل بوجوب متابعة الداعي الكامل في الشروط المعتمدة في هذه الحال أي عند الاختلاف المذكور لكان معنى ذلك هو ترك الأمر لغير أهل البيت لأن الداعي حينئذ لا يجب اتباعه والقاعد لا يرى القيام فيبقى أمر الأمة إلى غير أهل البيت وذلك خلاف مذهبنا وخلاف ما دلت عليه الأدلة الصحيحة فما بقي إلا أن نقول بوجوب إجابة الداعي كما قدمنا الأدلة على ذلك وقلنا بأنه يجب احترام القاعد وعدم الطعن فيه لأن القاعد المجتهد من علماء الآل له نظره في أمر القيام وعدمه إلا أنه لا يجوز له معارضة القائم بل ينبغي عليه إعانة القائم كما دلت على ذلك الأدلة وكما كانت حالة جعفر الصادق مع الإمام زيد عليه السلام فتكون حالة القاعد مع القائم كما قال الإمام زيد

(١) إنما ورد الثناء عليه لقيامه بما يجب من دعوة الناس لنصرة عمه زيد وإرسال ولديه للجهاد مع محمد النفس الزكية وما أثر عنه من أقوال في حق الإمام زيد توجب محبته ونصرته وتقديمه على غيره. ولم يكن معارضاً له في إمامته ولا مشبطاً للناس عنه ولا عن النفس الزكية بعده. تمت شمس الدين.

لجعفر الصادق عليه السلام (قائمنا لقاعدنا وقاعدنا لقائمنا) عندما خلفه ليرعى الحرّم ويقوم بإعالة العوائل.

وكما هي سيرة أهل البيت الطاهرين لا يعارض القاعد منهم القائم وإنما يقع التعارض بين القائمين الداعين إلى الله.

نعم وإن كان الاختلاف بين القائمين الداعين إلى الله فسوف نوضح أمرهم فيما سيأتي في كتابنا هذا إن شاء الله تعالى.

فصل

فيما يجب على المسلمين خصوصاً أهل الحل والعقد

قد ذكرنا أيها الإخوة المسلمون فيما تقدم أن الإمام الذي تجب طاعته من أهل البيت عليهم السلام هو من دعا الأمة إلى ما فيه صلاحها وفلاحها وكان كاملاً في الشروط المعتمدة. وطريقة علماء الزيدية في هذا المجال قد جاءت بما أجمع عليه علماء الأمة الإسلامية سابقاً ولا حقاً فلا نجد أحداً يمكن أن يتطرق إليه الشك في وجوب الطاعة لمن كان كذلك لأن علماء المذاهب الإسلامية مجمعون على وجوب طاعة الإمام الشرعي الجامع للشروط.

علماً بأن الشروط المعتمدة عند أهل البيت عليهم السلام فيها ما هو عند غيرهم وزيادة وكلها متفرعة من الأدلة الصحيحة وقد ذكرنا سابقاً أن الإمام لا يحتاج إلى بيعة ولا غيرها وأن إمامته تثبت بالدعوة إلى الكتاب والسنة ولو لم يجبه أحد كما ذكره أهل المذهب في شرح الأزهار والذي أريد التنبيه عليه في هذا الفصل هو أن الله سبحانه قد أوجب على جميع المسلمين واجبات عظيمة كإقامة الحدود وأخذ الحقوق كرها والحمل على فعل الواجبات وغير ذلك من الأمور التي أوجبها الله على المسلمين وجعل أمرها

إلى الإمام كما هو مجمع عليه لدى جميع المذاهب الإسلامية.

وبناء على ذلك فإنَّ هذه الواجبات واجبات على الجميع كما هو مقتضى خطاب الشرع والإمام شرط في أدائها فيجب على الجميع نصب إمام ليقوم بذلك لأن ما لا يتم الواجب إلا به يجب كوجوبه فيجب علينا جميعاً أن نختار الإمام الذي اختاره الله لنا وهو الداعي الكامل في الشروط كما ذكرنا.

ويجب علينا سلوك الطرق الموصلة له إلى ذلك.

هذا هو الواجب علينا نحن أيها المسلمون خصوصاً أهل الوجهات الكبيرة كالعلماء والمشايخ والأعيان فإنَّ المسؤولية عليهم أكبر من غيرهم وإن كانت المسؤولية ملقاة على عاتق كل مسلم أمام هذا الدين القويم.

هذا إذا كان هناك داع كامل في الشروط فإن لم يكن وجب على أهل الوجهات المذكورة أن يفزعوا إلى البحث والنظر في من يصلح لذلك فيقوموا بطلبه ويطلبوا منه الدعوة إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ويجب على من لديه الأهلية مساعدتهم والقيام بالدعوة ثم يقوموا بتوليته بأي طريقة ممكنة كما ذكرنا. نعم كل ما ذكرته في هذا الفصل هو مما فهمته من كلام أئمة العترة وسأشير إلى بعض من ذلك.

فأقول وبالله التوفيق.

لاشك أن الولاية على المسلمين لها أثر عظيم في صلاح أمورهم في دينهم ودنياهم أوفسادها.

فالوالي إذا كان صالحاً صلحت بصلاحه العباد والبلاد وإذا كان فاسداً فسد العباد والبلاد.

وكذلك الأمر في صلاح الرعية كما ذكر أمير المؤمنين علي عليه السلام حيث قال مالفظه: (وَأَعْظَمُ مَا افْتَرَضَ سُبْحَانَهُ مِنْ تِلْكَ الْحُقُوقِ حَقُّ الْوَالِي عَلَى الرَّعِيَّةِ وَحَقُّ الرَّعِيَّةِ عَلَى

الْوَالِي فَرِيضَةً فَرَضَهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِكُلِّ عَلَى كُلِّ فَجَعَلَهَا نِظَامًا لِأَلْفَتِهِمْ وَعِزًّا لِدِينِهِمْ فَلَيْسَتْ تَصْلُحُ الرَّعِيَّةُ إِلَّا بِصَلَاحِ الْوَلَاةِ وَلَا تَصْلُحُ الْوَلَاةُ إِلَّا بِاسْتِقَامَةِ الرَّعِيَّةِ فَإِذَا أَدَّتِ الرَّعِيَّةُ إِلَى الْوَالِي حَقَّهُ وَأَدَّى الْوَالِي إِلَيْهَا حَقَّهَا عَزَّ الْحَقُّ بَيْنَهُمْ وَقَامَتْ مَنَاهِجُ الدِّينِ وَاعْتَدَلَتْ مَعَالِمُ الْعَدْلِ وَجَرَتْ عَلَى أَذْلَالِهَا^(١) السُّنَنُ فَصَلَحَ بِذَلِكَ الزَّمَانُ وَطُمِعَ فِي بَقَاءِ الدَّوْلَةِ وَيُسِّتَ مَطَامِعُ الْأَعْدَاءِ. وَإِذَا غَلَبَتِ الرَّعِيَّةُ وَالْيَهَا أَوْ أَجَحَفَ الْوَالِي بِرِعْيَتِهِ اخْتَلَفَتْ هُنَالِكَ الْكَلِمَةُ وَظَهَرَتْ مَعَالِمُ الْجَوْرِ وَكَثُرَ الْإِدْعَالُ فِي الدِّينِ وَتُرِكَتْ مَحَاجُّ^(٢) السُّنَنِ فَعَمِلَ بِالْهَوَى وَعُطِّلَتِ الْأَحْكَامُ وَكَثُرَتْ عِلَلُ النُّفُوسِ فَلَا يُسْتَوْحَشُ لِعَظِيمِ حَقِّ عُطْلٍ وَلَا لِعَظِيمِ بَاطِلٍ فَعِلَ فُهْنَالِكَ تَذُلُّ الْأَبْرَارُ وَتَعِزُّ الْأَشْرَارُ وَتَعْظُمُ تَبِعَاتُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ عِنْدَ الْعِبَادِ. فَعَلَيْكُمْ بِالتَّنَاصُحِ فِي ذَلِكَ وَحُسْنِ التَّعَاوُنِ عَلَيْهِ فَلَيْسَ أَحَدٌ وَإِنْ اشْتَدَّ عَلَى رِضَا اللَّهِ جِرْضُهُ وَطَالَ فِي الْعَمَلِ اجْتِهَادُهُ بِبَالِغِ حَقِيقَةِ مَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَهْلُهُ مِنْ الطَّاعَةِ لَهُ وَلَكِنْ مِنْ وَاجِبِ حُقُوقِ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ النَّصِيحَةِ بِمَبْلَغِ جُهْدِهِمْ وَالتَّعَاوُنِ عَلَى إِقَامَةِ الْعَدْلِ بَيْنَهُمْ) انتهى من نهج البلاغة فأوجب عليه السلام على الجميع التعاون.

ولا شك أن للناس خصوصاً أهل الوجاهات الأثر الأكبر في تولية الوالي على المسلمين وهذا أمر ملموس محسوس.

ولقد استشعر هذا الإمام زيد عليه السلام فقال مخاً طَباً لِعَلَمَاءِ الْأُمَّةِ (وَأَنْتُمْ أَيُّهَا الْعُلَمَاءُ عَصَابَةٌ مَشْهُورَةٌ، وَبِالْوَرَعِ مَذْكُورَةٌ، وَإِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ مَنْسُوبَةٌ، وَبِدِرَاسَةِ الْقُرْآنِ مَعْرُوفَةٌ، وَلَكُمْ فِي أَعْيُنِ النَّاسِ مَهَابَةٌ، وَفِي الْمَدَائِنِ وَالْأَسْوَاقِ مَكْرَمَةٌ، يَهَابُكُمْ الشَّرِيفُ، وَيَكْرُمُكُمْ الضَّعِيفُ، وَيَرْهَبُكُمْ مَنْ لَا فَضْلَ لَكُمْ عَلَيْهِ، يُبْدَأُ بِكُمْ عِنْدَ الدُّعْوَةِ وَالتَّحْفَةِ، وَيُشَارُ إِلَيْكُمْ فِي الْمَجَالِسِ، وَتَشْفَعُونَ فِي الْحَاجَاتِ إِذَا امْتَنَعَتْ عَلَى الطَّالِبِينَ، وَأَثَارُكُمْ مُتَّبَعَةٌ، وَطُرُقُكُمْ تُسَلَّكُ، كُلُّ ذَلِكَ لِمَا يَرْجُوهُ عِنْدَكُمْ مَنْ هُوَ دُونَكُمْ مِنَ النَّجَاةِ فِي عِرْفَانِ حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى، فَلَا تَكُونُوا عِنْدَ إِثَارِ حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى غَافِلِينَ، وَلَأَمْرُهُ مُضِيِّعِينَ، فَتَكُونُوا

(١) على أَذْلَالِهَا السُّنَنُ: أي جرت الأمور على مجاريها متفاداة سلسلة، من الذلول ومنه قوله تعالى ﴿فَأَسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلَالًا﴾. تمت شمس الدين.

(٢) محاج السنن: المحاج جمع محجة وهي الطريق، يعني تركت طرق السنن عن سلوكها. تمت شمس الدين.

كالأطباء الذين أخذوا ثَمَنَ الدَّواءِ وأعطَبُوا المرضى، وكَرَعَاةٍ استوفوا الأجر وضلوا عن المرعى، وكحراس مدينة أسلموها إلى الأعداء، هذا مثل علماء السوء.

لا مالاً تبذلونه لله تعالى، ولا نفوساً تُخاطرون بها في جَنبِ الله تعالى، ولا داراً عطلتموها، ولا زوجة فارقتموها، ولا عشيرة عاديتموها.

فلا تتمنوا ما عند الله تعالى وقد خالفتموه، فترون أنكم تَسْعَوْنَ في النُّور، وتَتَلَقَّاكم الملائكة بالبشارة من الله عز وجل؟ كيف تطمعون في السَّلامة يوم الطَّامَّة؟! وقد أَخَذَجُتُم الأمانة، وفارقتُم العِلْمَ، وأذهنتُم في الدين، وقد رأيتُم عهد الله منقوضاً، ودينه مبغوضاً، وأنتم لا تفزعون ومن الله لا ترهبون. فلو صبرتم على الأذى، وتحملتُم المؤنة في جنب الله لكانت أمور الله صادرة عنكم، وواردة إليكم).

فبين عليه السلام أنهم لو قاموا بما ينبغي عليهم لكانت الأمور بأيديهم وساق الكلام في ذلك إلى أن قال (فو الذي نفس «زيد بن علي» بيده لو بينتم للناس ما تعلمون ودعوتموهم إلى الحق الذي تعرفون، لَتَضَعُضَعَ بُيُوتُ الجَبَّارين، ولتَهْدَمَ أساس الظالمين).

فبين أنهم لو قاموا بواجبهم لتهدم أساس الظالمين وبهدم أساسهم لا شك أنه يرفع أساس العادلين وساق عليه السلام في رسالته إلى أن بين لهم الطريق التي تخلصهم عند الله بقوله (عباد الله انصحوا داعي الحق، وانصروه إذا قد دعاكم لما يحبيكم، ذلك بأن الكتاب يدعو إلى الله وإلى العدل والمعروف، ويزجر عن المنكر).

فقد نَظَرْنَا لكم وأردنا صلاحكم، ونحن أولى الناس بكم، رسولُ الله ﷺ جَدُّنَا، والسَّابِقُ إليه المؤمن به أبونا، وبنته سيدة النِّسوان أُمُّنَا، فمن نَزَلَ منكم منزلتنا؟ فسارعوا عباد الله إلى دعوة الله، ولا تنكلوا عن الحق، فبالحق يُكَبَّتُ عُدُوكُم، وتُمْنَعُ حريمكم، وتَأْمَنُ ساحتكم وساق في ذلك إلى أن قال: (وإذا بدأت الخيانة، وخُرِبَتِ الأمانة، وعُمِلَ بالجور، فقد افضح الوالي. فكيف يكون إماماً على المؤمنين من هذا نعتة وهذه صفته؟!

اللَّهُمَّ قد طلبنا المعذرة إليك، وقد عَرَفْنَا أَنَّكَ لَا تُصْلِحَ عَمَلَ المفسدين، فَأَنْتَ اللَّهُمَّ ولينا، والحاكم فيما بيننا وبين قومنا بالحق. هذا مانقول وهذا ما ندعوا إليه، فمن أجابنا إلى الحق فَأَنْتَ تُثَبِّتُهُ وتجازيه، ومن أبى إِلَّا عُتَوًّا وعناداً فَأَنْتَ تعاقبه على عتوه وعناده.) انتهى من المجموع ص ٣٠٥.

فأوجب عليهم الإستجابة لداعي الحق الذي به يكون صلاح العباد والبلاد والإستجابة لداعي الحق كما ذكرنا تكون بتوليته زمام الأمور.

فالتولية له واجبة بكل طريقة ممكنة ويدل على ما ذكرنا من أنه إذا لم يكن هناك داع فإنه يجب عليهم أن يفزعوا إلى البحث عن من يصلح لذلك وينصبوه ما ذكره الإمام نجم آل الرسول القاسم بن إبراهيم عليه السلام حيث قال ما لفظه: (وأما ما كان يروى: (أن من مات لا إمام له مات ميتة جاهلية)^(١)، فتفسيره واضح مشروح، أن الله قد فرض على خلقه في كل حين، إقامة أحكامه وشرائعه التي نزل في كتابه وسنن نبيه، ولا يقيم ما فرض الله من الأحكام إِلَّا أن يحكم بها الإمام، فإن لم يكن إمام يقيمها ويحكم بها، كان على الناس طلبه حتى يقيموه للأحكام وينفذها، فإذا كانت دار الإسلام قد علت عليها أئمة الجور، لزم أهل الإسلام مجاهدتهم وإزالتهم حتى يقيموا إماماً عادلاً، يؤمهم ويقيم أحكامهم عليهم، وينفذ مقاسم الفياء التي أمر الله بقسمها فيهم) انتهى من المجموع. ص ٦٢٩.

فأوجب على الناس طلب وإقامة الإمام الذي يحكم بالشرع الشريف بينهم وأوجب عليهم القتال من أجل ذلك.

(١) جاء بمعناه في الانتصار من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية، وفي رواية: «من مات ولم يعرف إمام زمانه فقد خرج من ربة الإسلام» وفي رواية عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلَهُ وَسَلَّمَ: «من سمع داعيتنا أهل البيت فلم يجها كبه الله على منخريه في نار جهنم» وروي عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلَهُ وَسَلَّمَ «من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر من ذريتي فهو خليفة الله وخليفة كتابه وخليفة رسوله» رواه الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين عليه السلام في الأحكام. انظر كتاب الموعظة الحسنة أدلة السنة المطهرة على وجوب طاعة الإمام. تمت شمس الدين.

ويدل على ذلك ما ذكره عليه السلام في كتابه المجموع ص ١٦٦ بعد أن ذكر خيرة الله الذين اختارهم للقيام مقام الأنبياء من عتره المصطفى عليه السلام قال ما لفظه (وإذا لزم تنفيذ الأقسام والأحكام، وكان ذلك لا يكون ولا يقوم إلا بالإمام، لزم جميع الأمة، اتخاذ الأئمة، لزوماً ليس منه بد، ولا عنه لأحد مصدراً) انتهى.

فبين عليه السلام أنه يجب على الناس اختيار من اختاره الله باتخاذهم إماماً.

ويدل على ما ذكرنا أيضاً ما قاله الإمام المهدي عليه السلام في الأزهار (يجب على المسلمين شرعاً نصب إمام).

وقال الإمام مجد الدين عليه السلام في سياق كلام له في هذا الشأن ما لفظه: (ووجب على ذوي العقد والحل من الأمة أن ينظروا من يصلح للقيام لقوله تعالى ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾ [آل عمران: ١٠٤] وقال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]

ووجب على العارف من نفسه الأهلية ووجود الناصر القيام) انتهى ص ٣٤ الجوابات المهمة.

فقد أوجب الإمام المهدي عليه السلام نصب الإمام واختياره على جميع المسلمين وخص الإمام مجد الدين عليه السلام الوجوب على أهل الوجاهات أهل العقد والحل كما ذكرنا.

مع أن الإمام المهدي والإمام مجد الدين عليه السلام يقولان بأن طريقها الدعوة وذلك دليل على ما ذكرنا من أنه يجب عليهم نصبه بكل طريقة ممكنة ويجب عليهم التعاون في ذلك.

فإن قال قائل فكيف الحل إذا اختلف الصالحون من أهل البيت عليهم السلام في أمر الإمامة والزعامة؟

أقول والله الموفق: الواجب على المسلمين خصوصاً أهل العقد والحل منهم القيام بفريضة الإصلاح بينهم كما أمر الله بها في قوله تعالى ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ [الأنفال: ١].

والمصالحة تكون بالجمع بينهم ودعوتهم إلى النقاش والمناظرة وقد أوجب الإمام الهادي عليه السلام المناظرة على الإمام وذكر أنها لن تجب إمامة إمام بغير ذلك أبداً قال عليه السلام (واعلم هداك الله أن الامتحان والنظر لا يكون إلا بالنصفة من المتناظرين، وطلب الحق عن ذلك من المتسائلين، وقبول الحق عند ظهوره، وأخذه بأفضل قبوله، ونحن - أكرمك الله - لكل ذلك لك باذلون، وإليه لك مسرعون، وله منك محبوبون، فهذا الباب الذي وجبت به إمامة كل إمام على جميع من تقدم من أهل الإسلام، وبه تجب إمامة من بقي من أئمة الهدى إلى آخر أيام الدنيا، ولن تجب إمامة إمام أبداً لغير ما ذكرنا، ولن يوجد سبب يثبت لأحد سوى ما شرعنا) انتهى من المجموع ص ٤٨٥.

وقد أوجب الإمام المرتضى عليه السلام على العلماء والصالحين القيام بالمناظرة في ذلك الأمر كما سيأتي.

وبعد فإن المناظرة طريقة مرضية بين أهل البيت من قديم الزمان وكم من إمام من أئمة أهل البيت يقوم فيدعي إليها عند قيامه كما هو معلوم لمن اطلع على سيرتهم ولكن إذا رأى المصلحون أن هذه الطريقة لم تنفع وجب عليهم أن يدعوهم إلى تحكيم الكتاب والسنة الجامعة غير المفرقة.

ووجب على المختلفين الاستجابة إلى ذلك كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٥١]

فصل

في وجوب التحكيم للكتاب والسنة عند الاختلاف

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩] أوجب الله سبحانه وتعالى على كافة المؤمنين طاعته وطاعة رسوله وطاعة ولي الأمر ثم قال: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [النساء: ٥٩] أي إذا تنازعتم في من هو ولي أمركم أو في غيره من الأمور ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩] والرد إلى الله هو الرد

إلى كتابه والرد إلى الرسول هو الرد إلى سنته الجامعة غير المفرقة هكذا قال أمير المؤمنين علي عليه السلام فأوجب على جميع المؤمنين التحكيم للكتاب والسنة عند الاختلاف ثم قال تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

ومفهوم ذلك هو سلب الإيمان عن من لم يرض بتحكيم الكتاب والسنة وفي الآية دلالة واضحة على وجوب التحكيم عند الاختلاف في ولي الأمر ولذا أوجب الله الرد إلى الكتاب والسنة ولم يذكر معها أولي الأمر عند الرد كما ذكرهم عند الأمر بالطاعة ويدل على ما ذكرنا من تفسير الآية قول أمير المؤمنين عليه السلام (في قصة التحكيم: (ولما دعانا القوم إلى أن يحكم بيننا القرآن لم نكن الفريق المتولي عن كتاب الله، فنحن أحق الناس به)، وقال الله سبحانه: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]، فردّه إلى الله أن نحكم بكتابه، وردّه إلى الرسول أن نأخذ بسنته؛ فإذا حكم بالصدق في كتاب الله فنحن أحق الناس به، وإن حكم بسنة رسول الله ﷺ فنحن أولاهم بها) انتهى من مجموع السيد حميدان ص ١٢٢.

وقال عليه السلام: (أما إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أما إنها ستكون فتنة» فقلت: فما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: «كتاب الله عز وجل فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، فهو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى من غيره أضله الله، هو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم والصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تلبس به الألسنة، ولا تشبع منه العلماء، ولا يخلق عند كثرة الرداد، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي لم تلبث الجن إذ سمعته حتى قالوا: إنا سمعنا قرآناً عجباً يهدي إلى الرشد فأما به، من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم» انتهى نقلاً من مجمع الفوائد. ٢٤٦.

ويدل على ذلك ما ذكره إمام الزيدية الإمام الأعظم زيد بن علي عليه السلام في رسالته إلى علماء الأمة حيث قال ما لفظه: فالله الله عباد الله أجيئوا إلى كتاب الله، وسارعوا إليه، واتخذوه حكماً فيما شجر بينكم، وعدلاً فيما فيه اختلافنا، وإماماً فيما فيه تنازعنا، فإننا به

راضون، وإليه متتهون، ولما فيه مُسلمون لنا وعلينا، لا نريد بذلك سلطاناً في الدنيا، إلا سلطانك، ولا نلتبس بذلك أثرة على مؤمن، ولا مؤمنة، ولا حرّاً، ولا عبد. انتهى من المجموع الأصولي. ص ٣٠٥

ومما يبين لنا عموم التحكيم للكتاب والسنة في هذا الأمر أو في المسائل الأصولية أو الفروعية أو غير ذلك ما ذكره السيد العلامة محمد بن عبد الله عوض حفظه الله في كتابه صحيح السنة ص ٢٤: حيث قال ما لفظه (كيف الحل وكيف المخرج ومن الحاكم؟ الجواب: قد سبق أن قلنا إن القرآن الكريم لا خلاف فيه وأن هناك سنة مجمع عليها وهي ما روي من الحديث عند كل طائفة من المسلمين وقد قال الله تعالى ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩] والرد إلى الله هو الرد إلى كتابه والرد إلى الرسول ﷺ هو الرد إلى سنته.

فإن قلت: كيف نرد إلى سنة الرسول وهل وقع النزاع إلا في سنته ﷺ

قلت: الرد المقصود به الرد إلى السنة المجمع عليها التي لا خلاف فيها لأنها هي التي تسمى سنة وتنسب إلى الرسول ﷺ بلا خلاف بين المسلمين إلى قوله: فإن قلت: ما هو الدليل على ما كان كذلك فإنه سنة عن الرسول ﷺ حقاً؟ قلت الدليل على ذلك هو مأخوذ من الآية السابقة فإن الله تعالى قال فيها (فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ) فعرّفنا أننا إذا لم نتنازع في أمر ولم نختلف فيه فلا يحتاج إلى رد ولا حرج علينا إذاً ولا رد إلى كتاب أو سنة.... إلخ انتهى.

وسنذكر كلام الإمام مجد الدين ﷺ في خاتمة الكتاب وكلامه ﷺ نص في المقصود إلا أننا أحببنا تأخير في آخر الكتاب ليكون شاملاً لأكثر المواضيع التي طرقتها في كتابنا هذا.

هذا وقد بينا وجوب المحاكمة في رسالتنا العاصمة من الفتن القاصمة.

وإنما أحببت الكلام عنها هنا لكي يطلع عليه من لم يطلع عليها والله الهادي إلى سواء السبيل.

فصل في بيان الحاكم

قد كان المسلمون يحتكمون إلى الرسول ﷺ كما أوجبه الله عليهم بقوله تعالى ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

ويجب على المسلمين من بعد عصره ﷺ أن يحكِّموا عالماً أو اثنين أو ثلاثة على حسب ما تدعو إليه الحاجة والمصلحة في مثل هذا الأمر أو في غيره من الأمور.

وقد ذكر الأدلة على ذلك القاضي العلامة عبد الله بن علي الغالبي رضي الله.

وذكر أنها طريقة الآل عند الاختلاف وذكر إجماع علماء عصره على وجوب التحكيم وعلى أنهم أجمعوا على أن من رفض التحكيم فلا حجة له عند الله بل الحجة قائمة عليه ذكر هذا في رسالته الحاكمة وقرر ذلك مولانا الإمام مجد الدين ﷺ في كتابه مجمع الفوائد.

نعم وإنما قلت بالتحكيم للعلماء في هذا لأنه لا يعقل من التحكيم للكتاب والسنة إلا ذلك لأن الكتاب صامت لا ينطق إلا برجال كما قال أمير المؤمنين ﷺ (إِنَّا لَمْ نُحَكِّمِ الرِّجَالَ وَإِنَّمَا حَكَمْنَا الْقُرْآنَ وَهَذَا الْقُرْآنُ إِنَّمَا هُوَ خَطٌّ مَسْطُورٌ بَيْنَ الدَّفْتَيْنِ لَا يَنْطِقُ بِلِسَانٍ وَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ تَرْجُمَانٍ وَإِنَّمَا يَنْطِقُ عَنْهُ الرِّجَالُ) انتهى من نهج البلاغة.

فعرنا من كلامه ﷺ أنه لا يكون الإحتكام بين المختلفين إلى الكتاب إلا بواسطة التحكيم للرجال.

إلا أنه ينبغي التحكيم للرجال الأتقياء أهل العلم والطهارة والدين ورجاحة

العقل كما اختار أمير المؤمنين ﷺ ابن عباس رضي الله عنه للتحكيم بصفين

وإنما صده أهل الخبث والنفاق من الخوارج عن ذلك كما هو معلوم.

هذا ومن عرف قصة التحكيم يوم صفين عرف شرعية التحكيم للكتاب والسنة في هذا الأمر العظيم أي أمر الولاية على الأمة لأن دخول أمير المؤمنين ﷺ في ذلك أكبر

دليل على شرعيته إذ هو المبين للأمة ما اختلفوا فيه بعد أخيه النبي ﷺ فلو كان التحكيم غير مشروع لما دخل فيه وقد قال ﷺ محتجاً على الخوارج (فَإِنَّمَا حُكْمُ الْحُكَمَاءِ لِيُحْيِيَ مَا أَحْيَا الْقُرْآنُ وَيُمِيتَ مَا أَمَاتَ الْقُرْآنُ وَإِحْيَاؤُهُ الْاجْتِمَاعُ عَلَيْهِ وَإِمَاتَتُهُ الْإِفْتِرَاقُ عَنْهُ فَإِنْ جَرَرْنَا الْقُرْآنَ إِلَيْهِمْ اتَّبَعْنَاهُمْ وَإِنْ جَرَّهُمْ إِلَيْنَا اتَّبَعُونَا فَلَمْ آتِ لَا أَبَا لَكُمْ بُجْرًا وَلَا خَتَلْتُمْ عَنْ أَمْرِكُمْ وَلَا لَبَسْتُمْ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا اجْتَمَعَ رَأْيُ مَلِكِكُمْ عَلَى اخْتِيَارِ رَجُلَيْنِ أَخَذْنَا عَلَيْهِمَا إِلَّا يَتَعَدَّيَا الْقُرْآنَ فَتَاهَا عَنْهُ وَتَرَكَمَا الْحَقَّ وَهُمَا يُبَصِّرَانِهِ وَكَانَ الْجَوْرُ هَوَاهُمَا فَمَضَيَا عَلَيْهِ وَقَدْ سَبَقَ اسْتِثْنَاؤُنَا عَلَيْهِمَا فِي الْحُكُومَةِ بِالْعَدْلِ وَالصَّمَدِ لِلْحَقِّ سُوءَ رَأْيِهِمَا وَجَوْرَ حُكْمِهِمَا) انتهى من النهج.

فأما بالنسبة لكراهيته للتحكيم فهو لما يعلمه من حال معاوية وأصحابه أنهم ليسوا ممن يستجيب لحكم القرآن وإنما أرادوا بذلك الخدعة لأصحابه خوفاً من الهزيمة التي رأوها نصب أعينهم.

ولذا قال ﷺ (أنا أحق من أجاب إلى كتاب الله ولكن معاوية وعمرو بن العاص وابن أبي معيط ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن إني لأعرف بهم منكم صحبتهم رجالاً وصغاراً فكانوا شر صغار وشر كبار وما رفعوها إلا خديعة)

فما كره ﷺ محاكمتهم إلا لمعرفته بشرهم وذلك ظاهر في كلامه ﷺ.

فقد علل كراهته للتحكيم بمعرفته بشرهم وأتى بإن التي تفيد التعليل في قوله: (إني لأعرف بهم).

فلو كانوا أهل شرف لبادر إلى محاكمتهم كما هو ظاهر من قوله (أنا أحق من أجاب إلى كتاب الله).

فإن قيل بأنه مضطراً إلى محاكمتهم

فأقول والله الموفق :

وما الذي اضطره إلى ذلك هل الخوف على نفسه أم المصلحة للدين.

فإن كان من أجل الخوف فهو غير صحيح فهو القائل وقد استبطأ أصحابه إذنه لهم في القتال بصفين: أَمَّا قَوْلُكُمْ أَكُلَ ذَلِكَ كَرَاهِيَةَ الْمَوْتِ فَوَ اللَّهُ مَا أَبَالِي دَخَلْتُ إِلَى الْمَوْتِ أَوْ خَرَجَ الْمَوْتُ إِلَيَّ).

فقد كان عليه السلام لا يرهب الموت بل كان يتمنى الشهادة في سبيل الله وهو القائل عليه السلام عند استشهاده (فزت ورب الكعبة).

وإن كان ذلك من أجل المصلحة للإسلام والدين فهو الواقع لأنه عليه السلام هو المبين للدين بعد أخيه النبي صلى الله عليه وآله كما وردت به الأخبار الصحيحة ولذا قال أهل العلم من فقهاء الأمة كالشافعي وأبي حنيفة رضي الله عنهم وغيرهم قالوا (لولا سيرة علي في أصحاب الجمل والنهروان وصفين لما عرفنا أحكام البغي).

فكل ما كان يقوم به عليه السلام مدة حياته هو ما يقتضيه الدين ولذا احتج على الخوارج حين استنكروا عليه التحكيم أن الله قد حكم الرجال في كتابه وهو أحكم الحاكمين فقال سبحانه في صيد البر للمحرم ﴿يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ﴾ [المائدة: ٩٥] وحكم الرجال في المرأة حيث قال ﴿فَاتَّبِعُوا حُكْمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحُكْمًا مِنْ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٣٥] واحتج عليهم بأن التحكيم في هذا وغيره سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلاً).

كما ذكره القاضي الغالبي رضي الله عنه في الرسالة الحاكمة وإنما أطينا في هذا الأمر لدفع ما يقال بأن التحكيم خاص ببعض الأمور دون بعض وإلا ففي كلام أئمتنا المتقدم ما يشفى ويغنى.

وكيف يكون خاصاً وقد حكم رسول الله صلى الله عليه وآله سعد بن معاذ في بني قريظة وقد شمل ذلك التحكيم الدماء والنفوس والأموال.

ولا خلاف بين المسلمين أن القاضي لا يصح أن يحكم لنفسه وكذلك الإمام وقصة أمير المؤمنين مع النصراني لدى شريح معلومه.

هذا ولو لم نقل بأنه يجب على المسلمين التحكيم لحكم الله عند الاختلاف في كل شيء لأدى ذلك إلى أحد باطلين إما أن تكون تلك القضية لا حكم للإسلام فيها وفي ذلك النقص في الإسلام والله قد أخبرنا بكماله في قوله تعالى: ﴿أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]

وإما أن يكون لها حكم ولا يجب علينا الإحتكام إليه فنضطر حينئذ إلى الإحتكام إلى الجبت والطاعوت من أحكام الجاهلية الجهلاء أو إلى أعداء الإسلام كاليهود والنصارى وأمثالهم فكون قد ابتغينا غير الإسلام.

قال الإمام زيد بن علي عليه السلام: (ولم يأمر المسلمين أن يسألوا اليهود والنصارى، وكيف يأمر الله أن نسأل اليهود والنصارى؟ أو ينبغي لنا أن نصدّقهم إذا قالوا؟ لأننا إذا سألناهم جعلوا اليهودية والنصرانية خيراً من الإسلام) إلخ انتهى من المجموع. ص ٢١٢.

وأيضاً فإن الله سبحانه وتعالى قد أمر جميع المسلمين بالتوحد ونهاهم عن التفرق والاختلاف.

وليس هناك وسيلة ناجحة ونافعة غير الرجوع إلى التحكيم لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ الجامعة غير المفرقة وقد أشار إلى ذلك الإمام زيد عليه السلام بقوله: (إفهموا عن الله تعالى هذه الحجة النيرة إنه أعجبنا من اليهود والنصارى يختلفون وعندهم الكتاب الذي فيه فصل اختلافهم وبيان أمرهم ولو كان الكتاب الذي في أيديهم لا يبين لهم الذي اختلفوا فيه ما قال الله تبارك وتعالى ﴿وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ [البقرة: ١١٣] فأوجز الحجة ووعظ أمة محمد ﷺ بهم وأخبرهم أن الكتاب دليل لهم إن اختلفوا بعد نبينهم وفيه البيان والبرهان وهو فصل الخطاب والنور المبين والصراط المستقيم.

وقال رسول الله ﷺ: (مابلغكم عني فأعرضوه على كتاب الله تعالى فما وافقه فهو مني وما خالفه فليس مني) فأخبرهم ﷺ أن الكتاب يفصل الحق من الباطل) انتهى ص ٣٣٥ من المجموع.

فإذا كان التحكيم لكتاب الله هو المخرج للأمة الإسلامية جمعاء في كل شيء فبالأولى أن يكون ذلك لأبناء الشعب الواحد أو المذهب الواحد أو الطائفة الواحدة وإذا كان الاختلاف بين الثقل الأصغر فلا مخرج حينئذ إلا بالتحكيم للثقل الأكبر وهو القرآن فمن رضي منهم بتحكيمه فهو الذي أمرنا الله تعالى باتباعه وأخبرنا على لسان رسوله بأنه لا يفارق القرآن في قوله ﷺ (لن يفترقا) ومن رفض حكمه فقد فارقه.

هذا وقد نعى الله سبحانه على المعرضين والهاربين عن حكمه بأمثال قوله تعالى: ﴿أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحْيِفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [النور: ٥٠] وقوله تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَنْتَعُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠] إلى غير ذلك من الآيات.

فصل

في توضيح الشروط المعتمدة في إمامة الإمام

الشروط المعتمدة في إمامة الإمام عند الزيدية ليست تعجيزية كما يفهم بعض الناس وإنما هي شروط عادية دلت عليها الأدلة من الكتاب والسنة والعقل بل معظمها دلت عليها الفطرة وأدلة العقول كما ستري، ولم يمض وقت من الأوقات إلا وهناك من أهل البيت ﷺ من يمتلك تلك الشروط بل في معظم الأوقات يوجد منهم عدة أشخاص على تلك الصفة. وإليكم أيها الإخوة توضيح تلك الشروط فهي كما يلي:

١ - المنصب وهو أن يكون علويًا فاطميًا وقد ذكرنا الدليل على ذلك في القسم الأول من كتابنا هذا.

٢ - البلوغ والعقل. والدليل على ذلك أن الصغير والمجنون لا ولاية لهما على أنفسهما فكيف تصح ولايتهما على غيرهما، وهذا الشرط مجمع عليه بين الأمة الإسلامية بل مجمع عليه عند جميع العقلاء.

٣- الذكورة. والدليل على ذلك قوله تعالى ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ [النساء: ٣٤] فقد جعل الله ولاية النساء إلى الرجال فإذا كانت المرأة لا تملك الولاية على نفسها فكيف يصح أن تتولى على الأمة، وهذا الشرط في الحقيقة قد دل عليه العقل وذلك أن المرأة ضعيفة في نفسها لا تستطيع إدارة أسرة فكيف بإدارة أمة. فهي من طبيعتها لا تطمح إلى هذا المنصب إلا نادرا ولا عبء بالنادر ولذا نرى النساء لا تتولى هذا المنصب لا ماضيا ولا حاضرا إلا نادرا لدى أهل الإسلام وأهل الكفر، وما ذلك إلا دليل على ما ذكرنا من أن هذا الشرط تقضي به الفطرة والعقل.

٤- الحرية والدليل على ذلك هو أن العبد مملوك في نفسه فكيف يصلح للولاية على الأمة وهو مملوك لغيره وهذا مجمع عليه بين المسلمين.

٥- العدالة وهي الورع وهو الإتيان بالواجبات والإنتهاء عن المحرمات قال الإمام المنصور بالله ﷺ في شرح الرسالة الناصحة ص ٢٩٦ مالفظة: (واعتبرنا الورع: لأن معناه الكف عن المحرمات، والقيام بالواجبات، والإمام مراد لجمع الأموال، وإقامة الحدود، وإنفاذ أحكام الله - تعالى - في عبادته وبلاده. فإن لم يكن فيه ورع يحجزه عن ارتكاب المحظورات، وترك الواجبات، لم يأمن أن يرتكب المحظورات، ويخل بالواجبات، لغرض من الأغراض فيعود على المراد منه بالنقض) انتهى.

٦- اجتناب الاعمال المسترذلة والدليل على ذلك هو أن الدخول فيها مما يسبب في نفور الناس عنه وذلك ينقض الغرض الذي انتصب من أجله وللإجماع على ذلك.

٧- الشجاعة قال الإمام المنصور بالله في شرح الرسالة الناصحة مالفظة (واعتبرنا الشجاعة: لأن مدار الإمامة مبني عليها، فاعتبارها أولى، إذ الحقوق لا تستوفي، والحدود لا تقام، والواجبات لا تفعل، والمحظورات لا تترك في الأغلب من الأوقات من الأكثر من الناس إلا بالجد والشدة والقتل والقتال، فما لم يكن شجاعا لم يأمن أن يمنعه الجبن؛ الذي هو الخوف، من القيام بأكثر ذلك، ويحمله - أيضا - على إقرار أكثر الناس عليه ولا يثبت في المقامات التي تحفظ بها بيضة الإسلام فينتقض الغرض كما قدمنا) انتهى ص ٢٩٧.

٨- التدبير قال الإمام المنصور بالله ما لفظه (وأما القوة على تدبير الأمر: فإنما اعتبرناه لأن الإمامة رئاسة عامة على أجناس مختلفة وأهل طبائع متنافرة، فما لم يكن معه من جودة الرأي، وحسن التدبير ما يتمكن به من رم أمورهم، ومعاشرة جمهورهم، وترتيبهم في ثغورهم، وإقامة حروبهم على وجه الصواب في الأغلب، وحسن التصرف في الحروب، انتقض الغرض في نصبه) انتهى. ص ٢٩٧

٩- القدرة على القيام بثمرة الإمامة وهذا الشرط راجع في الحقيقة إلى الشرط المذكور قبله وهو التدبير لأنه إذا كان مدبراً كان قادراً على ذلك.

١٠- السخاء وهو أن يضع الحقوق في مواضعها والدليل على ذلك هو أنه إذا كان بخيلاً كان ذلك سبباً في نفور الناس عنه كما قدمنا

١١- السلامة من المنفرات نحو الجذام والبرص ونحو ذلك مما ينفر عن مخالطة الناس التي لا يتم القيام بأمور المسلمين إلا معها وذلك مما يحكم به العقل

١٢- سلامة الحواس والأطراف التي يختل القيام بثمرة الإمامة عند فقدانها كالعمى والصمم ونحوهما إلا إذا كان شيئاً يسيراً فإنه لا يضر. وذلك مما يحكم به العقل أيضاً.

١٣- الاجتهاد والدليل على ذلك قوله تعالى ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [يونس: ٣٥]، فحكم الله بوجوب الاتباع لمن لا يحتاج إلى هداية غيره وليس كذلك إلا العالم المجتهد أما المقلد فهو لا يزال بحاجة إلى هداية غيره.

قال الإمام المهدي عليه السلام في البحر الزخار (فيجب كونه مجتهداً إجماعاً ليتمكن من إجراء الشريعة على قوانينها). انتهى

وقال السيد العلامة محمد بن عبد الله حفظه الله في قصد السبيل ص ١٧٥ ما لفظه (وأما العلم فيشترط أن يكون مجتهداً وذلك أن الإمام خليفة للنبي صلى الله عليه وآله وقائم مقامه ولا يستطيع القيام بحق الخلافة إلا العالم المجتهد أما الجاهل فلا يتصور منه القيام بتطبيق شرائع الإسلام وتنفيذها) انتهى.

ولا يجب أن يكون أعلم أهل عصره لأن اشتراط ذلك يؤدي إلى بطلان الإمامة لأنه قد يكون الأعلم ناقصاً في شرط من الشروط المعتمدة كأن يكون غير شجاع قال الإمام القاسم العياني عليه السلام في كتابه المجموع ما لفظه (فلا بد من النظر في أمر القاعد لم تعد فإن وجدتموه قد قعد بعد الكمال واستقامة الأحوال ومساعدة الثقات من الرجال وتسليم ما لله من الأموال فذلك رجل جبان والجبان لا يكون إماماً) انتهى ص ٥٨

أو يكون شيخاً كبيراً لا يستطيع مخالطة الناس ونحو ذلك.

١٤ - الفضل قال السيد العلامة محمد بن عبد الله عوض حفظه الله في قصد السبيل ص ١٧٥ ما لفظه (وأما الإفضلية فلا بد أن يكون أفضل أهل زمانه أو من أفضلهم وذلك في العلم والورع وحسن التدبير والسياسة وحسن البيان ونحو ذلك) انتهى فذكر أنه يجب أن يكون أفضل أهل الزمان أو من أفضلهم ومن في اللغة للتبعيض فمعنى ذلك أنه يشترط فيه أن يكون من أفضل أهل البيت فإذا كان كذلك ثم دعا الأمة إلى ما فيه صلاحها وفلاحها أفضل أهل زمانه بقيامه

كما ذكره الإمام المنصور بالله في شرح الرسالة الناصحة ص ٢٩٧ حيث قال ما لفظه (وقد ذكر أبائنا - عليهم السلام - وعلماء شيعتنا - رضي الله عنهم - الفضل، وجعلوه شرطاً مفرداً، ونحن نرى أن من اجتمع له ما ذكرنا من العلم، والورع، والسخاء، والشجاعة، والقوة على تدبير الأمر لا بد من أن يكون فاضلاً بدليل أنك لا تقول: فلان عالم ورع سخي شجاع قوي على تدبير الأمور، وسياسة الكافة، وليس بفاضل بل يعد من قال ذلك مناقضاً، فذكرناه تبركاً بهم، واستسعاداً باقتفاء آثارهم.

ولأنهم قد ذكروا أن المراد أن يكون له من السبق إلى الخيرات، والمواظبة على الطاعات، ما يعد لأجله سابقاً أو داخلاً في جملة السابقين، معدوداً من أهل الحظوظ منهم، والورع عندنا يأتي على ذلك كله ؛ لأن الورع يخاف موقعة المحذور، والإخلال بالواجب، فيكون منه من المبادرة ما تقدم ذكره) انتهى.

ولم يذكر أهل المذهب في شرح الأزهار هذا الشرط من شرائط الإمامة وما ذلك إلا لما ذكرنا من أن الفاضل من أهل البيت الكامل في الشرائط التي قدمنا ذكرها إذا انتصب للقيام بأمر الأمة صار أفضل من غيره وسيأتي زيادة إيضاح لهذا الأمر في ما بعد.

نعم ومن الشروط التي ينبغي أن يتصف بها الإمام هي أن يكون براً رحيماً ذليلاً على المؤمنين عزيزاً على الفاسقين والكافرين وقد ذكر هذا أئمتنا الأول عليه السلام كما في كلام الهادي وقد قدمناه سابقاً وكما قال السيد العلامة محمد بن عبد الله عوض عند ذكره للصفات التي لا يكون الإمام إماماً مع وجودها فيه حيث قال ما لفظه (وسى الخلق قاسي الطبع مشؤوم (ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك) انتهى ص ٢٢١ من قصد السبيل.

وذلك أن الإمام قائم مقام النبي ﷺ فلا بد أن يكون من أقرب الناس في الشبه به.

(فصل في بعض الإشكالات وحلها)

فإن قال قائل كيف تقول ذلك والإمام زيد عليه السلام يقول (فإن قالوا: فمن أولى الناس بعد الحسين؟

فقولوا: آل محمد عليهم السلام أولاً فلهما أفضلهم أعلمهم بالدين، الداعي إلى كتاب الله، الشاهر سيفه في سبيل الله. فإن لم يدع منهم داعٍ. فهم أئمة للمسلمين في أمرهم وحلالهم وحرامهم، أبرارهم وأتقيائهم) انتهى

فذكره بقوله أعلمهم بالدين فذلك يدل على اشتراط العلم

فأقول والله الموفق:

لا شك ولا إشكال أن القائم منهم إذا كان على تلك الصفات فإنه أولى من غيره. وليس الإشكال في ذلك وإنما الإشكال هو في ما هو الواجب إذا لم يقيم من هو في

الظاهر أعلم ولم يدع ولم يشهر سيفه ودعا إلى الله غيره ممن هو كامل في الشروط
المعتبرة فعلى ما قدمنا يجب على جميع الناس الطاعة له كما تقدم وكذلك عند الاختلاف
في أمر القيام وعدمه.

أي إذا رفض القيام من هو في الظاهر أعلم وقام ودعا غيره ممن هو كامل الشروط
فالواجب على الناس اتباع القائم الداعي.

ولقد استشعر الإمام زيد عليه السلام هذا الأمر أي أمر الاختلاف فقال بعد كلامه السابق.

(فإن قالوا: فما بال آل محمد يختلفون وإنما الأمر والحق واحد فيما تزعمون؟

فقولوا: فإن داود وسليمان اختلفا ﴿إِذْ يَخْتَلِفَانِ فِي الْحَرْثِ﴾ [الأنبياء: ٧٨] وقد قال الله تبارك
وتعالى: ﴿وَكَلَّا أَتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنبياء: ٧٩]، أفيجوز أن نرد قول الله عز وجل، فنقول:
إن داود حكم بغير الحق، أو أخطأ؟ فاختلافنا لكم رحمة، فإذا نحن أجمعنا على أمر لم
يكن للناس أن يعدوه).

فذكر عليه السلام أن اختلافهم في المسائل (أي الفرعية هو من باب التوسعة للناس في
الأخذ بأي قول من أقوالهم).

ثم ذكر عليه السلام بعد ذلك مباشرة من الذين تجب طاعتهم و القيام معهم عند
الاختلاف فقال عليه السلام: (فأل محمد عليه السلام في الناس رجلاً: رجل عالم بما تحتاج إليه الأمة
من دينها، دعا إلى كتاب الله وسنة نبيه، ومجاهدة من استحلت حرام الله، وحرّم حلاله،
فعلى الناس نصرتُه، ومؤازرته، والجهادُ معه، حتى تفيء الباغية إلى الله، أو تلحق روحه
وأرواحهم بالجنة، قال الله عز وجل: ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا
تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣].

وقال: ﴿فَإَيُّدُنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عُدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ [الصف: ١٤].

ورجل بضعة من رسول الله عليه السلام، استنصر من مظلمة فقتل، أو حُبس، أو ضُرب، أو
استحلت حرمة، فعلى الأمة إجابته ونصرتُه ومؤازرته حتى يمنعوه أو تفيء رُوحه

وأرواحهم، فيكون كمن نصر رسول الله ﷺ في حياته ووفاته، ونَصُرَ أهل بيته بعد وفاته كنُصرتِه، فإنه ﷺ قد أخذ عليهم أن يمنعوه وذريَّته من بعده مما يمنعون منه أنفسهم وذَراريهم. فأهل هذا البيت البقية بعد الرسول ﷺ والدُّعاة إلى الله؛ لأنه قد جعلهم مع نبيه ﷺ في السَّبق والتَّطهير والعلم، وأنهم الدعاة إلى الله بعد رسوله، قال الله تبارك وتعالى: ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل: ٤٣] انتهى من المجموع ص ٢١١.

فإن قيل قد ورد في كلام الإمام القاسم بن إبراهيم ما يقتضي أن الإمام هو الأعلَم

فأقول والله الموفق :

إن في كلامه عليه السلام ما يقتضي ظاهره التناقض ولا بد من التأويل .

قال عليه السلام ص ٢١٦ من الجزء الثاني من المجموع ما لفظه (فإن زعم زاعم أنه لا يصلح أن يكون الإمام إلا واحد، فإن النبوة أعظم قدرا عند الله من الإمام، قال الله تعالى: ﴿ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ ﴾ [يس: ١٤]، وقال لموسى وهارون: ﴿ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ ﴾ [طه: ٤٣]، وكان إبراهيم وإسماعيل ولوط في زمن واحد يدعون إلى الله، فإذا استقام أن يكون الداعي إلى الله من الرسل في زمن واحد اثنين وثلاثة، فذلك فيما دون النبوة أَجْوَزُ) انتهى

وقال في ص ٦٣٨ ما لفظه (وسألته: هل يجوز أن يختلف إمامان في عصر واحد؟ فقال: لا يكون هذا أبداً.

وهل يجوز أن يتساويا في عصر في حكم واحد في كل الخصال، لا يفضل أحدهما صاحبه، فيستوجبان الإمامة ؟

فقال: هذا لا يكون أبداً، وفي بطلان هذا ما قال الله لا شريك له: ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف: ٧٦] انتهى .

وقال في ص ٦٣٩ ما لفظه (وسألته: من أين جاء فساد إمامين في عصر واحد ؟

فقال: أما الإمامان فلا يخلوان من أن يكون أحدهما أفضل من الآخر، فيكون المفضل بفضل الآخر عليه قد زالت إمامته، ويلزمه تقديم الفاضل في الدين والعلم وطاعته، وذلك أن الله يقول في كتابه: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦] ، وفي هذه المسألة جواب يكتفي به من كان ذا لب شافي، لأنه واضح مبين مفهوم كافي) انتهى.

فقد جوز في كلامه الأول تعدد الأئمة ثم حكم بفساده في المسألتين الأخيرتين فلا بد من تأويل كلامه فأقول بأن كلامه عليه السلام محمول على ما ذكره أحد معاصريه علامة الآل الحسن بن يحيى بن الحسين بن زيد عليه السلام حيث قال ما لفظه (أجمع آل رسول الله صلى الله عليه وآله أنه جائز أن يدعوا جماعة متفرقون، أو مجتمعون، ويعقد في كل ناحية هذا العقد على النصر، والقيام بأمر الله عز وجل، وعلى كل من حضر قائماً بأمر الله أن ينصره بقدر الطاقة فإذا ظهر أمر الله فال رسول الله صلى الله عليه وآله الأتقياء العلماء أعلم بالرضى منهم) انتهى من المختار ص ٧٣١.

فمعنى كلامهم أنه يجوز أن يدعوا جماعة من الدعاة حتى إذا استحکمت لهم الأمور وظهر أمر الله وجب عليهم الاجتماع للمناظرة وتسليم الأمر للأفضل منهم.

فكلامهم في الدعاة القائمين لافي القائمين والقاعدين فلا إمامة للقاعد كما قد تقدم ذكره ويعضد تأويلنا هذا ما ذكره الإمام الناصر الأطروش عليه السلام وهو قريب العهد بالإمام القاسم عليه السلام حيث قال ما لفظه (لو يخرج اثنان أو ثلاثة من ولد فاطمة عليها السلام يدعون إلى الله تعالى مفترقين متبعين أمر الله تعالى أمرين بالمعروف ناهين عن المنكر كان الواجب على من قاربهم وسمع دعائهم إجابة من قرب منه منهم وعونه بالمال والأنفس فإذا تبين لهم الأفضل بعد ذلك وجب على المفضل تسليم الأمر له حكى ذلك عنه عليه السلام صاحب المحيط) انتهى نقله من شرح الأساس ص ١٩٨.

فظهر بما ذكرنا أنه ينبغي على المفضل تسليم الأمر للفاضل إذا كان المفضل والفاضل من الدعاة الخارجين على الظالمين فأما من لم يقم ويدع فلا إمامة له بإجماع العترة.

يزيد ذلك وضوحاً ما ذكره عليه السلام في كتابه المجموع ص ٦٣٨ حيث قال ما لفظه (وسألته: متى يلزمني فرضه ؟

فقال: إذا عرفته فقد لزمك فرضه.

فقلت: الإمام يُعرّف الناس بنفسه ؟

قال: يُعرّف الناس بنفسه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والواجب على الناس أن يطلبوه في معدنه.

قلت: فأين معدنه ؟

قال: آل الرسول عليه السلام، يكون أزهدهم وأعلمهم وأوروعهم، ويبين نفسه بالدعوة إلى الحق) انتهى.

فذكر عليه السلام الطريق إلى معرفة الإمام وهي الدعوة كما ذكرنا سابقاً.

فلا يجوز لشخص أن يدعي أنه إمام من غير دعوة كما قال عليه السلام ص ٦٣٤ من المجموع ([وسئل: عن الإمام ؟]

فقال: ليس لإمام أن يقول: إني إمام، لأن هذا إنما يكون للرسول عليه السلام، إلى قوله وكذلك الإمام بعده له آية تدل عليه، وهي العلم والبيان، والسبق إلى الخيرات، والدعاء إلى الله والقيام بأمره) انتهى

وأوضح عليه السلام في كتاب الإمامة أن الله دلنا على إمامة أمير المؤمنين علي وولديه عليهم السلام بأعيانهم وأنسابهم وأفعالهم وكذلك دلنا على المهدي باسمه ونسبه وفعله ودلنا على بقية أئمة العترة من أولاد الحسنين بصفاتهم قال عليه السلام فيهم ما لفظه: (ودل على أبرار العترة الأتقياء المصطفين المطهرين بالنسب المصطفى الطاهر، والأعمال الطاهرة الزكية التي توافق الكتاب والسنة. فأكثرهم بالكتاب تمسكا وأوجبهم على المسلمين حقاً، والشريعة التي توجب لهم أن يستحقوا مقام الرسول، وأن يكونوا

متبوعين غير تابعين، العلم، والجهاد، وأداء الأمانات إلى أهلها، فمن كان فيه هذه الخصال الأربع وجب على أهل بيته وعلى المسلمين اتباعه، ومعاونته على البر والتقوى. قال الله في كتابه: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢]. فمتى كان منهم العلم، والزهد، والتقوى، كان على الناس أن يقتبسوا من علمه، وأن يهتدوا بهديه، فأفعالهم الصالحة، ونسبهم الطاهر الدال عليهم. وحسبنا الله ونعم الوكيل) انتهى ص ١٩٣ من المجموع ج ٢.

هذا مع أن اشتراط أن يكون الإمام أعلم أهل عصره هو مذهب الإمامية الذين قالوا بإمامة القاعد فأما الزيدية فلا يشترطون ذلك إطلاقاً.

قال الإمام أبو طالب عليه السلام في كتابه الدعامة ص ١٨٣ مالفظه (وأما الصفات التي لا يشترط كونه عليها فهي أنه لا يجب أن يكون أعلم الناس لجميع المعلومات على ما ذهب إليه الإمامية ونفّر من الزيدية (نسبهم في حاشية الكتاب إلى المطرفية) ولا يجب أن يكون مأمون الباطن كالرسول ﷺ (يعني أنه لا يجب أن يكون معصوماً) فأما الذي يدل على أنه لا يجب أن يكون أعلم الناس لجميع المعلومات أنا قد بينا أن الإمام إنما يحتاج إليه لتنفيذ أمور مخصوصة من جملة الشرعيات وما يتصل بذلك.

وتنفيذ هذه الأمور لا يحتاج فيه إلى أن يكون المنفذ لها أعلم الناس لجميع المعلومات) إلخ انتهى.

وقال الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة عليه السلام في شرح الرسالة الناصحة ص ٣٠٠ مالفظه (ولا يجب مع ذلك كونه أعلم الناس لوجه:

منها: أن المعرفة بذلك لا تتأتى مع كثرة البلدان وانتشار هذا الدين الشريف في أكثر أقطار الدنيا، فلو كان من فرضنا وفرض الإمام اعتبار كونه أعلم الناس، وقد علمنا استحالة التمكن من ذلك، وكل قول أدى إلى أن الباري تعبد عباده بالمستحيل يجب

القضاء بفساده، وقد أدى إليه القول بأن الإمام يجب أن يكون أعلم الناس، فوجب أن يكون باطلاً.

ومنها: أن الله - تعالى - يقول: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٢١٦]، ولا بد أن يكون الإمام عالماً بعلم لا استحالة كونه عالماً لذاته، والله - تعالى - لا يخبر إلا بالحق، كما قدمنا في باب الوعد والوعيد، وذلك يتضمن أنه يجوز أن يكون في الأرض من هو أعلم منه وإن لم نقطع على ذلك، فلو اعتبرنا ذلك لاستد باب الإمامة، وكل قول أدى إلى ذلك يجب القضاء بفساده وساق في ذلك إلى أن قال ولأن الله - تعالى - حكى قصة موسى مع الخضر فتأملها فإن فيها عجبا، مع أن الله - تعالى - قد آتى موسى - عليه السلام - التوراة فيها تبيان كل شيء يحتاج إليه، ثم أمره باتباع عبد من عباده وهو الخضر - عليه السلام - علم موسى في جنب علمه كالمجة في جنب البحر اللجي، فما قصر ذلك بموسى عن درجة النبوة، وبلوغ ختم الغاية، والنبوة أعلى درجة من الإمامة، وإنما وقع هذا إلى جهال الشيعة من دسيس الملحدة - لعنهم الله - ومكائدهم لدين الله يريدون إطفاء نور الله وتغيير حكمه والله متم نوره ولو كره الكافرون.

ولعمري لقد نفذ سحرهم في أولياء الشيطان، ونجى الذين سبقت لهم من الله الحسنى، ولولا خشية التطويل لبسطنا القول في هذا الباب، ولكننا خشينا أن نخرجنا ذلك من غرضنا بهذا المختصر).

وقال الإمام المهدي في البحر الزخار ص ٩٢ ما لفظه (وَلَا يَجِبُ كَوْنُهُ أَعْلَمَ الْأُمَمَةِ إِلَّا عِنْدَ الْإِمَامِيَّةِ)، انتهى فهذا كلام أئمة العترة حول ذلك الأمر وبه يظهر بطلان الشبهة حول كلام الإمام زيد والإمام القاسم - عليهما السلام -.

إذ لو كانا يشترطان ذلك لذكر هؤلاء الأئمة خلافهم في المسئلة ولو فرضنا الاختلاف لوجب العمل بما أجمعوا عليه وترك ما اختلفوا فيه كما قال الإمام زيد - عليه السلام - (فنحن إذا أجمعنا على أمر لم يكن للناس أن يعدوه).

وقال الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام في المجموع ص ٥٦٣ ما لفظه (وسألته: عن الاختلاف الذي بين أهل البيت؟

فقال: يؤخذ من ذلك بما أجمعوا عليه ولم يختلفوا فيه، وأما ما اختلفوا فيه فما وافق الكتاب والسنة المعروفة فقول من قال به فهو المقبول المعقول.) انتهى

فقد أجمعوا على اشتراط أن يكون الإمام مجتهداً واختلفوا في اشتراط كونه أعلم الناس على فرض وجود الاختلاف فوجب الأخذ بما أجمعوا عليه

وأيضاً فإنهم قد أجمعوا على أن الإمامة فيمن قام ودعا وسوف نبين هذا الأمر حتى تزول كل الشبه حوله

فأقول وبالله أصول:

فصل

في أن الإمامة لمن قام ودعا من ذرية السبطين

قد تقدم كلام الإمام الأعظم زيد بن علي عليه السلام في ذلك وقال الإمام نجم آل الرسول القاسم بن إبراهيم عليه السلام في المجموع ص ٦٥٢ ما لفظه (إن سألت سائل فقال: ما مذهبك؟ فقل: أنا قاسمي المذهب في القول بالتوحيد والعدل، ونفي الجور والتشبيه عن الله، ورأي السيف في القريب والبعيد، إذا عاند بعد الإنذار والبيان، فاطمي المقال في موالاة العترة والقول بإمامة سبطي الأئمة سيدي شباب أهل الجنة، وفي إثبات الدعوة وإيجاب البيعة لمن قام بالحق من ولديهما عليهما السلام، إذا كان عالماً بالحق عاملاً بأحكامه، داعياً إلى سبيل ربه، ناصراً لأهله، وعلوي السيرة في موالاة الأولياء ومنازمة الأعداء، والصبر على البلوى، والغمض على القذى، مع شهر السيف على من ينكث البيعة، ويحرف عن الدين، ويخرج عن إمام المسلمين، فهذا مذهبي وديني، فمن

أبى أنكر، ومن أحب أقر، فأنا لا أبالي بإنكار منكر و[لا] أباهي بإقرار مقر، لأنى أرى الحق لا يستوحش من الوحدة، ولا يبالي عمن أعرض وتولى. والسلام) انتهى

وقال الإمام الهادي إلى الحق عليه السلام في المجموع ص ٥٦ مالفظه (وأن الإمام من بعد الحسن والحسين من ذريتهما من سار بسيرتهما، وكان مثلهما، واحتذى بحذوهما،) انتهى وقال الإمام المرتضى عليه السلام في المجموع ص ٧٣٠ مالفظه (وأن الحسن والحسين إماما عدل مفترضة طاعتها ومن حذا حذوهما من أولادهما الطاهرين فهو الإمام المفترضة طاعته) انتهى.

وقال الإمام المهدي الحسين بن القاسم العياني في المجموع ص ١١٦ .

(وأشهد بإمامة ولديه السبطين، الإمامين الكريمين العالمين الحسن والحسين، ابنا الرسول ﷺ، وسليبي البتول، وأن الإمامة من بعدهما فيمن طاب من ذريتهما واحتذا بحذوهما، وكان في جميع صفاته مثلهما) انتهى.

وقال الإمام أبو طالب عليه السلام في كتابه الدعامة ص ٦٠ مالفظه (ثم من سلك طريقتهما وسار سيرتهما وأقام الدعوة ونهض بالأمر وتجرد للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومباينة الظالمين مع اجتماع الأوصاف فيه من ولد الحسن والحسين عليهما السلام) انتهى وقال الإمام المتوكل على الرحمن أحمد بن سليمان عليه السلام: (ثم هي شورى فمن خرج من أولادهما جامعاً لشروط الإمامة فهو الإمام) انتهى.

وقال الإمام الحجة المنصور بالله عبد الله بن حمزة عليه السلام (وقد تقدم ذكر مذهبننا بكماله في أن الإمامة بعد علي وولديه الحسن والحسين - عليهما السلام -، مقصورة على من قام ودعا من أولادهما المنتسبين بأبائهم إليهما، وهو جامع لخصال يجب اعتبارها بعد هذا المنصب الشريف هي: العلم، والورع، والشجاعة، والسخاء، والفضل، والقوة على تدبير الأمر بالعقل والرأي، والسلامة من الآفات المانعة من ذلك كزيد بن علي عليه السلام

ومن هذا حذوه من العترة الطاهرة عليه السلام انتهى من شرح الرسالة الناصحة.

وقال علي بن الحسين في المحيط بالإمامة رحمه الله: لاختلاف بين الشيعة في إمامة الحسن، والحسين عليه السلام، ثم اختلفوا بعد ذلك، فذهبت الزيدية إلى أن الإمام بعد الحسين بن علي عليه السلام من يخرج بالدعوة شاهراً لسيفه داعياً إلى سبيل ربه من أولاد الحسن والحسين عليه السلام، وقد جمع الصفات التي بينها في باب صفات الإمام فهو إمام، وذلك نحو زيد بن علي، ويحيى بن زيد، ومحمد بن عبدالله، وإبراهيم بن عبدالله، وغيرهم عليه السلام انتهى نقلاً من المختار ص ٧٣٢.

وقال الأمير الحسين عليه السلام في العقد الثمين (فإن قيل: لمن الإمامة بعدهما؟ فقل: هي محصورة في البطنين ومحظورة على من عدا أولاد السبطين، فهي لمن قام ودعا من أولاد من ينتمي نسبه من قِبل أبيه إلى أحدهما، متى كان جامعاً لخصال الإمامة، من: العلم الباهر، والفضل الظاهر، والشجاعة، والسخاء، وجودة الرأي بلا امتراء، والقوة على تدبير الأمور، والورع المشهور) انتهى.

وقال السيد العلامة محمد بن عبد الله عوض حفظه الله في كتابه نظرات ص ٤٨ ما لفظه (ثم من قام ودعا من أولادهما مستجمعاً لشرائط الخلافة والزعامة من العلم الوافر، والورع، والزهد والسخاء، والشجاعة إلى آخر الشروط المذكورة في كتب الأئمة عليهم السلام).

وأدلتهم على ذلك أكثر من أن تحصى، كخبر المنزلة، والغدير، وخبر الدار يوم الإنذار، والحسن والحسين إمامان الخ، وإني تارك فيكم، ومن سمع واعيتنا... الخ.

وإجماع الأئمة على جوازها فيهم بخلاف غيرهم فلم يحصل إجماع على الجواز، وإجماع أهل البيت على تقديم أمير المؤمنين ثم الحسن ثم الحسين ثم من انتهى.

أي ثم من قام ودعا فذكر إجماع العترة عليهم السلام على ذلك وقد ذكر ذلك الإمام مجد

الدين ﷺ كما سيأتي في خاتمة الكتاب إن شاء الله.

فانظر أخي المطلع على كلامهم فقد اجمعوا على أن الإمام من قام ودعا لامن كان أعلم الأمة فلو كان ذلك مشروطاً لأجمعوا عليه ولقالوا مكان قولهم (من قام ودعا) (من كان أعلم أهل دهره).

فإن قيل إن الله سبحانه وتعالى يقول ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [يونس: ٣٥] فدللت الآية على أن اتباع الأعلام أولى.

فأقول والله الموفق:

لا شك أن الأعلام هو الأولى إذا قام ودعا أما إذا ترك ذلك وقام غيره ممن هو كامل في الشروط فهو أولى بالاتباع من غيره ولا يحتاج الرجوع إلى غيره مع اجتهاده بل لا يجوز للمجتهد التقليد لغيره كما هو مقرر في موضعه من علم الأصول فلا يحتاج إلى هداية غيره بل يجب على العلماء المجتهدين الالتزام بفتواه في بعض الأمور كما ذكره أئمتنا عليهم السلام.

فإن قيل إن من شرط الإمام أن يكون أعلم أهل دهره ولكن لا يكون إماماً إلا بعد القيام والدعوة.

فأقول وبالله التوفيق:

إذا سلمنا ذلك فلا تجب الطاعة له إلا بعد الدعوة والقيام لا قبل ذلك أما قبل ذلك فهو وغيره من علماء الآل على سواء وبناء على ذلك فلا يجوز التخطئة واللوم لمن خالفه قبل دعوته وقيامه.

فإن قيل بل يجب الانتظار حتى يقوم ؟

فأقول أولاً: بأن الانتظار للقاعد مع وجود القائم الداعي ليس من مذهب الزيدية

كما قال الإمام زيد عليه السلام (المهدي حق وهو كائن من أهل البيت ولن تدركوه وذلك يكون عند انقطاع الزمن فلا تنكلوا عن الجهاد مع الداعي منا إلى كتاب الله وسنة رسوله القائم بذلك) انتهى ص ٣٨٤ من المجموع.

وقال الإمام إبراهيم بن عبد الله عليه السلام لما سئل عن أخيه محمد عليه السلام أهو المهدي الذي يذكر فقال (المهدي عِدَّةٌ من الله لنبيه - عليه السلام - وَعَدَهُ أَنْ يجعل من أهله مهدياً لم يسمَّه بعينه ولم يوقَّت زمانه، وقد قام أخي بفريضته عليه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإن أراد الله أن يجعله المهدي الذي يذكر ففضل الله بمنّ به على من يشاء من عباده، وإلا فلم يترك أخي فريضة الله عليه لا انتظار ميعاد لم يؤمر بانتظاره). انتهى من كتاب التحف ص ٨٢.

ثانياً: قعوده هو اخلال بواجب كما ذكر الإمام الهادي عليه السلام عند ذكره لصفات الإمام قال عليه السلام (ومن قصر عن ذلك ولم ينصب نفسه لله، ويشهر سيفه له، ويباين الظالمين ويباينوه، ويبين أمره، ويرفع رايته، ليكمل الحجة لربه على جميع بريته، بما يظهر لهم من حسن سيرته، وظاهر ما يبدو لهم من سريره، فتجب طاعته على الأمة والمهاجرة إليه والمصابرة معه ولديه، فمن فعل ذلك من الأمة معه من بعد أن قد أبان لهم صاحبهم نفسه، وقصد ربه وشهر سيفه، وكشف بالمباينة للظالمين رأسه، فقد أدى إلى الله فرضه، ومن قصر في ذلك كانت الحجة عليه لله قائمة ساطعة منيرة بينه قاطعة ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأفصال: ٤٢] انتهى من الأحكام. ص ٤٢ من الأحكام ج ١.

ثالثاً: الدليل دل على وجوب طاعة القائم فلو وجب الانتظار للقاعد مع وجود القائم لكان معنى ذلك هو وجوب الطاعة للقاعد لا للقائم وذلك خلاف ما ذكره أئمتنا عليهم السلام يزيد ذلك وضوحاً ما ذكره السيد العلامة محمد بن عبد الله عوض حفظه الله في كتابه صحيح السنة ص ٧٧ حيث قال ما لفظه.

الجواب والله الموفق:

أن المراد بما قدمنا من الأدلة أن الحق في أهل البيت لا يخرج منهم، ولم ندع أن كل فرد فرد هو المقصود بتلك الأدلة بل المراد جماعتهم، وأئمتهم فإن كان ثمة قائم كزيد والهادي والناصر والمنصور، فهو المقصود بالنصوص هو وجماعته من أهل البيت، وإلا فالرجوع إلى أهل البيت السابقين هو المتعين على الناظر) انتهى

هذا مع أن القول بأنه لا بد أن يكون الإمام أعلم الناس في غاية البعد لأن ذلك يؤدي إلى أن لا تستقر إمامة إمام لأن غير الإمام قد يعتني في تحصيل العلم حتى يبلغ مرتبة أعلى من الإمام فيلزم تسليم الأمر إليه وهكذا ولذا قال الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة عليه السلام في كتابه العقد الثمين ص ٤٠٨ مجيباً على الإمامية في قولهم إن الإمام لا بد أن يكون أعلم الناس قال عليه السلام مالفظة: (الكلام في ذلك: إن تصحيح هذا القول يؤدي إلى سد باب الإمامة، وبطلان اعتقادها، وما أدى إلى ذلك، قضي بطلانه ؛ لأنه لا يصح لنا العلم بأنه أعلم مالم يختبر جميع العلماء، واختبار جميع العلماء متعذر علينا، ولو قدر على استحالاته أننا اخترنا جميع العلماء في بلدانهم وأقطارهم لكان في الجائز أن يصير من اخترناه في الإبتداء أعلم لتراخي المدة ؛ لأن العلم يتزايد بالحرص والدراسة مع الذكاء والفطنة فلا يستقر لنا العلم بذلك، فلا يصح منا اعتقاد إمامة الإمام ؛ لأننا لا نعتقد إمامته مالم نعلم أنه أعلم الناس، ولا يصح لنا العلم أنه أعلم الناس مالم نختبر علم الجميع، ولا سبيل إلى اختباره كما قدمنا، ويكفي في كونه غاية للمكلفين في الحوادث كونه من العلماء، فكل حادثة تنتهي إليه لا بد من نظره فيها وإجابته عنها بما يجب به أهل العلم، وذلك كاف في بابه.) انتهى

وأقول أيضاً معرفة الأعلم لا تتأتى إلا إذا كان التفاوت كبيراً ملحوظاً وإلا فهو عسير بين المتقاربين في العلم بعد استوائهم في القدرة على الإجتهد والله سبحانه يقول ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

فإن قيل بأنه قد ورد في كلام بعض الأئمة ما يدل على صحة إمامة الإمام من غير قيام ودعوة.

فأقول والله الموفق:

يحمل كلامهم ذلك على أن مرادهم بتلك الإمامة هي إمامة العلم أي يكون إماماً لهم في الحلال والحرام يدل على ذلك ما قاله الإمام زيد عليه السلام: (فإن لم يدع منهم داع فهم أئمة للمسلمين في أمرهم وحلالهم وحرامهم أبرارهم وأتقيائهم).

ومثل ذلك ما نرويه بالإجازة العامة لنا عن عدة من مشايخنا وعلمائنا بأسانيدهم إلى الإمام المرشد بالله عليه السلام في كتابه الأمالي بإسناده إلى علي بن عثمان قال سألت علي بن عبيد الله بن الحسين قلت جعلت لك الفداء كان جعفر إماماً قال نعم في الحلال والحرام.

قلت فكان زيد إماماً قال إي والله إمامنا وإمام جعفر) انظر ٥٨٤ من الأمالي الأثنية.

وأروي بالإجازة العامة لي عن سيدي وشيخي العلامة محمد بن يحيى الحوثي حفظه الله بأسانيدِهِ إلى علامة آل الحسن بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي عليه السلام قال (أجمع علماء آل رسول الله صلى الله عليه وآله أن علي بن أبي طالب كان أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وأولاهم بمقامه، ثم من بعد أمير المؤمنين الحسن، والحسين أولى الناس بمقام أمير المؤمنين، ثم من بعد ذلك علماء آل رسول الله صلى الله عليه وآله، وأتقيائهم، وأبرارهم أئمة المسلمين في حلالهم، وحرامهم، وسنن نبهم فمن أمر منهم بالمعروف، ونهى عن المنكر وجبت على المسلمين معاونته، ونصرته، وأن القائم منهم بالمعروف والجهاد أفضل عندهم من القاعد، وكل مصيب ^(١) قدوة) انتهى انظر (ج ٦ ص ١٧٨) من الجامع الكافي.

(١) ولن يكون القاعد في هذا الحال مصيباً إلا إذا كان داعياً لنصرة الإمام القائم راضياً عن فعله حاثاً للناس للاجتماع حوله كالإمام جعفر بن محمد مع عمه الإمام زيد بن علي ويكون بينهما من الفضل ما حكاه الله في قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِّ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ لا من قعد وثبط الناس وصار قدوة لهم في القعود والتشبُّط عن جهاد الظالمين فهذا لا يكون مصيباً ولو جمع علم الأولين والآخرين سبياً مع وجود من قام بهذا الأمر من أئمة الهدى. تمت شمس الدين.

فذكر ﷺ بأن القائمين من الآل والمقتصدين يجب الإقتداء بهم وتجب الطاعة للقائمين منهم وقال أي الحسن بن يحيى ﷺ (أجمع آل رسول الله ﷺ على أن الداعي منهم إلى أمر الله ينبغي أن يكون عالماً بما يدعو إليه عاملاً به، فإذا كان كذلك وجب معاونته على أمر الله، والشرائط التي توجب لهم أن يستحقوا بها مقام الرسول، ويستوجبون بها أن يكونوا متبوعين غير تابعين: العلم بالكتاب، والسنة، والجهاد في سبيل الله، والعدل، والزهد، والتقوى، وأداء الأمانات إلى أهلها، فمن كانت فيه هذه الخصال من أهل بيت النبي ﷺ، فقد وجب على أهل بيته، وعلى المسلمين اتباعه، وتقدمته، وطاعته، ومعاونته على البر، والتقوى، فقد استكمل الشريطة من رسول الله ﷺ، وكان على الناس أن يقتبسوا من علمه، وأن يهتدوا بهديه، ومن كان فيه التقوى، والزهد، والعلم فعلى العباد أن يهتدوا بهديه، ويقتدوا بأعماله الصالحة، ولا يستوحشوا معه إلى غيره، وقد أجمعت الأمة على أنهم من الأئمة الذين ورثوا الكتاب إذا عملوا بالكتاب، ولم يجمعوا هم على أن لغيرهم فيها تأويلاً) انتهى (ج ٢ ص ٤٩) فبين ﷺ ما ينبغي للقائمين منهم وللمقتصد بالتفصيل.

وقال الإمام الهادي إلى الحق ﷺ في المجموع عند تفسير قوله تعالى ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنُ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ [فاطر: ٣٢]، ما لفظه (فأخبر بما ذكرنا من اصطفايهم على الخلق، ثم ميزهم فذكر منهم الظالم لنفسه باتباعه لهوى قلبه، وميله إلى لذته؛ وذكر منهم المقتصد في علمه، المؤدي إلى الله لفرضه، المقيم لشرائع دينه، المتبع لرضاء ربه، المؤثر لطاعته؛ ثم ذكر السابق منهم بالخيرات، المقيمين لدعائم البركات، وهم الأئمة الظاهرون، المجاهدون السابقون، القائمون بحق الله، المنابذون لأعداء الله، المنفذون لأحكام الله، الراضون لرضاه، الساخطون لسخطه، والحجة بينه وبين خلقه، المستأهلون لتأييده، المستوجبون لتوفيقه، المخصوصون بتسديده... إلخ) انتهى. ص ٤٩٧

وقال الإمام الحسين بن القاسم العياني عليه السلام ص ١١٢ ما لفظه (فإن قيل: وما الظاهر الجلي، وما المغمور الحقي؟

قيل - ولا قوة إلا بالله - : أما الظاهر فالسابق المنذر لجميع الخلائق، وأما الخفي فالمقتصد المحتج لله على جميع العباد، الأمر بالمعروف والنهي عن الفساد، بغير قيام ولا جهاد». انتهى

وقال الإمام أحمد بن سليمان عليه السلام في حقائق المعرفة في تفسير قوله تعالى ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اضْطَغَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإذن الله ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ [فاطر: ٣٢]، فصَحَّ أن أهل الصفة الذين أورثهم الله كتابه هم الذين أمر الله بمودتهم؛ وهم: علي والحسن والحسين وأولادهما.

وقوله: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ فإنه أراد أنه منهم في النسب، وقد ظلم نفسه وأخرجها من الطاعة لربه إذ لم يحل بينه وبين ما أراد الله منه إلا نفسه، وهو العاصي لربه المضيع لحقه.

وقوله: ﴿وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ﴾ يريد أن منهم من لم يبلغ درجة الإمامة، وهو من حد العالم الذي لم يدع الإمامة إلى حد المتعلم المطيع لربه، وكل هؤلاء مقتصد عن درجة السبق، وليس اقتصادهم بسوء، منهم من لم يمنعه من القيام إلا عدم الأنصار، ومنهم من هو دون ذلك.

وقوله: ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإذن الله﴾ يريد الإمام الذي دعا الناس إلى طاعة ربه، وباين الظالمين، وعادى الفاسقين، فذلك هو السابق، إلخ... انتهى ص ٤٧٢.

وإنما قلنا بذلك جمعاً بين ما ظاهره الاختلاف من أقوالهم لأنهم قد أجمعوا على أن الإمام من قام ودعا فوجب الحكم بما أجمعوا عليه كما قدمنا والله الموفق

ويؤكد ما ذكرنا قول السيد العلامة الحسين بن يحيى الحوثي عليه السلام في جوابه على من يدعي الإمامة لغير من لم يقيم ويدع حيث قال مالفظه (والإمامية لا تنكر أن جميع أهل

البيت في زمن كل إمام من أئمتهم لا يقولون بإمامة ذلك الإمام، لأنه لم يقم ويدع ولو قام ودعى مع كمال الشروط لقالوا بإمامته إلا علي الرضا فإنه إمام عندنا لأنه قام ودعا) انتهى من الجواب الراقي.

فصل

في الترجيح بين القائمين من العترة

الصحيح من مذهب الزيدية أن الإمام لا يكون إلا واحداً ولا يصح في الوقت إمامان لما يؤدي إليه من الفساد كما بين ذلك مولانا الإمام مجد الدين المؤيدي رحمته الله في كتاب التحف.

وقد ذكر أئمتنا عليهم السلام كيف الحل إذا قام إمامان أو أكثر

قال الإمام الهادي إلى الحق عليه السلام في الأحكام ص ٤٦٢ ما لفظه: (باب القول في الرجلين من آل رسول الله ﷺ يشبهان في حال أو حالين أو في كل حال

قال يحيى بن الحسين صلوات الله عليه: إن اشتبه رجلان في العلم واختلفا في الورع فالإمامة لا ورعها وإن اشتبها في الورع والعلم فالإمامة لأزهدهما في الدنيا، وإن اشتبها في ذلك كله فالإمامة لأسخاهما، فإن اشتبها في ذلك كله فالإمامة لأشجعهما، فإن اشتبها في ذلك كله فالإمامة لأرأفها بالرعية، فإن اشتبها في ذلك كله فالإمامة لأشدهما تواضعاً، فإن اشتبها في ذلك كله فالإمامة لأحلمهما وأحسنهما خلقاً، فإن اشتبها في ذلك كله وفي غيره مما ذكرنا من شروط الإمامة ولن يشته في ذلك اثنان طول الابد، ولو جهد في ذلك كل أحد ولا يكونان في شئ من ذلك متفقين ولا بد أن يكونا في بعض شروط الامام مختلفين ولكن لا بد أن نقول في ذلك ونتكلم فيه للاحتياط لكي يتبين ذلك ويبعد منه الريب والاختلاط فنقول إنها إن اشتبها في ذلك كله كانت

الإمامة لأُسْنِهَا، فإن استويا في السن فالإمامة لأحسنهما وجهها، فإن استويا في حسن الوجه فالإمامة لأفطنهما، فإن استويا في الفطنة فالإمامة لأحسنهما تعبيرا وأجودهما تبينا، فإن استويا في جميع ذلك كله فالإمامة لمن عقدت له أولا، وليس لاحد إذا كانا مستويين في جميع الأمور التي ذكرنا وشرحنا وكان قد عقد لاحدهما أولا أن يتخير من بعد العقد لاحدهما ولا أن يتقدم عليه من بعد العقد له المتأخر منهما. حدثني أبي عن أبيه أنه قال: إذا اشبته رجلان في الكمال وكانا سواء في كل حال من الأحوال فالعقد لمن بدئ بالعقد له منهما وليس لأحد إذا كملا جميعا أن يتخير فيهما من بعد العقد لاحدهما إلا أن يتفاوت بهما حال في الكمال أو يتفاضلا في الكفاءة، فأما إذا استوت حالاتهما وكانت واحدة فليس لأحد فيهما اختيار ولا نظر وأيهما قدم في العقد وجبت له الإمامة ولو لم يكن العاقد له إلا واحد لان العقد إنما يجب له بسبقه وكماله وما وصفنا من حاله فإذا تمت حاله ورضيت أفعاله فعلى كل أحد التسليم له والرضى به. فإن قال قائل لم أوجب للمبتدئ بعقده من الإمامة ما لم توجهه للآخر وحالهما مستوية؟ قلنا له: للتقدم في العقد والابتداء، ولأنه ليس لصاحبه نقض إمامة المعقود له بعد استحقاقه للعقد بكماله أولا) انتهى من الأحكام.

وقال عليه السلام عند ذكره لقوله تعالى: (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير) ما لفظه (فجعل سابقهم هو الأمر فيهم والحاكم عليهم وعلى غيرهم من جميع المسلمين وغيرهم من جميع عباد رب العالمين) انتهى ص ٤٦٢.

وقال الإمام المرتضى عليه السلام في المجموع ص ٢١٤ ما لفظه (وسألتم هل يكون في عصر واحد أئمة كلهم أمرون ناهون يدعو كل إلى نفسه ويحض الناس على طاعته؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: هذا فلا يكون أبداً من مذهب الأئمة ولا من طريق القائمين على الأئمة؛ لأن من صفة الأئمة لا يكونوا حسدة ولا متباغضين ولا في دين

الله عزَّ وجلَّ متضادين؛ لأن من أكبر صفة الأئمة التواضع لله تبارك وتعالى لا الحسد في أمره؛ لأن الحسد لا يكون إلا من قلة الدين، قال الله سبحانه في كتابه: ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق: ٥] فأمر تبارك وتعالى نبيه صلى الله عليه يتعوذ منه وليس ذلك من صفتهم، ولا يخلو أيضاً أمر هؤلاء الأئمة من أحد معنيين: أن يكونوا قاموا في ساعة واحدة ويوم واحد لم يدر بعضهم بقيام بعض، فيجب عليهم عند علمهم بأنهم قد قاموا كلهم في وقت واحد لم يسبق أحد منهم أحداً أن يلتقوا ويجتمعوا ويجمع العلماء والصالحون معهم فينظروا أفضلهم في العلم، فإن استوا فيه جميعاً نظر أشجعهم، فإن استوا في ذلك نظر إلى أجملهم وأتمهم وأشدهم بدناً فأنقض وأقيم فقد بان فضله عليهم ولا يستوون أبداً في ذلك إلا أنها حجة يحتج بها في ما ذكرتم.

وإن كانوا قاموا مفترقين في أيام مختلفة وكانوا مستوين في ما ذكرنا فالإمامة للأول منهم؛ لأن حجته قد لزمته وطاعته عليهم واجبة في رقابهم لازمة؛ لأنه قد سبقهم بطاعة ربه وبالدعاء إلى دين خالقه فلزمهم عند ذلك الطاعة والإجابة لدعوته لا يصح حينئذ لإمام إمامته إلا من بعد فقد هذا الأول القائم بالحق الداعي إليه إلا أن يجيء إمام أفضل منه فما دام لا يظهر إمام أفضل منه فلا يجوز لأحد أن يدعي إمامة في حياته إلا أن يكون ظالماً لنفسه مثبتاً بادعائه المقام درجته مستوجباً من الأمة المبينة له لما هو فيه من مكابرتة وتركه لتبع من أوجب الله عليه طاعته) انتهى.

وقال الإمام أبو طالب عليه السلام في كتاب الدعامة المطبوع باسم الزيدية المنسوب للصاحب بن عباد مع أنه كتاب الإمام قال عليه السلام ص ٢١٤ مالفظه (فإن قال إذا قلت إن الإمامة تثبت بالدعوة فما قولكم في جماعة اشتركوا في الصفات التي تقضي جواز الإمامة وتساووا في الفضل واشتركوا في الدعوة من المستحق للإمامة. قيل له من سبقت دعوته فهو الإمام لأن دعوة الباقي لا حكم لها).

وقال عليه السلام : (فإن قال: فإن تساوا في الدعوة بأن تدعوا الجماعة في وقت واحد

كيف يكون حكمهم قيل له إذا كانت الحال هكذا فلا حكم لدعوة واحد منهم ولا بد من استثنائهما فمن كان أولى بالأمر لا اختصاصه بمزية فضل من الفضائل التي تعتبر في الإمامة فالدعوة واجبة عليه والإجابة لازمة للباقيين) انتهى.

نعم وهكذا ذكر أهل المذهب في شرح الأزهار حيث حكموا بالإمامة للأسبق إذا كان كاملاً في الشروط المعتمدة وقد استجيب له وقالوا «فإن وقعاً في حالة واحدة بطلت الدعوتان واستأنف الدعوة أفضلهما فإن استويا في الفضل سلم أحدهما للآخر فإن تنازعا صار الحكم في الاختيار إلى غيرهما من أهل الحل والعقد» انتهى ص ١٩ من شرح الأزهار الجزء العاشر.

إذا نستنتج من خلال كلام من قدمنا ذكرهم مسائل.

المسألة الأولى: أن الترجيح لا يكون إلا بين الدعاة القائمين من العترة لا بين قائم وقاعد وإنما قلنا بذلك لعدة أمور.

الأمر الأول أن كلام المرتضى مقيدٌ لكلام الهادي والقاسم ومفسر له وذلك أن كلامهما مطلق لم يقيدا ذلك بداع أو غيره.

وكلامه موضح لما أبهم في كلامهما وهو أعرف الناس بكلام أبيه وجده وأخصهم به وأهل البيت عليهم السلام تراجم القرآن وأحد الثقلين المأمور بالتمسك بهما فكما أن القرآن يفسر بعضه بعضاً كذلك كلام الأئمة من أهل البيت يفسر بعضه كلام البعض الآخر.

وكذلك كلام الإمام أبي طالب وكلام أهل المذهب فكلامهم جميعاً موضح لكلام الهادي والقاسم إذ الإمام المرتضى من أهل النصوص للمذهب والإمام أبو طالب من المخرجين للمذهب وأهل المذهب من المخرجين والمذاكرين كما هو معروف عند أهل هذا الشأن.

الأمر الثاني: أن الهادي والقاسم عليهما السلام لا يقولان بإمامة القاعد كما تقدم بل ذلك

مذهب أهل البيت كافة كما قدمنا.

الأمر الثالث: إجماع أهل البيت أن الإمامة لا تكون إلا بالدعوة كما تقدم.

إذا عرفت ما تقدم فاعلم أنه يجب على الدعاة في ما بينهم تسليم الأمر من مفضولهم لفاضلهم وهذا واضح مفهوم من كلام من قدمنا ذكرهم وقد ذكرنا في الفصل السابق عن القاسم والناصر عليهما السلام التصريح بذلك وذكر ذلك عنهما في شفاء الأوام.

وذكر في شرح الأساس عن صاحب المحيط إجماع الزيدية على أنه لا إمامة للمفضول مع وجود الأفضل فيجب حمل كلامهم على أنه لا إمامة للمفضول مع وجود الأفضل إذا كانا دعاة معاً لأنه يجب في هذه الحال التسليم من مفضولهم لفاضلهم فأما إذ لم يكن هناك إلا داع واحد فإنه يكون أفضل من غيره من القاعدين بقيامه مقام النبي صلى الله عليه وآله مهما كان كاملاً في الشروط المعتبرة فلا تجب المفاضلة بينه وبين غيره من القاعدين كما ذكره المنصور بالله عليه السلام وغيره وكما سيأتي ولأنه كم من فاضل قد عرض عليه القيام بالأمر فأبى وقام غيره ممن هو أدنى منه رتبة ولذلك صور كثيرة يعرفها المطلع على تاريخ أهل البيت.

إذا تقرر ما تقدم فاعلم أن لهذه المسئلة تفصيلاً ينبغي معرفته فنقول إن تفصيل المسئلة يقع على وجوه واعتبارات ونحن نلخصها في ثلاث صور.

الصورة الأولى: إذا قام منهم قائلان أو أكثر في وقت واحد أو التبس.

فالواجب في مثل هذه الصورة هو أن يسلم المفضول للأفضل كما دل عليه كلامهم.

الصورة الثانية: أن يقوم منهم قائل كامل في الشروط المعتبرة ثم بعد فترة يقوم قائل أو أكثر فالإمامة في هذه الصورة للسابق وهذا هو ما يدل عليه كلام الإمام الهادي عليه السلام عند ذكره لقوله تعالى ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ كما تقدم وكذلك كلام الإمام المرتضى

وأبي طالب وكلام أهل المذهب (ويجب حمل كلام القاسم والناصر على ذلك إذ هو مطلق مقيد بكلام هؤلاء كما ذكرنا سابقاً) إلا أن في آخر كلام الإمام المرتضى إشكال في قوله (إلا أن يجيء إمام أفضل منه).

ولكننا نتأول ذلك على ما يوافق المعنى الصحيح وذلك بأن نقول بأن معنى قوله (إلا أن يجيء إمام أفضل منه) هو أن يأتي إمام من بلاد أخرى غير البلد الذي قام فيه القائم وهذا هو المعنى الحقيقي للفظ (يجيء) في اللغة.

فأما إذا كان في بلد القائم ولم يقم فقد صار القائم أفضل منه كما ذكرنا وإنما أولنا كلامه في هذه النقطة لكي لا يتعارض مع كلام غيره من الأئمة وذلك هو الواجب في مثل ذلك كما نتأول كلام النبي ﷺ إذا كان ظاهره مخالفاً لما هو ثابت معلوم. نعم وقد قيد أهل المذهب إمامة السابق الكامل بالإجابة فقالوا: إذا كان قد استجيب له فلا يجوز لغيره الدعاء إلا إليه وإلا كان باغياً قالوا والعبرة في الاستجابة له هو (أن يجيبه أهل بلد كبير أو صغير بحيث ينفذ فيه أمره ونهيه)

أقول: وكأنهم اعتبروا إمامة السابق المجاب له لأن في ذلك حصول الفائدة المقصودة من شرعية الإمامة وهي إقامة الأمر والنهي بين العباد وإن كانوا قلة فأهل الحق هم القلة في كل زمان.

الصورة الثالثة: ذكر في الشفاء (أنَّ الإمام إذا أسره العدو وغلب على الظن أنه لا ينجو من الأسر ونهض غيره بالأمر ودعا لنفسه ثم تخلص الأول فإنه لا يلزم تسليم الأمر إلى الأفضل لأن المفضل بتحمل أعباء هذا الأمر والصبر على مضض الجهاد في سبيل الله يصير به أفضل ونسب هذا القول إلى السيدين الأخوين (يعني المؤيد بالله وأبا طالب) والسيد أبي عبد الله الداعي قال وهو المروي عن زين العابدين على بن الحسين والنفس الزكية المهدي لدين الله محمد بن عبد الله ﷺ ذكره في الكافي) انتهى.

أقول: كأنهم نظروا إلى اعتبار الأصلحية في ذلك لأن القائم المباشر للأمر قد صار أصلح من الأول لتعلقه بالناس وتعلقهم به فهو أصلح من غيره.

وهذا المعنى موجود في الصورة السابقة يعني في إمامة السابق المجاب له

وهذا الاعتبار هو المجوز لإمامة المفضل مع وجود الأفضل عند الإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى عليه السلام والإمام محمد الدين بن محمد بن منصور المؤيدي عليه السلام حيث جوزا إمامة المفضل مع وجود الأفضل إذا كان أصلح مهما كان المفضل كاملاً في الشروط المعبرة كما سيأتي في خاتمة الكتاب وعندي أن تسميتهم للمفضل مفضولاً في مثل هذه الحال مجاز تسمية له بإسم ما كان عليه وإلا فإنه قد صار أفضل من غيره بقيامه مقام النبي صلى الله عليه وآله بتحملة المسؤولية الكبرى التي لا يوجد في التكليف الشرعية ما هو أعظم منها وبماشرته لذلك العمل فبذلك يكون إذا كان كاملاً في الشروط أفضل من غيره لأنَّ الإنسان يعظم حاله ويشرف مقامه بسبب أعماله فقيمة كل امرء ما يحسنه ألا ترى أنَّ العالم القائم يارشاد الناس وتعليمهم المبالغ في ذلك العمل يكون أفضل من غيره من العلماء وإن كانوا في بعض الصفات أرفع منه ماذلك إلا لأن عمله شامل نفعه لكثير من الناس ولذا عظم النبي صلى الله عليه وآله حال العالم على العابد وعلل ذلك بقوله (العالم يستتد عباد الله من الضلالة إلى الهدى إلخ...) فكذاك المنتصب للأمر مقام جده عليه السلام يصير أفضل من غيره بتحملة الأعباء الكبيرة والهموم الكثيرة في صلاح الإسلام والمسلمين.

قال الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام (وليس من الفرائض فريضة أكبر قدراً، ولا أعظم خطراً، من الإمام الذي يقوم مقام نبيه عليه وآله السلام) انتهى

ولذا حكموا بإمامة السابق إلى ذلك كما تقدم.

وقد قال الإمام أبو طالب عليه السلام من كتاب الدعامة:

(فإن قال: ما قولكم في الإمام إذا ظهر في أيامه من هو أفضل منه، أتقولون إن ذلك يقدح في إمامته ويلزمه تسلّم الأمر إلى الأفضل، أو لا يلزمه ذلك.

فإن قلتم: بالأول فإنه بعيد، وإن قلتم لا يلزمه ذلك فقد جوزتم المفضول.
 قيل له: لا يلزم تسليم الأمر إلى غيره، ولا يؤدي ذلك إلى القول بإمامة المفضول،
 لأن من ليس بإمام وإن كان يساوي الإمام في جميع خصائله أو
 فُضِّل عليه، فإن الإمام قد فضله بالسبق إلى الدعوة، والنهوض بالأمر، والتوطن
 للنفس على تحمل المشقة في ذلك، وهذه فضيلة لا يساويها سائر مزايا الفضل التي
 يختص بها غيره، فهو على كل حال أفضل من غيره.

فإن قال: ليس في سبقه له بالأمر أكثر من التقدم في الزمان، والتقدم في الزمان
 والتأخر فيه لا صنع لأحد فيهما، فمن أين يكون السابق أفضل من التالي.

قيل له: لا يمتنع أن يكون السبق في هذا الباب يقتضي زيادة الفضل حتى لا يجوز أن
 يساويه فيها التالي. كما أن الذين سبقوا إلى نصرته النبي، صلى الله عليه وآله، قد علمنا
 أنهم أفضل من بعدهم إذا تساوت الأحوال، وإن لم يكن لهم صنع في تقديم زمانهم،
 فكذلك حال الإمام إذا سبق بالدعوة على الوجه الذي بيناه. ويمكن أن يجاب عن ذلك
 بأن حال الأفضل إنما يعتبر في وقت الدعوة، فأما بعد تقررها وسبق السابق إليها فلا
 اعتبار بذلك) انتهى فلا خلاف في الحقيقة بينهم لمن تأمل.

المسألة الثانية: أنه يجب على المتنازعين في الأمر الرجوع إلى العلماء وهذا صريح في
 كلام المرتضى عليه السلام ومفهوم من كلام أهل المذهب في قولهم (فإن تنازعا صار الحكم
 إلى غيرهما من أهل الحل والعقد) وهذا يؤكد ما ذكرناه سابقاً في كتابنا هذا.

المسألة الثالثة: أنه يجب على العلماء أهل الحل والعقد القيام بما هو واجبهم
 عند وجود المتنازعين في الأمر وهذا مفهوم من كلام الهادي والقاسم عليهما السلام من ذكرهم
 للعقد والمعقود مع أن مذهبهم ومذهب العترة كافة أن طريق الإمامة هي الدعوة وأنها
 لا تحتاج إلى عقد ولا غيره فليس المراد إلا الإشارة للعلماء أهل الحل والعقد بما ينبغي

عليهم وقد صرح بذلك المرتضى عليه السلام وهو مفهوم من كلام أهل المذهب السابق ذكره وكل ذلك يؤكد ما قدمناه من وجوب المناظرة أو المحاكمة عند التنازع.

وأيضاً فإن المناظرة هي الطريقة المألوفة بين الأئمة كما قدمنا .

فكم من إمام قد دعا إليها فقد دعا إليها إمامنا الأعظم الإمام زيد بن علي والإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين والإمام القاسم العياني والإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة والإمام القاسم بن محمد عليه السلام وغيرهم من أئمة الهدى ومصابيح الدجى .

والمحاكمة هي الحل الوحيد عند اشتداد النزاع وعدم الإنتفاع بغيرها وهي كذلك قد دعا إليها الإمام زيد عليه السلام وقررها إمامنا الأعظم والطود الأشم الإمام مجد الدين المؤيدي عليه السلام في تعليقه على الرسالة الحاكمة بل قد صرح بها في الجوابات المهمة كما سنذكره في خاتمة الكتاب.

إذا عرفت ما تقدم فاعلم أن الترجيح يجب على الاتباع والاتباع ينقسمون إلى قسمين علماء وعوام.

وواجب العلماء في هذا الأمر عظيم فإنه لولا العلماء الأخيار لما قامت للحق دولة كما أنه لولا علماء السوء لما قامت للظالمين راية.

فالذي يجب على العلماء هو القيام بالمناظرة والمناقشة لأولئك المتعارضين كما ذكر الإمام المرتضى عليه السلام والتذكير لهم بأن الأمر خطير وأن الإمامة تكليف شاق فينبغي على من رأى العلماء أنه يجوز له الترك والتسليم للآخر أن يسلم ويترك المنازعة^(١) فالمقصود هو رضا الله لا العلو في الدنيا والسعيد من كفي بغيره فتخفيف التكليف من اللطف الخفي.

فإن لم تنفع المناظرة دعوهم إلى المحاكمة كما ذكرنا وحكموا بينهم بحكم الله الذي فيه الصلاح والفلاح للبلاد والعباد.

(١) بل يجب عليه الترك. تمت شمس الدين.

ومن رفض المناظرة فإنه لا يكون إماماً كما نص عليه الإمام الهادي عليه السلام ومن رفض المحاكمة فقد بطلت حجته كما ذكره الغالبى رضي الله عنه وقرره مولانا الإمام مجد الدين عليه السلام.

ويجب على العلماء بعد قيامهم بذلك البيان للناس بحقيقة الأمور وما هو الذي يجب عليهم.

فقد وردت الآيات والأحاديث بوجوب ذلك عليهم وبالتهديد على الترك.

ومن قرأ رسالة الإمام زيد عليه السلام عرف وجوب ما ذكرنا وقد ذكر الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة عليه السلام ما هو الذي يجب على العلماء أهل الحل والعقد عند دعوة الداعي من الآل.

فقال عليه السلام: (وإذا كان كذلك ولا بد من البحث والاختبار وهو فرض العلماء دون غيرهم والعوام أهون تكليفاً في ذلك؛ لأن ما يشترط من خصال الإمامة يشترك في العلم به العامي والعالم لأنه مشاهد كالشجاعة، والسخاء، والزهد، والورع، والفضل، والمنصب، والعلم على سبيل الجملة أن هذا الشخص عالم ومعدود في العلماء الكل يشترك في ذلك، وإنما على العلماء معرفة القدر الذي يحتاج إليه في ذلك وبحثه عنه حتى يكونوا على يقين في أمره، فإذا صح ذلك لهم يلزم العوام طاعته، وإن رجع العلماء عن ذلك لزم العوام الاستمرار على طاعته لأن إمامته قد صحت في الأصل وصار العالم مأموماً، فإذا اختلف الإمام والمأموم فاتباع الإمام أولى، فإذا تجرد ودعا وجبت طاعته على الجميع سواء عقد له أو لم يعقد؛ لأن المعصية لا تسقط الفريضة) ^(١) انتهى ص ٥٥٠ من المجموع المنصوري القسم الثاني.

(١) يعني عليه السلام بذلك أن القائم من أهل البيت إذا قام ودعا الأمة إلى الجهاد في سبيل الله وإحياء دين الله وجب على العلماء التوجه إليه واختباره فإذا اختبروه ووجوده كاملاً في الشروط وجب عليهم طاعته والعقد له بالإمامة وإذا تركوا طاعته والعقد له بالإمامة فذلك لا يسقط على الناس وجوب طاعته لأن تركهم لذلك معصية وعصيانهم له لا يسقط إمامته ووجوب طاعته إذ قد عصى النبي والوصي صلوات الله عليهما فما زادهما إلا علواً كما صرح بذلك في كلام له آخر فهذا ما ظهر في تفسير كلامه. تمت شمس الدين.

وأما بالنسبة للعوام وكذا طلاب العلم القاصرين فليس عليهم سوى تقليد العلماء ومتابعتهم كما ذكره المنصور بالله وذلك لأن العالم في حق الجاهل بمنزلة الدليل إلا أنه يجب عليهم الترجيح بين العلماء عند الاختلاف فيجب على الجاهل في هذه المسئلة الترجيح بين أدلته التي هي العلماء إذا تعارضت كما يرجح العالم بين الأدلة الشرعية.

فيتحرى اتباع أهل العلم الراسخ والورع الكامل والخبرة التامة البعيدين عن الأغراض والأهواء والميل إلى الدنيا التي حبها رأس كل خطيئة فمهما فعل ذلك فقد برئت ذمته كما ذكر الإمام محمد بن القاسم الحوئي عليه السلام في كتابه البدور المضئية نعم هذا الذي قدمنا ذكره هو في حكم اختلاف الأئمة الدعاة من أهل البيت.

فإن كان الاختلاف بين قائم وقاعد فالواجب متابعة القائم واحترام القاعد كما ذكرنا سابقاً إلا أنه إذا كان الاختلاف بين القائم والقاعد مما يؤدي إلى الفرقة المذمومة التي تحمل على التعادي وتمزيق الشمل بين المؤمنين فالواجب على المؤمنين جميعاً هو القيام بالمصالحة حسب الاستطاعة والدليل على ذلك ما ذكره الإمام المرتضى عليه السلام مخاطباً لمن كانوا كذلك في عصره حيث قال ص ٦٩٤ من المجموع ما لفظه: (عباد الله أستم بالله موقنين؟ أستم بفرائضه وما أنزل على خلقه بعارفين، أترون لو أن القاسم بن إبراهيم رضي الله عنه وأرضاه، وجعل الجنة ثوابه ومأواه، قائم بنفسه، ثم خرج ابن ابنه، ودعا إلى الله، وإلى كتابه، وإلى سنة نبيه ﷺ، ثم منعكم القاسم من اتباعه، والإجابة له، والدخول في دعوته، أليس كان يجب عليكم في هذا الفرض المؤكد العظيم، الجليل الكبير، الذي ليس حظه بيسير، أن تخرجوا إلى القاسم، وإلى ابن ابنه حتى تشاهدوهما وتناظروهما، وتعرفوا مذهبهما، ثم كان أعرف الرجلين بالله وأقومهما بما أوجب الله، وأعزمهما بما عليه يتبع، وتقام حجة على من خالفه، فإذا قامت الحجة عليه، وخرجت الإمامة من يديه، ترك ورفض، بعد الحجة والبيان، وما لا يشك فيه من أهل المعرفة إنسان) انتهى وإنما قلنا بوجوب ذلك على الجميع لأن

الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١] والخطاب موجه للجميع وليس هناك أمر في الدين ينبغي المسارعة لإصلاحه أعظم من هذا الأمر كما تقدم وكما ذكره الإمام المرتضى في هذا الكلام.

فينبغي على الإنسان المؤمن الغيور على دينه أن يستشعر حب الله وحب إقامة شرعه وأن يكون ذلك أحب إليه من حب أحد المتنازعين فيقوم بدوره في الإصلاح على قدر معرفته في ذلك فيبحث مع هذا ومع هذا ولا أقل من أن يحصل على نتيجة وهي معرفة من يجب عليه اتباعه منهم ولا يكتفي بالأخبار المشكوكه خصوصاً من كان على شك في مثل هذا فالأمر خطير لأن النبي ﷺ يقول (من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية).

وقال الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام في المجموع ص ٦٢٥ ما لفظه (فمن اشتبه عليه مذكر الإمامة، وما حكم الله به من ذلك على الأمة، ولم يدر أفرَضَ الله ذلك عليه أو لم يفرضه، ولم يعلم من ذلك ما يلزمه، فهو ضالّ غير مهتدي، وأمره في ذلك مسخوط عند الله غير مرضي، لأن الله كلفه العلم كما كلفه العمل، فجهل من ذلك ما علّم فعله أن يتعلم ما جهل، فإن لم يفعل كان مقصراً، ولم يكن مهتدياً ولا برا) انتهى.

فصل

في شرعية الثورات على الظالمين

الثورات على الظالمين والخروج عليهم هو مذهب الأنبياء وسنة من سنن المرسلين المرسلين وفي قصة إبراهيم وموسى صلوات الله عليهما ونبينا محمد عليه السلام أكبر الأمثلة والعظات والعبر لمن تفكر في كتاب الله العظيم واطلع على سيرة النبي الكريم ولقد ضربوا أروع الأمثلة في الفداء والتضحية والشجاعة وفي الوثوق بالله سبحانه عند الشدائد ولم يرو عنهم السكوت بل كانوا يقاومون الظالمين فينتصرون أو ينتصر الله لهم

عند عدم الأنصار وقد سار على هذا المنهج أئمة أهل بيت رسول الله ابتداء من الإمام علي عليه السلام الذي قام الإسلام على سيفه كما ورد به الأثر ومرورا بالإمام الحسين والإمام زيد وإلى زماننا هذا واشتهروا بهذا من بين المذاهب الإسلامية بل قد صار ذلك سمة وعلامة لهم.

قال الإمام محمد بن عبد الله الوزير عليه السلام: (فما يمر عصر من الأعصار إلا وقائهم يدعو إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ظاهرا غير مستور فتلزم إجابته كل خلق الله وتظهر حجته على جميع عباد الله فماذا علينا إذا تصامم من نسيمهم بالخوارج وتعمى عن أنوارهم من هو في الحقيقة عن الدين خارج... إلخ) انتهى نقلا من لوامع الأنوار ص ٦٥٩.

فهذه سيرة أئمة أهل البيت عليه السلام لم يسالموا الظالمين إلا عند ضرورة ملجئة لهم إلى ذلك قال الإمام الهادي عليه السلام في الأحكام ما لفظه: (وحدثني أبي عن أبيه أنه قال: سأل المأمون رجلا من بعض آل أبي طالب ممن كان كبيرا عند المأمون أن يواصل بينه وبين القاسم بن إبراهيم رحمة الله عليه بكتاب ويجعل له من المال كذا وكذا أمرا جسيما غليظا عظيما، قال: فأتاه ذلك الرجل فكلمه في أن يكتب إلى المأمون كتابا أو يضمن له إن كتب إليه المأمون كتابا أن يرد عليه جوابا فقال القاسم ابن إبراهيم رضي الله عنه للرجل: لا والله لا يراني الله أفعل ذلك أبدا. قال يحيى بن الحسين رضي الله عنه: من أخاف ظلما جائرا غاشما في دنياه آمنه الله يوم الروع في آخرته قال: والذي نفس يحيى بن الحسين بيده ما يسرني أني أمنت الظالمين وأمنوني ليلة واحدة وأن لي ما طلعت عليه الشمس، لأن ذلك لو كان مني كان ركونا إليهم وموالة لهم وقد حرم الله ذلك على المؤمنين قال: وبلغنا عن بعض السلف أنه قال: من بات منهم خائفا وباتوا منه خافين وجبت له الجنة) انتهى ص ٤٧٩ ج ٢.

بل قد جعلوا المسألة لهم مما تبطل به إمامة الإمام.

كما ذكر السيد العلامة محمد بن عبد الله عوض في كتابه قصد السبيل ص ٢١٥ عند ذكره لما تبطل به إمامة الإمام: حيث قال (ويلحق بذلك عدم قيامه بما يجب عليه من منابذته للظالمين والقيام بأمر الدين) انتهى فلا ينبغي للإمام من أهل البيت اظهار

المسالمة إلا عند خذلان الناس له وذلك بعد القيام والدعوة كما ذكره الإمام الهادي عليه السلام في كتابه الأحكام عند ذكره للإمام الحسن بن علي عليه السلام أما قبل ذلك فلا.

فإن قيل كيف ذلك وأمير المؤمنين قد سالم في وقت الثلاثة ؟

فأقول والله الموفق:

نستحسن الجواب على هذا السؤال بما ذكره الإمام المنصور بالله عليه السلام في كتابه العقد الثمين ص ١٧٦ حيث قال ما لفظه (قلنا: إنَّ علياً عليه السلام لم يُغفل الطلاب، ولا عطّل حكم الكتاب، بل أوضح البرهان في مقام بعد مقام، وشرح صورة حاله في النشر والنظام، وكانت أمور القوم جارية على الإستقامة في نظام شرائع الإسلام، حتى قال عليه السلام: أسلم ما سلمت أمور المسلمين، ولم يكن الظلم إلا في حقي).

ولما أراد عثمان إسقاط الحد في الوليد بن عقبة أقامه عليه السلام بيده، وأراد قتل عبيد الله بن عمر بالهرمزان حتى أمره عثمان بالإنهزام عن المدينة وأقطعه بالكوفة الموضع المعروف بكوفية ابن عمر، ولما قتل عثمان لحق بمعاوية وكان من أقوى أنصاره حتى قُتل على ضلالةٍ بصفين، فهل علمت أيها السامع، أن أئمة الضلال في أعصار أهل البيت عليهم السلام الذين ادعت الإمامية إمامتهم هل سلموا أمور المسلمين من العدوان أو نهوا عن الطغيان أو قسموا سوية، أو عدلوا في رعية أو أنصفوا في قضية؟ تأمل معاني الإيراد والإصدار، لتنجو غداً من عذاب النار). انتهى.

هذا ولم يقم إمامٌ من أئمة أهل البيت عليهم السلام من أجل أن الإمامة حقٌ لهم بل إنما يقوم قائمهم لدرح الظلم والفساد كما يشهد به تاريخهم وكما هو مذكورٌ في دعواتهم ولم يقم أحدٌ منهم على أي حاكم تظهر منه العدالة بين المسلمين فليس لهم همٌ إلا إقامة العدل بين العباد كما هو معلوم وكفى في الدليل على ذلك قعود أمير المؤمنين علي عليه السلام في أيام الثلاثة.

نعم وقد ثار الناس على الظلم في هذه الفترة التي نحن فيها وخرجوا بالمظاهرات السلمية إلى الساحات ينشدون العزة والحرية والكرامة وقد سئموا من الظلم ولا يمكن أن يخضعوا لظالم أبداً وهم الآن في تريث وانتظار ولن يطفئ حرارة ثورتهم إلا برد العدل فبالعدل ينعم العباد وتعمر البلاد وتسعد جميع المخلوقات حتى الوحوش في الفلوات.

ولكنه لا يقوم العدل ولن يستقيم أبداً إلا بشيئين مهمين:

الشيء الأول: إقامة شرع الله بين العباد بتطبيق ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ بينهم على أرض الواقع.

فإن السعادة للناس تكمن في ذلك لأن الإسلام قد جاء بشريعة متكاملة تحل جميع مشاكل البشر وترعى مصالحهم في الدنيا وهي صالحة لكل زمان ومكان لأنها قوانين صدرت من إله الكون وخالقه العالم بكل ما يصلحهم فأما القوانين الوضعية من البشر والأحكام الجاهلية فهي عاجزة عن ذلك بل هي فاشلة كما نراه ونشاهده أمامنا في المبدأ الشيوعي والمبدأ الرأس مالي وما نتج عنهما من الشرور التي لا تحصى فلا يمكن للناس السعادة أبداً إلا بالقانون الإسلامي الصحيح الذي نزل من السماء وقد قال الله تعالى عن بني إسرائيل ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكْلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ [المائدة: ٦٦] فكذلك نحن أيها الإخوة المسلمون

الشيء الثاني: أن يولّى على القضاء بين الناس العلماء الصالحون أهل التقى والدين لأنهم هم الذين يمكنهم أن يطبقوا شرع الله بين العباد لمعرفة أحكام الله أما الجهال فهم بعيدون عن ذلك لأن فاقد الشيء لا يعطيه فينبغي أن يوضع كل شخص في عمله المناسب الذي هو ماهر فيه وكفو له وهكذا في جميع الأعمال وبحصول هذين الشيئين سوف تحصل السعادة للناس في هذه الدنيا وفي الآخرة وحصولهما لا يتم إلا بالمعاونة من الجميع فيجب على كل مؤمن أن يسعى إلى ذلك بمبلغ جهده فقد قال تعالى:

﴿وَتَعَاوُنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ [المائدة: ٢٠]. وقال أمير المؤمنين عليه السلام حاثاً لجميع المؤمنين على ما ذكرنا (فَعَلَيْكُمْ بِالتَّنَاصُحِ فِي ذَلِكَ وَحُسْنِ التَّعَاوُنِ عَلَيْهِ فَلَيْسَ أَحَدٌ وَإِنْ اشْتَدَّ عَلَى رِضَا اللَّهِ حِرْصُهُ وَطَالَ فِي الْعَمَلِ اجْتِهَادُهُ بِبَالِغِ حَقِيقَةِ مَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَهْلُهُ مِنَ الطَّاعَةِ لَهُ وَلَكِنْ مِنْ وَاجِبِ حُقُوقِ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ النَّصِيحَةُ بِمَبْلَغِ جُهِدِهِمْ وَالتَّعَاوُنُ عَلَى إِقَامَةِ الْحَقِّ بَيْنَهُمْ).

فعلى المؤمن أن يتأسى بالأنبياء والأئمة في ذلك فقد كان الإمام الأعظم زيد بن علي عليه السلام يتمنى أن يجعل نفسه فداء في سبيل إصلاح أمر الأمة كما هو مأثور عنه.

فصل

في السياسة الصحيحة والسياسة الباطلة

السياسة الصحيحة: هي التي يكون الهدف منها هو إحقاق الحق وإزهاق الباطل ورفعة الدين بين العباد

والسياسة الباطلة: هي التي يكون الهدف منها هو الحصول على الملك للتوصل إلى مطامع الدنيا وملذاتها.

وهاتان السياستان في صراع مستمر من عصر آدم صلوات الله عليه وإلى أن تقوم القيامة.

وهناك سياسةٌ أخرى سنذكرها في سياق الكلام.

فالسياسة الصحيحة تمثلت في الأنبياء والأئمة وأتباعهم. والسياسة الباطلة تمثلت في الفراعنة والملوك وأتباعهم.

ولقد رسم لنا النبي صلى الله عليه وآله السياسة الصحيحة بسيرته المباركة التي سار بها طيلة حياته.

فقد بدأ ﷺ دعوته بمكة بين أهله من قريش فلاقى هو ومن آمن معه ما لا قى من الأذية والمحنة فما وهن ولا ضعف ولا استكان وأعطى المغريات الكبيرة على ترك ما هو عليه فلم يقبل بذلك أبداً بل صابر وناضل في سبيل نجاح دعوته بكل ما يمكن ثم أمره الله بالهجرة إلى المدينة وأمره الله بقتال الأعداء وجهادهم فجاهد جهاداً عظيماً وانتصر بعد أن كان في قلة وأهل الأرض مطبقون على عداوته فانتصر بعد كفاح ونضال وجهاد مستمر وهو القائل ﷺ (وجعل رزقي في ظلال رحمي) فأيده الله بنصره واستطاع بسياسة المباركة أن يقيم دولة إسلامية تهز الشرق والغرب وتفرض هيبتها على العالم بأسره.

فكان ﷺ أعظم سياسي عرفه التاريخ كما شهد له الأعداء بذلك.

وقد أشار الإمام زيد ع إلى مجمل سيرته ﷺ بقوله (واجتمعت الأمة على: أن الله تبارك وتعالى بعث محمداً ﷺ بالنبوة، فأقام في قومه عشر سنين كما حكم الله عليه، وجادلهم بالتالي هي أحسن، فسموه: مجنوناً، وكذاباً، وكاهناً، وساحراً، فأقام مع المشركين وهم في شركهم حتى انقضت الأيام والسنون، ثم أمره الله عز وجل أن ينصر هجرته وأن يشهر سيفه، وأن يصير إلى حيث يقاتل من خالفه، حتى يدخل في طاعته، وأن يقيم الحدود، وأن يأخذ للضعيف من القوي، فلم يزل ناصراً هجرته، وشاهراً سيفه، يقاتل من خالفه، ويقيم الحدود حتى لحق بالله عز وجل.

واجتمعت الأمة على: أن النبوة لا تورث، فقبلنا منهم وشهدنا أن النبوة لا تورث.

وسألنا الأمة: إنفاذ الذي جاء من عند الله بالسنن، وإقامة الحدود، ودفع إلى كل ذي حق حقه نبوة؟ فكان من عمل بها فهو نبي؟ فقالوا: لا، ولكن النبوة: الإخبار عن الله والسبيل بالكتاب والسنة.

فهذا بيان لمن تفكر فيه ولم يعطف الحق إلى هواه، ورضي بالحياة الدنيا واطمأن إليها. والسلام) انتهى من المجموع ص ٩٤.

وقال الحسن بن يحيى عليه السلام في الجامع الكافي ما لفظه: (وأقام نبينا عليه السلام في دار المشركين، ثلاث عشرة سنة، يدعو الناس إلى الإسلام، ثم صار إلى دارٍ تؤويه، وتمنعه، وقد أخذ عليهم البيعة؛ وفي المدينة يومئذ اثنا عشر ألف مقاتل، من الأوس والخزرج، ومن تبع النبي عليه السلام، من المهاجرين، وقبائل العرب؛ فخرج إلى بدر وهو يريد عيراً لقريش، جاءت من الشام، ولم يكن معه جميع من تابعه بالمدينة؛ وإنما كان في ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، من المهاجرين والأنصار، وغيرهم.

وجاءت قريش في ألف فارسٍ وراجل.

إلى قوله: فأيده الله بالملائكة المسومين، ونصره على عدوه، ثم لم يزل يقاتل عدوه في حروبه إلخ...) انتهى نقلاً من اللوامع

وقد سار بسيرته عليه السلام الأئمة الهداة من أهل البيت عليهم السلام أولهم أمير المؤمنين علي عليه السلام الذي قاتل على تطبيق الدين بين العباد كما قال له النبي عليه السلام (قاتلت على تنزيل القرآن وستقاتل على تأويله).

ومعنى تأويله أي تطبيقه بين العباد وهو القائل عليه السلام مبيناً سبب قيامه وقاتله (وَلَكِنِّي أَسَى أَنْ يَلِيَ أَمْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ سُفَهَاؤُهَا وَفُجَارُهَا فَيَتَّخِذُوا مَالَ اللَّهِ دُولًا وَعِبَادَهُ خَوْلًا وَالصَّالِحِينَ حَرْبًا وَالْفَاسِقِينَ حِزْبًا) انتهى من نهج البلاغة

وقد قعد عليه السلام وسالم في أيام الثلاثة ولكن قعوده ذلك لعدة أمور ذكرها في عدة مقامات.

الأمر الأول: خوفه على الإسلام أن ينتهي لو قام بقتالهم لوجود الردة في كثير من بلاد المسلمين وهذا ما عبر عنه عليه السلام بقوله لفاطمة الزهراء عليها السلام (أتحبين أن يطمس هذا والمؤذن يؤذن).

الأمر الثاني: خوفه على انتهاء أهل البيت الذين هم خلفاء النبي عليه السلام إلى يوم القيامة

وهذا ما عبر عنه بقوله (فَنَظَرْتُ فَإِذَا لَيْسَ لِي مُعِينٌ إِلَّا أَهْلَ بَيْتِي فَضَنَنْتُ بِهِمْ عَنِ الْمَوْتِ وَأَغْضَيْتُ عَلَى الْقَذَى وَشَرِبْتُ عَلَى الشَّجَا وَصَبَرْتُ عَلَى أَخْذِ الْكَظْمِ وَعَلَى أَمْرٍ مِنْ طَعْمِ الْعَلَقَمِ) انتهى

الأمر الثالث : قلة المناصرين له في ذلك الوقت وهذا ما يفهم من قوله عندما بايعه الناس (لَوْ لَا حُضُورُ الْحَاضِرِ وَقِيَامُ الْحُجَّةِ بِوُجُودِ النَّاصِرِ وَمَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَى الْعُلَمَاءِ إِلَّا يُقَارُّوا عَلَى كِبَاطَةِ ظَالِمٍ وَلَا سَغْبٍ مَظْلُومٍ لَأَلْقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا وَلَسَقَيْتُ آخِرَهَا بِكَأْسٍ أَوْ لَهَا وَلَا لَقَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هَذِهِ أَزْهَدٌ عِنْدِي مِنْ عَقْطَةِ عَنَزٍ) انتهى

الأمر الرابع : هو سلامة أمور المسلمين أيامهم وهذا ما عبر عنه بقوله (لَمَّا عَزَمُوا عَلَى بَيْعَةِ عَثْمَانَ :

(لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي أَحَقُّ النَّاسِ بِهَا مِنْ غَيْرِي وَوَاللَّهِ لَا سُلَيْمَنَ مَا سَلِمَتْ أُمُورُ الْمُسْلِمِينَ وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا جَوْرٌ إِلَّا عَلَيَّ خَاصَّةً.) انتهى

فقد كانت أمور المسلمين مستقيمة كما هو مفهوم من كلامه هذا وقد كانوا يرجعون إليه في ما أشكل عليهم من أمر الدين حتى في الأمور السياسية وهذا ظاهر لمن اطلع على تاريخهم فقد كان (عَلَيْهِ السَّلَامُ) كالمرجعية لهم وكان إذا تركوا حداً من حدود الله قام بإقامته.

إذاً ما دامت أمور الإسلام جارية على الإستقامة فهو لا يبالى بحقه الخاص وكذلك بحق أهله مثل تركه للمطالبة بفدك كما قال (عَلَيْهِ السَّلَامُ): (بَلَى كَأَنَّهُ فِي أَيْدِينَا فَدَكٌ مِنْ كُلِّ مَا أَظْلَمَتْهُ السَّمَاءُ فَشَحَّتْ عَلَيْهَا نَفُوسُ قَوْمٍ وَسَخَتْ عَنْهَا نَفُوسُ قَوْمٍ آخَرِينَ وَنَعَمَ الْحُكْمُ لِلَّهِ) انتهى.

فأهم شئ عنده هو استقامة أمور الإسلام والمسلمين ولكن لما خاف على الإسلام بعد مقتل عثمان أن يؤول إلى الدمار والخراب بتولي السفهاء والظالمين قام ولم يستعجز القعود كما بين ذلك بقوله (عَلَيْهِ السَّلَامُ): (وَلَقَدْ ضَرَبْتُ أَنْفَ هَذَا الْأَمْرِ وَعَيْنَهُ وَقَلْبَتْ ظَهْرَهُ وَبَطْنَهُ فَلَمْ أَرِ فِيهِ إِلَّا الْقِتَالَ أَوْ الْكُفْرَ بِمَا جَاءَ مُحَمَّدٌ [بِهِ] (صلى الله عليه وآله) انتهى

ثم قام من بعده الإمام الحسن بن علي عليه السلام مجاهداً لأعداء رب العالمين إلى أن اضطر لمسالمة أعدائه بعد خذلان أصحابه له.

كما قال عليه السلام مينا سبب مسالمته في سياق كلامه عن ذلك (فقمت مقامه محتدياً مثاله سالكاً سبيله وقدمت الله أمامي وخرجت في جمهور من الناس فلما صرت في مظلم ساباط^(١) عدى علي بعض المحلين فطعنني بحديدة طعنة كادت تأتي على نفسي فحملت إلى أبيض المدائن جريحاً نزيهاً أريد إن استعلت من جراحتي أنهنض لقتال عدوي فبينما أنا كذلك إذ صرخ صارخ في عسكري: ألا إن قيس بن سعد بن عبادة قد قُتل فوثب الناس بي فنقضوا أبنتي وانتهبوا أمتعتي وأخذوا خاتمي من يدي وسلبوا خلخال حرمتي فجعلت أناشدهم الله في حرمتي ونظرت فإذا أنا قليل الناصر كثير الواتر لم يبق معي إلا طائفة من أهل بيتي لو أقدمت بها لأقدمت ولو أقدمت لقتلت ولو قُلت لباد الدين فدخلت في التقية التي دخل فيها هارون ومحمد وأبي صلوات الله عليهم «وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين» وصلى الله على محمد خاتم النبيين وآله ثم قال الحسن عليه السلام «إن البلاء على هذه الأمة أنا إذا دعوناهم لم يجيبونا وإذا تركناهم لم يهتدوا إلّا بنا» انتهى ص ٤٢٠ من مجموع الإمام القاسم العياني عليه السلام.

فقد سالم عليه السلام ولكن مسالته مشروطة كما ذكر الإمام المنصور بالله عليه السلام في كتابه العقد الثمين ص ١٧٧ حيث قال مالفة: (فسالم عليه السلام معاوية على شرائط استامها، أن لا يعرض لأحد من المسلمين بمكروه ولا محذور، ولا يتعدى شرائع الإسلام في ظواهر الأمور، فأقام كذلك وعلى ذلك حتى اعتل ولي الله وابن نبيه بالسم، فلما مات الحسن خلع الملعون عذار الرسن فتعدى في الأحكام، وخلع ربقة الإسلام، فقبل للحسن بن أبي الحسن البصري: متى ذل الناس؟ قال: يوم مات الحسن بن علي) انتهى.

ثم قام الإمام الحسين بن علي عليه السلام وجاهد الظالمين بثلة بسيطة من المؤمنين ومضى لقتالهم وهو يعلم بأن من بايعه قد نكث بيعته وقد قتلوا رسوله مسلم بن عقيل وقد

(١) مظلم ساباط: اسم مكان قرب المدائن قليل الضوء. تمت شمس الدين.

كان الناس يخبرونه بذلك وهو في أثناء سفره إلى العراق وهو سائر إلى موضع مقتله بكر بلاء وهو يعرض عنهم ولم يثنه ذلك عما هو عازم عليه من قتال الظالمين وهو يعلم أن مصيره القتل فقد كان ينعي نفسه وهو في الطريق وقال بعد وصوله كربلاء (هاهنا مناخ ركبنا ومهراق دمائنا).

فهو يعلم ﷺ بأنه إما أن يسالم القوم أو يقاتلهم فيقتلوه كما قال ﷺ (ألا إن الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين بين القتلة والذلة وهيئات منا أخذ الدنيا، أبى الله ذلك ورسوله والمؤمنون، وخطود طابت، وحجور طهرت، وأنوف حمية، ونفوس أبية لا تؤثر مصارع اللثام على مصارع الكرام) انتهى من التحف

ومن المعلوم الذي لا شك فيه أنه لو ترك المسير إلى العراق عندما أخبره الناس في الطريق بخذلان أهل الكوفة له وصار إلى شعب من شعاب اليمن يتعبد فيه ويعتزل عن أمر الأمة كما نصحه ابن عباس رضي الله عنه لما لاقى ما لاقى، لأن بني أمية لا غرض لهم في قتله وما قتلوه إلا خوفاً على ملكهم ولكنه ﷺ أبى إلا أن يقوم بالإعذار والإنذار كما أمر الله أهل البيت بذلك وإن كان في ذلك إزهاق روحه حياء من الله أن يقدم عليه ولم يأمر بمعروف ولم ينه عن منكر. وذلك ثابت لنا عنه بما نرويه بالإجازة العامة لنا عن عدة من مشائخنا وعلمائنا بأسانيدهم إلى الإمام المرشد بالله ﷺ بسنده إلى ابن عباس رضي الله عنه قال: بينا أنا أطوف بالبيت إذ لقيت الحسين بن علي عليه السلام كفه بكفه بين الركن والمقام. فعانقته ثم ضمته إلي وقلت: يا أبا عبد الله ما تريد؟ قال: أريد أن أسير؛ قال: قلت نشدتك الله تسير إلى قوم قتلوا أباك وطعنوا أخاك أهل العراق وأنت بقيتنا وجماعتنا؟ فقال: خل عني يا بن عباس، فإني أستحيي من ربي عز وجل أن ألقاه ولم آمر في أمتنا بمعروف ولم أنه عن منكر. انتهى ص ١٨٦ من الأمالي الخميسية ج ١. ولو أراد ﷺ العيش بين الذلة لوجده ولكن كما قال (هيئات منا الذلة).

قال الإمام المنصور بالله ﷺ (وكان الحسين بن علي ﷺ مباناً لمعاوية أيام حياته، بالعداوة وامتنع ﷺ من البيعة ليزيد مع بعض الجفوة، فلما مضت أيام معاوية شمر ليزيد والتجأ إلى حرم الله سبحانه وطلب بيعة الناس وناهض العدو بالحرب حتى لقي الله سبحانه على عهده، واختار الممات على الحياة، كما روينا بالإسناد الموثوق به إليه صلى الله عليه أنه خطب أصحابه لما أراد النهوض لمناجزة القوم، فقال بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة على النبي ﷺ: إن الدنيا قد تنكرت وأدبر معروفها، فلم يبق إلا صباية كصباية الإناء، وخسيس عيش كالمرعى، ألا ترون أن الحق لا يعمل به، وأن الباطل لا ينهى عنه، ليرغب المرء في لقاء ربه، فيني لا أرى الموت إلا سعادة، ولا الحياة مع الظالمين إلا شقاوة، ومن كان فينا باذلاً مهجته فليرتحل، فيني زاحف بهذه العصاة على قلة العتاد وخذلة الأصحاب:

فإن نُغْلِبَ فغلابون قدما وإن نُغْلِبَ فغير مغلبينا)

انتهى من العقد الثمين ص ١٧٨.

فكان ﷺ إماماً للثائرين والأحرار إلى يوم القيامة.

ثم قام الامام الحسن بن الحسن ﷺ مجاهداً لأعداء رب العالمين حتى مضى مسموماً شهيداً .

ثم قام الامام الاعظم فاتح باب الجهاد والاجتهاد الامام زيد بن علي ﷺ وهو القائل:

(أذلُّ الحياة وعِزُّ المماتِ وكلُّ أراه طعاماً وبيلاً

فإن كان لا بد من واحد فسيرُ إلى الموت سيراً جميلاً

والقائل: (من أحب الحياة عاش ذليلاً).

والقائل: (والله ما يدعني كتاب الله أن أسكت)، والقائل بعد أن خفقت رايات

الجهاد: الحمد لله الذي أكمل لي ديني، والله ما يسرني أن لقيت محمداً ﷺ، ولم آمر في أمتي بالمعروف ولم أنهم عن المنكر، والله ما أبالي إذا أقمت كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ؛ أن أججت لي ناراً ثم قُذِفْتُ فيها، ثم صرت بعد ذلك إلى رحمة الله تعالى، والله لا ينصرنني أحد إلا كان في الرفيق الأعلى، مع محمد ﷺ، وعلي، وفاطمة، والحسن، والحسين صلوات الله وسلامه عليهم. انتهى. ص ٣٦٨ من المجموع

أقول انظر إلى قوله أكمل لي ديني، فقد كان يعتبر دينه ناقصاً قبل القيام بذلك. فهذه سيرتهم وسياستهم.

وقد سار بسيرتهم تلك أئمة الهدى من أهل البيت من ذلك الزمان وإلى زمن مولانا الإمام مجد الدين ﷺ الذي صنع كما صنع جده الامام الحسن بن علي ﷺ كما سيأتي في خاتمة الكتاب إن شاء الله تعالى.

فالسير في نهجهم هو السير في منهاج الانبياء المرسلين كما قال الامام محمد بن عبدالله النفس الزكية ﷺ أما والله لقد أحيا زيد بن علي ما دثر من سنن المرسلين فبين ﷺ أن الجهاد هي سنة المرسلين من قبل ثم قال ﷺ وأقام عمود الدين إذ اعوج (فبين ﷺ أن ترك الجهاد مما يدخل الدين في الإعوجاج

ثم قال (ولن نقتبس إلا من نوره) فبين أن هذه الطريق هي التي يجب أن يمشي عليها أئمة أهل البيت فالسياسة التي تدعو إلى السكوت هي مخالفة لذلك النهج خصوصاً إذا تهيأت الظروف لذلك كما في عصرنا الحاضر الذي هو أحسن وقت يمر على العترة الطاهرة وأتباعهم كما ذكر السيد العلامة محمد بن عبد الله عوض حفظه الله في مقدمته لكتابه (البرهان القوي بالحق الصاعد البهي) حيث قال ما لفظه (وهي كما نراه ونشاهده من أن الشيعة اليوم بما فيهم الزيدية في أحسن أحوالها التي مرت بها تاريخياً) انتهى ص ٧.

فكيف يجوز السكوت في مثل هذه الحال أليس من ديننا أن الخلافة في أهل البيت فهل يكفي اعتقاد ذلك أم لا بد من التطبيق على الواقع. وإذا لم ير الأسلاف عذرا في القعود في أصعب الأحوال فما عذرنا عند الله يوم العرض عليه ونحن في أحسن الأحوال.

يقول أمير المؤمنين علي (عليه السلام) واصفاً لأهل البيت (عليهم السلام): (هُمْ عَيْشُ الْعِلْمِ وَمَوْتُ الْجَهْلِ يُخْبِرُكُمْ جِلْمُهُمْ عَنْ عِلْمِهِمْ وَظَاهِرُهُمْ عَنْ بَاطِنِهِمْ وَصَمْتُهُمْ عَنْ حِكْمِ مَنْطِقِهِمْ لَا يُجَالِفُونَ الْحَقَّ وَلَا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَهُمْ دَعَائِمُ الْإِسْلَامِ وَوَلَا يُجِ الْإِعْتِصَامَ بِهِمْ عَادَ الْحَقُّ إِلَى نَصَابِهِ وَأَنْزَحَ الْبَاطِلُ عَنْ مُقَامِهِ وَانْقَطَعَ لِسَانُهُ عَنْ مَنِّتِهِ عَقَلُوا الدِّينَ عَقْلَ وَعَايَةٍ وَرِعَايَةٍ لَا عَقْلَ سَمَاعٍ وَرِوَايَةٍ فَإِنَّ رِوَاةَ الْعِلْمِ كَثِيرٌ وَرِعَاتُهُ قَلِيلٌ). انتهى.

فذكر (عليه السلام) أنهم هم من أعادوا الحق في نصابه وازاحوا الباطل عن مقامه فهل يكون ذلك بالسكوت والقعود أم بالجهاد والقيام.

وانظر إلى قوله (عليه السلام): (عقلوا الدين عقل وعاية ورعاية) أي فهم وتطبيق على الواقع وبهذا امتازوا على غيرهم من المذاهب.

وقال كامل أهل البيت (عليهم السلام) عبد الله بن الحسن بن الحسن مخاطباً لأهل البيت في زمانه ما لفظه: (إنكم أهل البيت قد فضلكم الله بالرسالة واختاركم لها وأكثركم بركة يا ذرية محمد (صلى الله عليه وآله) أنتم بنو عمه وعترته وأولى الناس بالفرع في أمر الله من وضعه الله موضعكم من نبيه (صلى الله عليه وآله) وقد ترون كتاب الله معطلا وسنة نبيه متروكة والباطل حيا والحق ميتا قاتلوا لله في الطلب لرضاه بما هو أهله قبل أن ينزع منكم اسمكم وتهنوا عليه كما هانت عليه بنو إسرائيل وكانوا أحب خلقه إليه) إلخ انتهى ص ٢٢٤ من مقاتل الطالبين.

فذكر (عليه السلام) أن بني إسرائيل هانت بسبب تركها للجهاد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر كما قال أمير المؤمنين علي (عليه السلام) (فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَلْعَنِ الْقَرْنَ الْمَاضِيَ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ إِلَّا لِتَرْكِهِمُ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ فَلَعَنَ اللَّهُ السُّفَهَاءَ لِرُكُوبِ الْمَعَاصِي وَالْحُلَمَاءَ لِتَرْكِ التَّنَاهِي) انتهى.

فكذلك أهل البيت إذا فعلوا مثل فعلهم وحاشاهم.

وأيضاً لم تنج فرقة من فرق الأمم الماضية إلا فرقة واحدة من كل أمة وهي الفرقة القائمة بالأمر والنهي كما ذكرها الله في كتابه وكما أشار إلى ذلك الإمام زيد عليه السلام في كتاب الصفوة وقد قال عليه السلام مقسماً (والله ما يرضى الله من العارفين به أن يكفوا أيديهم وألسنتهم عن المفسدين في أرضه) انتهى

روى ذلك عنه الإمام المرشد بالله عليه السلام في الأمالي الأثنية ص ٥٨٢

وقد ذكر الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام وجوب الجهاد على المؤمنين للظالمين باليد واللسان وإن لم يستطيعوا فالواجب عليهم هو الهجرة من بلادهم ذكر ذلك في كتاب الهجرة وشدد في ذلك تشديداً بالغاً.

هذا ولم يركز القرآن العظيم على أمر من الأمور كتركيزه على الجهاد وما ذلك إلا لعظم شأنه في الإسلام لأن الله سبحانه وتعالى لا يعظم إلا ما كان عظيماً ولذا كان الإمام الهادي عليه السلام يتحسر على ما فاتته من الجهاد كما ذكر ذلك عنه الإمام مجد الدين عليه السلام في كتابه لوا مع الأنوار حيث قال عليه السلام (لولده الإمام المرتضى لدين الله، محمد بن الهادي عليه السلام: يا بني، هذا يوم ألقى الله فيه، ولقد رجوت أن يبلغني الله الأمل في جهاد الظالمين، ومنابذة الفاسقين؛ والله غالب على أمره) انتهى ص ٦٧٢ فانظر إلى كلامه هذا مع كثرة جهاده للظالمين كما هو معلوم.

وأيضاً فمذهبنا هو المشهور بوجوب الخروج على الظالمين كما قال الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة عليه السلام حيث قال ما لفظه (وكان زيد بن علي عليه السلام أول من سن الخروج على أئمة الجور، وجرد السيف بعد الدعاء إلى الله؛ فمن حذا حذوه من أهل البيت عليهم السلام، فهو زيدي، ومن تابعهم وصوبهم من الأمة فكذلك، ولم يتأخر عن زيد، إلا الروافض؛ فهم أهل هذا الاسم، والنواصب وهم سلف الفقيه، الذي يمشي في آثارهم، ويعشو إلى نارهم، فما ضروا غير أنفسهم) انتهى نقلاً من الجامعة المهمة ص ١١٩.

فكيف السكوت والمنكرات موجودة والحدود متروكة والسبل مقطوعة والصدقات ممنوعة وخيرات السماء بسبب الذنوب محبوسة والأوقاف منهوبة والمساكين والأيتام محرومة والمشاكل بين الأتباع متراكمة وعن الحلول متروكة وقلوبهم بالأحقاد مملوءة وفساد ذات البين بينهم بكثرة موجودة وأموال الضعفاء والغارمين مسروقة والمجانين من شدة الفقر كمية متنوعة وغير محدودة والشباب والشابات عن الزواج محرومة ومصالح المسلمين بسبب الاختلافات عالقمة ومشلولة والمعاصي لله بكثرة مفعولة فكيف السكوت مع ذلك.

قال الإمام الناصر الأطروش عليه السلام:

عجبت لمن كان النبي وصهره وفاطم آباء له وجدودا
يرى من خلاف الناس لله ما يرى فيغضي عليه أو يطيق قعودا

بل كيف السكوت والأعداء يعتدون علينا ويتهكون حرماننا يقتلون رجالنا ونسائنا وأطفالنا ويتهكون كل الحقوق لنا فكيف السكوت والصبر على ذلك والله يريد لنا العزة والكرامة لا الذلة والإهانة قال الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام في كتابه المجموع ص ٢٣٤ مالفظه: (وقال سبحانه فيما أذن به من قتل المعتدين باعتدائهم، وبسط أيدي المؤمنين للعدوان من سفك دمائهم، ﴿فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٤ - ١٩٥]. فأمرهم سبحانه للعدوان لا لغيره بقتالهم، ونهاهم عن أن يلحقوا بأيديهم إلى التهلكة باستسلامهم لهم، وأمرهم بالإنفاق في جهادهم، سبحانه والإحسان، وأخبرهم أنهم إن لم يفعلوا فقد ألقوا بأيديهم إلى التهلكة لأهل العدوان. وصدق الله العزيز الحكيم الأعلى، الذي لا يرضى لأوليائه أن يكونوا أذلاء، والذي لم يزل سبحانه يحوط العز لهم حوط العليم الخبير، وينصرهم عند القيام بأمره نصر العزيز القدير، وأي تهلكة أهلك لهم؟! من استسلامهم لمن يريد قتلهم (!! انتهى.

هذا مع أن الأعداء لا يفرقون بين الساكت القاعد ولا القائم المجاهد بل يعمون

الجميع ومن الذلة والهوان الإستسلام لهم فالأعداء أيها الإخوة (قَدْ اسْتَطَعُمُوكُمْ الْقِتَالَ فَأَقْرُوا عَلَى مَذَلَّةٍ وَتَأْخِيرٍ مَحَلَّةٍ أَوْ رَوُّوا السُّيُوفَ مِنَ الدِّمَاءِ تَرَوُّوا مِنَ الْمَاءِ فَاَلْمُوتُ فِي حَيَاتِكُمْ مَقْهُورِينَ وَ الْحَيَاةُ فِي مَوْتِكُمْ قَاهِرِينَ) هكذا قال أمير المؤمنين علي (عليه السلام) وقال (عليه السلام) (وَاللَّهِ إِنَّ أَمْرًا يُمَكِّنُ عَدُوَّهُ مِنْ نَفْسِهِ يَعْرِقُ لَحْمَهُ وَيَهْشِمُ عَظْمَهُ وَيَفْرِى جِلْدَهُ لِعَظِيمٍ عَجْزُهُ ضَعِيفٌ مَا ضُمَّتْ عَلَيْهِ جَوَانِحُ صَدْرِهِ أَنْتَ فَكُنْ ذَاكَ إِنْ شِئْتَ فَأَمَّا أَنَا فَوَاللَّهِ دُونَ أَنْ أُعْطِيَ ذَلِكَ ضَرْبٌ بِالمُشْرِفِيَّةِ تَطِيرُ مِنْهُ فَرَّاشُ هَامٍ وَتَطِيحُ السَّوَاعِدُ وَالْأَقْدَامُ وَيَفْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ ذَلِكَ مَا يَشَاءُ.) وقال (عليه السلام) (فَوَاللَّهِ مَا غَزِيَ قَوْمٌ قَطُّ فِي عُقْرِ دَارِهِمْ إِلَّا ذُلُّوا).

فنصيحتي لكل من يؤمن بالله ورسوله أن يتابع القائم من أهل البيت (عليه السلام) ويعاضده ويناصره.

وأن يعلم أن السكوت والترك غير مخلص له عند الله فقد ذكر الإمام زيد (عليه السلام) في رسالته إلى علماء الأمة أن ما يقع من ظلم على القائمين من أهل البيت من جهة الظالمين فإنهم مشاركون لهم في ذلك بسبب سكوتهم حيث قال (عليه السلام) (عباد الله إن الظالمين قد استحلوا دماءنا، وأخافونا في ديارنا، وقد اتخذوا خُدُلًا نكم حجة علينا فيما كرهوه من دعوتنا، وفيما سفهوه من حقنا، وفيما أنكروه من فضلنا عناداً لله، فأنتم شركاؤهم في دماننا، وأعوانهم في ظلمنا، فكلُّ مالٍ لله أنفقوه، وكل جمع جمعوه، وكل سيف شحذوه وكل عدل تركوه، وكل جور ركبوه، وكل ذمة لله تعالى أخفروها، وكل مسلم أذلوه، وكل كتاب نبذوه، وكل حكم لله تعالى عطلوه، وكل عهد لله نقضوه فأنتم المعينون لهم على ذلك بالسكوت عن نهيمهم عن السوء.

عباد الله إن الأحرار والرهبان من كل أمة مسؤولون عما استحفظوا عليه، فأعدُّوا جواباً لله عز وجل على سؤاله) انتهى ص ٣٠٧ من المجموع.

وقال الإمام الهادي عليه السلام (فكيف لا يكون من منع الجهاد وتعلل بالأموال والأولاد من أشر العباد عند ذي العزة والإياد، وقد هتك الدين، وباين رب العالمين، وشرك في دماء المسلمين، وقوى بذلك جميع الفاسقين، فكان بخذلانه للدين وقعوده عن المحقين شريكاً للكافرين، ومعاصداً للفاجرين، إذ كانت بخذلانه نيته وسطوته على المحقين بتخلف المتخلفين مظهرة، فكان محل الخاذل، بخذلانه وقعوده عن الله سبحانه، محل المحارب بمحاربتة، لا ينفك الخاذل للمؤمنين من المشاركة للفاسقين فيما نالوه من المتقين في حكم أحكم الحاكمين. فليثق الله ربه، وليقس بفترة^(١) شبره، وليترك عنه التعلات، وليحذر من الله النقمات؛ فقد وضح الحق لطالبه، واستنار الرشد لصاحبه، فلا عذر في تخلف المختلفين، ولا حجة في تأويل المتأولين، ولا بد من النصرة لرب العالمين، أو الكفر بما أنزل على خاتم النبيين، صلى الله عليه وعلى آله الطيبين وسلم) انتهى.

فليس للإنسان المؤمن مخرج عند الله إلا بالقيام وإذا كان بعض الناس يرى أن القائم الداعي من علماء الآل ليس كاملاً في شروط الإمامة التي يستوجب بها الطاعة فلا أقل من أن يكون محتسباً والمحتسب يجب القيام معه ومناصرته كما تقدم فاتقوا الله عباد الله واعلموا أنها ما عظمت المحنة على هذه الأمة في متابعة أهل البيت عليهم السلام إلا لما يعلمون بما في مذهبهم من وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومجاهدة الظالمين وإلا فأنهم لو كانوا مسلمين لتبعهم أكثر الخلق ولخفت البلوى على التابعين والمتبوعين ولكن تلك سنة الله في الأرض ولن تجد لسنة الله تبديلاً.

فلا تكونوا كأشيع أهل الكوفة الذين كانت قلوبهم مع أهل البيت وسيوفهم عليهم. وإذا كنتم تحزنون على مصارع أهل البيت كمقتل الإمام الحسين عليه السلام وغيره، فكونوا مع القائم من أهل البيت الذي هو ممثل للحسين في وقتنا الحاضر القائم مقامه الداعي لكم إلى ما فيه فلا حكم وصلاحكم في دنياكم وآخرتكم.

(١) الفترة: ما بين طرف السبابة والإبهام إذا فتحهما.

فلا تفرقوا بين الأولين منهم والآخرين ولا بين القاعدين والقائمين فإن القائم هو إمامكم الذي يجب عليكم اتباعه والقاعد هو إمامكم في الحلال والحرام فلا تفرقوا بين السابقين والمقتصدین بل يجب عليكم الإيمان بهم جميعاً لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون. وفقنا الله وإياكم إلى كل خير بحق محمد وآله.

فصل

في سياسة التفريق بين العترة

إن من يقرأ تاريخ أهل البيت عليهم السلام يجد أن سبب التفريق بينهم هو أن هناك في كل زمان قوماً من المتنسكين المتشيعين يدينون بوجوب اتباعهم وأنهم أهل الحق ويعترفون لهم بكل فضيلة ولكنهم منهمكون في شهوات الدنيا وملذاتها يتبعون من الدين ما يتناسب مع معيشتهم في الدنيا.

وينفرون عن مافيه مشقة على النفس كالجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهم كما قال أمير المؤمنين علي عليه السلام فيهم (لا يوجبون أمراً بمعروف ولا نهياً عن منكر إلا إذا درت معاشهم وأمنوا الضرر) إلخ وقد تقدم ذكره.

فإذا قام قائم أهل البيت تركوه واتجهوا إلى غيره من علماء أهل البيت القاعدين وعابوا القائم بعيوب لم تكن تذكر لو ترك الدعوة إلى القيام والجهاد كما عابوا المنصور بالله عبد الله بن حمزة عليه السلام بأنه قليل العلم لصغر سنه وكذلك غيره من الأئمة

قال الإمام المنصور بالله عليه السلام في شرح الرسالة الناصحة ص ٤٧٦ مبيناً شرح قوله (وطلبو لكل أمر علة) ما لفظه: (كما فعل كثير من أهل عصرنا هذا الذين أنكروا فضل العترة الطاهرة، وزعموا أنهم أولى بالحق منها حتى أن القائم إذا قام قالوا لا نتبعه لأنه لا يرى برأينا، وعكسوا في ذلك الواجب، إذ الواجب عليهم الرجوع إلى رأيه،

والإنقياد لأمره، وهذا كما ترى رأي الخوارج ؛ لأنهم قاموا على أمير المؤمنين عليه السلام ؛ لأنه لم يرجع إلى رأيهم، فعلة الخلاف في هذا قديمة، فالواجب على العاقل التيقظ وترك التقليد، والمناقشة والتفتيش عن أصول البدع لينجو بترك ما هلك به سواه، ويسعد بما شقي به غيره، فهذه التجارة المفيدة.

فأما الناجون في عصرنا هذا الذين لا يوجبون طاعة قائم، ولا يعدم فيهم له على إظهار كلمة الحق لائم، فهم فتنة كما حكى الله - تعالى عن أمثالهم بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَتَّهُمْ خُشْبٌ مُسْنَدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ [المنافقون: ٤] ، لا يوجبون أمراً بمعروف ولا نهياً عن منكر، إلا إذا درت معاشيهم، وسلموا في أمور دنياهم، فإننا لله وإنا إليه راجعون، ونعوذ بالله من سوء الاختيار، وعمل يوجب الخلود في النار) انتهى.

وكل ذلك منهم ليس لعداوتهم لأهل البيت وإنما هروباً عن الجهاد بين أيدي القائمين منهم وهذا هو ما يعبر عنه بالرفض في مذهب الزيدية كما ذكر السيد العلامة محمد بن عبد الله عوض حفظه الله في كتابه نظرات حيث قال (والروافض: هم الذين رفضوا الجهاد مع الأئمة العادلين من أهل البيت، كالذين رفضوا الجهاد مع الإمام زيد عليه السلام) انتهى.

وهذا هو مصداق ما رواه الإمام الهادي عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «سيكون من بعدي قوم يرفضون الجهاد مع الأخيار من أهل بيتي، ويقولون ليس عليهم أمر بمعروف، ولا نهى عن منكر، يقلدون دينهم، ويتبعون أهواءهم» انتهى.

فهذا هو سبب التفريق بين العترة الطاهرين ولكن الظالمين المتربصين بأهل البيت عليهم السلام يستغلون الفرصة إذا ما أحسوا بذلك لكي لا تقام دولة أهل البيت العادلة التي تمنعهم عن ظلمهم وفسادهم فيحاولون صد الناس عن اتباع القائم من أهل البيت بطريقة خفية لا يشعر بها الأتباع والأشياء وبسياسة غامضة لا يطلع عليها

الكثير من الناس كما ذكر السيد العلامة الحسين بن يحيى الحوثي عليه السلام في كتابه الجواب الراقي حيث قال مالفظه: (وللسياسة دور كبير في الوضع والتغيير والتحريف وعلماء السوء خدم الدولتين لتفريق صفوف الشيعة، ولينسحب الجمل الغفير إلى هذا المذهب السهل الذي يدعوهم إلى القعود والأمن والعافية، فإذا قام قائم أهل البيت يدعوهم إلى الجهاد تركوه وخذلوه لأن العافية، والأمن والحياة أسهل من الموت والخوف والبلاء: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَهَيَّ النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤١]). انتهى من الجواب الراقي ص ٣٥.

وهذه السياسة قد حدثت من قديم الزمان وأول حدوثها في وقت الإمام زيد عليه السلام كما ذكر ذلك السيد العلامة محمد بن عبد الله عوض حفظه الله في قصد السبيل حيث قال ص ١٩٢ مالفظه: (وأول ما حدث ذلك عند قيام الإمام زيد بن علي عليه السلام، فإن طائفة من الشيعة رفضت الجهاد مع زيد بن علي عليه السلام، معللين ذلك بأن الإمام هو جعفر بن محمد، لا زيد بن علي، فقال لهم زيد عليه السلام بعد نقاش وجدال: اذهبوا فأنتم الرافضة الذين قال جدي رسول الله: (سيأتي في آخر الزمان قوم.... الحديث).

فمنذ ذلك الحين انقسمت الشيعة إلى قسمين، زيدية وهم الذين شايعوا زيدا عليه السلام ونصروه، وغير زيدية، وهم الذين رفضوا نصرته، معتذرين بما تقدم.

أما قبل ذلك فكانت الشيعة أمة واحدة وحزبا واحداً، ولم تطل المدة بعد قيام الإمام زيد بن علي عليه السلام على قيام الدولة العباسية، وحينها حاولت الدولة العباسية دعم المذهب الإمامي والشد من أزره، من أجل مصالح ومنافع سياسية، يعود نفعها إلى الدولة العباسية، فقد أضعفت بذلك جانب أئمة الزيدية الذين اتبعوا زيدا في الخروج على الظلمة وإعلان الجهاد عليهم، وحولت الشيعة إلى جعفر الصادق وأولاده وروجت لإمامتهم في الناس.

فقد كان الخطيب يخطب في زمان المأمون في خطبة الجمعة بالصلاة على علي بن موسى بن جعفر وآبائه ثم يقول:

سنة آباءهم ماهم هم خير من يشرب صوب الغمام
فانجرفت الشيعة، إلى هذا المذهب السلمي، وصار له كيان كبير، وأتباع كثيرون، وعلماء وطلبة علم، وكل ذلك بسبب دعم سلطان دولة بني العباس). انتهى

قال الإمام المنصور بالله عليه السلام (وقد روينا قليلاً من كثير من أخبارهم عليهم السلام) ليستدل به العاقل على أن هذه الرافضة الداعية للتشيع، المفرقة بين الذرية الزكية لم تسلك مسلك أهل البيت، ولا دانت بدينهم، ولا دين من انتسبت إليه، ولا دين من رفضته، وأنها أضافت إلى الرفض النصب، فصارت رافضة ناصبة مخالفة لدين آل محمد صلوات الله عليهم فإنهم أئمة هداة، حُماة، رُعاة، محبتهم واحدة، وولايتهم واحدة، ودينهم واحد.

وإنما فعلت الرافضة ما فعلت خذلاناً للذرية الطاهرة، وتقوية للظلمة الفاجرة، وإن لم تقصد ذلك فقد كان تابعاً لاعتقادها من تصحيح إمامة القاعد، وبطلان إمامة القائم المجاهد، فعكسوا القضية، وفرّقوا بين الذرية، ونصروا الأموية والعباسية، نصره لا تقوم بها المشرفية^(١)، والسمهرية^(٢)، ولا تفضلها صدور الأعوجية^(٣)، فيا لها في الدين من رزية، وما أعظمها من بلية) انتهى.

(١) المشرفية: السيوف.

(٢) السمهرية: الرماح.

(٣) الأعوجية: الخيل منسوبة إلى فحل كان يقال له أعوج.

فصل

في حرمة التفريق بين العترة

قال النبي ﷺ: «لا يؤمن عبد حتى أكون أحب إليه من نفسه، وأهلي أحب إليه من أهله، وعترتي أحب إليه من عترته، وذاتي أحب إليه من ذاته» رواه الإمام الناصر للحق عليه السلام في البساط.

فالمحب الحقيقي لرسول الله ﷺ لا يفرق بين الأخيار من ذريته لأن الإنسان لا يحب التفريق بين أولاده الذين هم من صلبه بل يكره ذلك ويحاول أن يدفع كل ما يفرق بينهم من الأمور التي تثير العداوة والبغضاء بينهم ويفتدي ذلك بكل ما يمكنه. فإذا كان الإنسان محباً لرسول الله ﷺ فالواجب عليه أن لا يفرق بين أولاده بل يكره التفريق بينهم ويحاول دفعه بأعلى الأثمان.

هكذا شأن الرجل المؤمن المحب لرسول الله ﷺ وعترته تكون محبته لهم أعظم من محبته لأولاده وهذا هو الشيعي الحقيقي.

فأما المفرق بين الأخيار منهم فليس من المؤمنين كما هو مقتضى الحديث السابق.

قال ابن أبي يحيى الفقيه شيخ الإمام محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه في رسالته التي وجه بها إلى أبي محمد الحضرمي ما لفظه: (وأحبهم جميعاً حباً نافعاً، واجعل حبك إياهم حباً دائماً من غير تقصير ولا إفراط ولا احتراق ولا اختلاف. تجمعهم إذا تفرقوا ولا تفرق بينهم إذا اجتمعوا، ولا تصدق عليهم أهل الفرية من الرافضة والغلاة، فإنهم أهل العداوة للقائمين بالحق من عترة الرسول، وسوء النية فيهم، والجرأة على الله بالإفك والشنآن، وهم أهل الخلافة^(١) وقلة المهابة للعواقب) انتهى ص ٥١ من كتاب أخبار فخ.

(١) الخلافة: بكسر الخاء الخديعة.

فالشيعي الحقيقي هو الذي يتبع القائم منهم ويحترم القاعد

قال الإمام المرتضى عليه السلام في كتاب المجموع ص ٢١٢ مالفظة: (وأما ما سألتكم عنه من افتراق الشيعة، فلسنا ننسب من خالف ما ذكرنا وضاد ما شرحنا إلى تشيع ولا دين ولا معرفة بالله سبحانه ولا يقين، فمن كان على ما ذكرنا فاسم التشيع يلزمه وهو بحول الله ينتظمه).

وأما من سمي سوى هؤلاء بالتشيع وخالف ما ذكرنا فإنما هم الشنعة لا الشيعة مثل الروافض وفرقهم، فهم أعداء الدين والمشاقون لرب العالمين، ليس ينسب أولئك إلى محبة، ولا نعدهم في شيعة، إنما الشيعة من شايع في الدين وقال بالحق المبين وكان من أولياء رب العالمين فأعان على جهاد الظالمين، ونهض مع أهل الحق والمحقين، وكاشف الخونة الجائرين، وحرص في تغيير ما قد ظهر من البدع في دار محمد خاتم النبيين. فأما من ضرب لنفسه التعلات، وتبع الشهوات، وقال بالباطل والمحال، وصار بكلامه عند الله عز وجل إلى شر حال يضرب العلل والمحال، ويتبع الباطل والمنكرات، ويقول بالزور، ويفعل أسمع الأمور، ويطعن على الصالحين، ويخذل الأئمة المتقين، ويصدق الظالمين، موالي الخائنين، يقوي دعوتهم، ويثبت رأيهم، ويفرق الخلق من جهادهم، ويكيد القائم لحرهم فهو مجتهد في هلكته، منهمك في ضلالته لا يميز حقاً فيتبعه ولا يقصد صدقاً فيعلمه، قد شغلوا نفوسهم بالأقاويل الباطلة، والأحاديث الكاذبة، فهم في أعمالهم يعمهون وعن الحق يصدون، فهم في مذهبهم كما قال الله عز وجل: ﴿كَرَّمَادِ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾ [إبراهيم: ١٨]، فليس من كانت هذه صفته بمنسوب إلى محبة ولا مذكور في شيعة) انتهى.

وقال الإمام القاسم العياني عليه السلام: (أصل التأويل أول الخبال، والاختلاف في الأئمة أول الضلال، والاعتماد على غير الذرية أول الوبال، أصل العلم مع السؤال، وأصل الجهل مع الجدال، العالم في غير علمنا، كالجاهل لحقنا، الراغب في عدونا، كالزاهد فينا، المحسن إلى عدونا كالمسيء بنا، الشاكر لعدونا كالذام لنا، المتعرض لنحلتنا كالغازي علينا، معارضنا في التأويل كمعارض جدنا في التنزيل، الراعي لما لم يسترع كالمضيع لما

استرعي، القائم بما لم يستأمن عليه كالمتعدي فيما استحفظ، الخاذل لنا كالمعين علينا، المتخلف عن داعينا كالمجيب لعدونا، معارضنا في الحكم كالحاكم بغير الحق علينا، المفرق بين الأئمة الهادين كالمفرق بين النبيين، هنا أصل الفتنة يا جماعة الشيعة).

قال الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة عليه السلام معلقاً على كلامه ما لفظه (وأقول: صدق - صلوات الله عليه - إن أصل الفتنة التفريق بين العترة - عليهم السلام - كما حكيت لك عن بعض منكري فضل العترة، أنه قال: إنا نتبع من تقدم دون من تأخر فتاه في بحر الضلال، وسلك في مسالك الجهال، وكان بمنزلة المؤمنين ببعض الكتاب الكافرين ببعض، فلم يغن عنهم إيمانهم ببعض شيئاً ولم يخرجهم من زمرة الكافرين، كذلك الكلام فيمن رفض بعض العترة وأنكر حقها، فما قولك فيمن أنكر حقها، ورفض فضلها؟!، صفة هذا قد حاز الكفر بحذافيره، واحتمله من جميع جوانبه) انتهى من شرح الرسالة الناصحة. ص ٣٩٨.

فضل أهل اليمن

لقد سجل أهل اليمن تاريخهم بالمواقف العظيمة في نصره الإسلام منذ زمن النبي ﷺ وإلى يومنا هذا فلقد كانوا أنصار رسول الله ﷺ وأنصار وصيه وخليفته من بعده أمير المؤمنين علي عليه السلام وأنصار أئمة أهل بيت رسول الله على مر الليالي والأيام ولذلك مدحهم الله في كتابه العزيز وأثنى عليهم النبي الكريم صلى الله عليه واله الطاهرين وكذلك أهل بيته من بعده وما زالوا محبين ومناصرين لأهل البيت في كل زمان فقد انغرس في قلوبهم محبة أهل البيت حتى دب عليها الصغير وشاب عليها الكبير وورثوها وكابروا عن كابر فهم الذين امتثلوا للآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي روتها جميع الأمة في المودة والمحبة والطاعة والاتباع لأهل بيت النبي ﷺ فكانوا بسبب ذلك أفضل أهل الأرض ولذا قال فيهم النبي ﷺ: «الإيمان يمان والحكمة يمانية» فلم يصدر هذا الكلام من النبي ﷺ مجاملة أو محاباة لهم وحاشاه عن ذلك وإنما

هو إخبار بالواقع الذي كان والذي سيكون عليه أهل اليمن الى آخر الزمان وقال فيهم وصيه وخليفته من بعده أمير المؤمنين وسيد الوصيين علي بن أبي طالب عليه السلام قصيدته المشهورة التي قلدها القبائل اليمنية وسام الفخر إلى يوم القيامة منها قوله:

رجال يحبون النبي ورهطه	لهم سالف في الدهر غير أيام
همُ نصرونا والسيوف كأنها	حريق تُلظى في هشيم تُمام
لهمدان أخلاق ودين يزينها	وبأس إذا لوقوا وحد خصام
وجد وصدق في الحديث ونجدة	وعلم إذا قالوا وطيب كلام
فلو كنت بواباً على باب جنةٍ	لقلت لهمدان ادخلوا بسلام

ولا يتسع المجال لذكر فضائلهم في هذا المختصر وإنما أردنا التذكير لا التعريف وأن نذكر الجميع بأن أهل اليمن هم الذين يرتجى منهم نصره الإسلام والمسلمين على أعداء الدين من الكافرين وأوليائهم في هذا الزمان كما قد وردت في ذلك الآثار فلا تيأسوا أيها الإخوة عندما ترون من بعض الناس إظهار العداوة والبغضاء لأهل البيت فإنه لا زال أكثر اليمانيين يحبون النبي وأهل بيته وإن وجد بينهم النواصب فهم قليلون فإنه لا يخلو بيت من وجود حمّام فيه فإنه قد وجد مثل ذلك في أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة كما أخبر الله بذلك في قوله «فمنهم ظالم لنفسه» وكما هو مشاهد معلوم فكما أن وجود مثل أولئك لا ينقص من قدر أهل البيت ولا يقلل من فضلهم كذلك الحال في أهل اليمن وفي الأخير أدعو جميع أهل اليمن وغيرهم إلى الالتفاف حول العلماء الأخيار من آل الرسول صلوات الله عليهم ونصرتهم والجهاد بين أيديهم ليسجلوا تاريخهم من جديد وليحصلوا على العزة والكرامة من الله لهم في الدنيا والآخرة نسأل الله أن يوفقنا جميعاً لذلك بحوله وطوله.

وصلّى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين

خاتمة الكتاب

بسم الرحمن الرحيم

خاتمة الكتاب

وهذه خاتمة لكتابنا هذا قد تناولت أكثر المواضيع التي طرقتها فيه فهي تعد كمختصر له وقد جعلناها على شكل حوار بصيغة السؤال والجواب ليتبين الحق بأحسن الخطاب مع الإمام الأعظم والطود الأشم شيخ الإسلام وإمام أهل البيت الكرام المجدد للدين المحمدي مجد الدين بن محمد بن منصور المؤيدي رحمته الله وذلك لعلو شأنه وعظيم مقامه بين العترة الطاهرة وأتباعهم فهو كالشمس في ضحاها وكالقمر ليلة البدر فكلامه حجة على الجميع.

وقد بذلت الوسع في تحصيل الإجابة على السؤال من كلامه ومالم أظفر به من كلامه فقد جعلت الجواب من كلام أئمة العترة وعلمائهم وعلماء شيعتهم ممن ذكرهم رحمته الله في كتبه كما سترى أيها المطلع.

وإنما ساغ لي الإجابة من كلامهم لأن ذكره لكلامهم كالتقرير لما قالوه إذ هو قد يكتفي في أكثر المواضيع بذكر كلامهم كما يعرفه المطلع على كتبه.

وإنما قلت بأنه كالتقرير لما عرفته عنه من أنه لا يقر أي كلام لا يراه صحيحاً بل يجيب على ما يراه خطأ سواء كان من كلام العترة وأتباعهم أم من كلام غيرهم خصوصاً ما كان من كلام العترة وأتباعهم وهذا معروف لكل من اطلع على مؤلفاته وقد رتب هذه الخاتمة على حسب ترتيب الكتاب مبتدأً بأول فصل من القسم الثاني

فأقول مستعيناً بمن ملكه لا يزول:

فصل في الإمامة وضرورتها ووجوب القيام بها

س : سيدي بين لنا وجوب الإمامة وضرورتها ؟

ج : يحيب عليه السلام في كتابه مجمع الفوائد ص ٢٣٥ بما لفظه (والأدلة على وجوب الإمامة كثيرة شهيرة، فإن الإمامة ثانية النبوة في الوجه الذي وجبت له كما قال نجم آل الرسول القاسم بن إبراهيم عليه السلام : إن أ فرض الفرائض وأؤكد لها فرضاً الإمامة، لأن جميع الفرائض لا تقوم إلا بها.. الخ كلامه ومن المعلوم أنه لا يستقيم حفظ معالم الإسلام ودفع المظالم بين الأنعام إلا بالإمام، والعقل يؤيد دليل الشرع على وجوبها، فإن بتركها يختل النظام ويفسد أمر الخاص والعامة، ولهذا لم يسمع إهمال الرئيس في أمة من الأمم ولا طائفة من الطوائف من جميع العرب والعجم. وقد أجمعت الأمة على ذلك بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وفي كل عصر فإنهم يفتزعون إلى إقامة الإمام ولا يكون لهم عقيب وفاته هم إلا إقامة آخر إلا لما منع من تغلب الظالمين ومنع الجبارين علم ذلك قطعاً من حالهم، وأن فعلهم ذلك على طريقة اعتقاد الوجوب، وأدلة الإجماع معلومة مقررة مرسومة لا يحتاج إلى إيرادها هنا).

فصل في الغرض من القيام بالإمامة

س : سيدي هل يجب على أهل البيت القيام بجهاد الظالمين ؟

ج : يحيب عليه السلام في كتابه مجمع الفوائد ص ٣٨٥ بكلام شيخه السيد العلامة الحسن بن الحسين الحوثي عليه السلام وهو ما لفظه (وهم مجمعون على وجوب الجهاد مع الإمكان بوجود الناصر والخروج على الظلمة... إلخ) انتهى.

س : سيدي ما هو الغرض من القيام بالجهاد؟

ج : يحيب عليه السلام في كتابه لوا مع الأنوار بكلام الإمام زيد عليه السلام حيث قال ما لفظه (قال إمام الأئمة، وفتح باب الجنة، الإمام زيد بن علي عليه السلام. وقد كسّل عليه بعض من

عنده :. إنما أريد إقامة الحجة على هذه الأمة، ولو يوماً واحداً؛ لثلا يقولوا يوم القيامة: لم يأتنا أحد منهم).

س: سيدي إذا كان الغرض من القيام هو الإعذار والإنذار وإقامة الحجة على العباد فهل قمتم أنتم بذلك ؟

ج : لم أجد له جواباً عن هذا السؤال ولكني أروي ذلك عن عدة من مشايخنا وعلمائنا أنه قام ودعا الناس إلى الجهاد أيام ثورة ٢٦ سبتمبر ثم تحاذل الناس عنه فترك ذلك الأمر ورأى أنه لا بد من إرشاد الناس وتوعيتهم حتى يعرفوا الدين الصحيح فرجع إلى التدريس للعلم الشريف وإلى التأليف في جميع فنون العلم فنصر دين العترة الطاهرة بالمؤلفات العظيمة التي نعش بها دين الحق والمحقين من عترة خاتم المرسلين فهو سلام الله عليه معذور كعذر جده الإمام الحسن بن علي عليه السلام وقد أشار مؤلف سيرته السيد العلامة الحسن بن محمد الفيثي حفظه الله إلى ما ذكرنا في سيرة الإمام مجد الدين عليه السلام التي في آخر كتاب التحف حيث قال مالفظة (نعم وفي شهر ربيع الآخر من سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة وألف لما قامت الثورة الجمهورية وتلاطمت أمواج الفتن على ربوع اليمن كان المؤلف حفظه الله المثل الأعلى في هداية الخلق إلى طريق الحق باذلاً نفسه ونفيسه في نصرة الكتاب والسنة والدعاية إلى الخير ولما له من المكانة في قلوب المسلمين كان لذلك الأثر البالغ في حقن الدماء وتسكين الدهماء وصيانة المقدسات وحفظ الحرمات ولكنها لما تشعبت الأمور وتغلبت الأهواء عاد بكل هممة وعناية إلى تدريس العلم وإحياء معالم الدين ونشر مؤلفات علماء الإسلام إلخ... انتهى (ص ٤٧٧).

وقد كان عليه السلام في خلال ذلك منتظراً للفرج كما ذكر ذلك في كتابه مجمع الفوائد ص ١٧١ حيث قال ما لفظه (فصبرنا منتظرين لفرج الله على عباده وانتظار الفرج عبادة، وهذا كإيضاح للعذر الموجب للسكوت جواباً لما أشرت إليه من أن الحجة

علينا قائمة لإبلاغ ما أمر الله بإبلاغه).

س : سيدي أنتم كما ذكرنا لم تتهياً لكم الظروف بالقيام بالأمر كما تريدون فهل يسركم أن يأتي بعدكم من العلماء من يدعو إلى هذا الأمر ؟

ج : يجيب عليه في كتابه التحف بكلام كامل أهل البيت عليه السلام وهو ما لفظه (وفيه) يعني في مقاتل الطالبين) بسند صحيح عن يحيى بن عبدالله بن الحسن، قال: لما حبس أبي عبدالله بن الحسن وأهل بيته جاء محمد بن عبدالله إلى أمي، فقال: يا أم يحيى ادخلي على أبي السجن، وقولي له: يقول لك محمد بأنه يقتل رجل من آل محمد خير من أن يقتل بضعة عشر رجلاً، قالت: فأتيته، فدخلت عليه السجن، فإذا هو متكئ على برذعة في رجله سلسلة، قالت: فجزعت من ذلك، فقال: مهلاً يا أم يحيى فلا تجزعي فما بت ليلة مثلها، قالت: فأبلغته قول محمد، قالت: فاستوى جالساً، ثم قال: حفظ الله محمداً، لا ولكن قولي له: فليأخذ في الأرض مذهباً فوالله ما نحتج عند الله غداً إلا أنا خلفنا وفينا من يطلب هذا الأمر) ص ٨٨.

الاحتساب

س : سيدي الاحتساب مشروع في مذهب أهل البيت اذكر لنا مثلاً على ذلك؟

ج : يجيب عليه في كتابه التحف ص ٢١٧ بقوله (الأمير حمزة بن أبي هاشم وهو الأمير الشهيد، قام محتسباً، وشهد بفضله الموالف والمخالف، قتل في بعض حروبه لبني الصليحي، وقد كان انهزم عنه جنوده، وثبت عنده تسعون شيخاً من همدان، وكان يقاتل عليه، ويقول:

أطعن طعنائراً غباره طعن غلام بعدت أنصاره

وانترحت عن قومه دياره).

(فصل في القيام بالإمامة هل فرض عين أم فرض كفاية)

س : سيدي من هو الذي يجب عليه القيام بالإمامة من أهل البيت عليه السلام ؟
ج : يحيب عليه السلام في كتابه الجوابات المهمة ص ٣٥ في سياق كلام له عن ذلك (ووجب على العارف من نفسه الأهلية ووجود الناصر القيام) انتهى أقول وكلامه عليه السلام واضح في كونها فرض كفاية.

(فصل في من تجب طاعته من أهل البيت عليه السلام)

س : سيدي من هو الذي تجب طاعته من أهل البيت عليه السلام ؟
ج : يحيب عليه السلام في كتابه لوا مع الأنوار ص ٦٤٠ بما ذكره المنصور بالله عن الإمام زيد عليه السلام حيث قال مالفظه (وبسنده عليه السلام (أي المنصور بالله عبد الله بن حمزة) عن الإمام الأعظم زيد بن علي عليه السلام، أنه قال: الأئمة المفترضة طاعتهم منا، علي بن أبي طالب، والحسن والحسين عليه السلام، والقائم بالسيف يدعو إلى كتاب ربه، وسنة نبيه عليه السلام قال الإمام عليه السلام: فهذا أيها الفقيه هو الذي ذكرنا لك أنا سميّا زيدية؛ لاتباعنا زيد بن علي في القيام بالسيف على أئمة الضلال، وحزب الشيطان). انتهى.

(فصل في الطريق إلى الإمامة)

س : سيدي ما هو الطريق الصحيح إلى الإمامة ؟
ج : يحيب عليه السلام في كتابه الجوابات المهمة ص ٥٥ بما لفظه: (الجواب وبالله التوفيق أن الطريق الصحيح الشرعي لثبوت الإمامة إنما هو النص أو الدعوة ممن كملت فيه شروط الإمامة بإجماع أهل البيت عليه السلام على ذلك وما سوى هذين لم يثبت دليل شرعي على صحته).

(بيان معنى الدعوة)

س : سيدي إلى ماذا كانت دعوة أئمة أهل البيت عليهم السلام ؟

ج : يجيب عليه السلام في كتابه التحف ص ٢٢٠ قائلاً مالفظه (هذا، ولم يكن الخلاف بينهم إلا أن أئمة العترة عليهم السلام دعوا إلى التوحيد والعدل، وإقامة الكتاب والسنة، وإصلاح العباد والبلاد، والمعارضون لهم دعوا إلى الإلحاد، وإفساد البلاد والعباد).

(فصل في أن خذلان الناس لا يبطل إمامة القائم)

س : سيدي هل تبطل إمامة الإمام بتركه للجهاد بسبب خذلان الناس له ؟

ج : يجيب عليه السلام في حاشيته على كتاب التحف في سيرة الإمام أحمد بن عيسى عليه السلام ص ١٣٩ حيث قال ما لفظه (لا يشكل ذكر الإمام أحمد بن عيسى وغيره من الأئمة الذين لم يتمكنوا من شهر السيف؛ إذ ليس المقصود في كلام من اشترطه من الأئمة إلا الدعوة والجهاد عند التمكن لا خصوص شهر السيف، فإنها هو كناية عن الدعوة والجهاد عند التمكن، ومرادهم بذلك الرد على من يدعي الإمامة لمن لم يصدر منه دعوة ولا جهاد، وقد اتفقت الزيدية على إمامة الإمام القاسم بن إبراهيم وغيره ممن لم يتمكنوا من الجهاد، والله الموفق).

ويقول عليه السلام في كتابه التحف ص ٣٦١ مالفظه (واعلم أنها قد تكون للأئمة فترات في بعض الأزمنة لا يستقيم فيها الجهاد فيحملهم على إغمد سيوفهم ما حمل الرسل صلوات الله عليهم على ذلك، وقد ترى تشيئاً على بعض الأئمة الهداة بهذا ممن لا حظ له في الجهاد ولا الإمامة، ولا ما يراد بها، وما الوجه الذي وجبت له، وإنما هو كلام يسمعه من الناس، وأئمة أهل البيت أعرف بما جعله الله إليه، ولم يبرحوا في غمرات الحروب يباشرون بأنفسهم مدلهمات الكروب، كما قال قائلهم:

ونحن بنو بنت النبي محمد ونحن بأطراف الأسنة أدرب

(الإمامة لا تحتاج إلى العقد والاختيار)

س : سيدي هل تحتاج الإمامة إلى العقد والاختيار وغير ذلك سوى الدعوة ؟
ج : يجيب عليه السلام في سياق كلام له نحو ذلك بما لفظه: (ولم يقل سبحانه إنه اختاره أحد من الناس أو عقد له أهل الشورى أو انتخبه الشعب أو رضيه الجمهور أو الأغلب إلخ...) انتهى ص ٦١ من الجوابات المهمة.

(فصل في عدم ثبوت الإمامة بالوصية)

س : سيدي هل تعتبر الوصية طريقاً إلى الإمامة ؟
ج : يجيب عليه السلام قائلاً (وأما ولاية العهد فلم يثبت عليها دليل شرعي ولم يظهر للإجتهد فيها أصل تنبني عليه وما كان كذلك فهو غير صحيح إلخ...) من الجوابات المهمة ص ٥٦ أقول وولاية العهد هي الوصية وإن اختلف اللفظ فالمعنى متحد

س : سيدي ما حكم وصية الإمام لشخص من بعده بالقيام ؟
ج : يجيب عليه السلام ص ٥٦ من الجوابات المهمة قائلاً (ولا مانع من أن يشير الإمام بمن يراه صالحاً للقيام بعده مع إبلاغ الجهد وإخلاص النصيحة لله وللمسلمين من غير أن يكون ملزماً ببيعة ولا غيرها).

س : سيدي بماذا أوصيتنا ؟
ج : يجيب عليه السلام في كتابه عيون المختار ص ٧٣ في معرض كلامه عن الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة عليه السلام بما لفظه (ومن وصاياه لأولاده عليه السلام - وإني أوصي أولادي وأقاربي وإخواني بهذه الوصايا القيمة الحكيمة؛ ومن لم يستطع الكل فالبعض؛ فما لا يدرك كله لا يترك كله:

أرى العلم لا يأتي بعيداً مناله على غير رب العزة المتعالي
ومنها في مخاطبة ابنه محمد الناصر الذي قام بالاحتساب بعده:
فياليت شعري يا محمد ما الذي تكون إذا نادى الكمي نزال
ومنها:

أتقصف صدر الرمح غير مكذب وتقصف حد السيف غير مبالٍ
وتلقى الكمي ضاحكاً متبسماً كأنك تلقاه لغير قتالٍ
إلى قوله:

وهل تلقينَّ الركب والليل مظلم يبشر ورحب واليوت خوالي
ومنها:

وهل تعرفنَّ للجار حق جواره تباري عليه جاهداً وتوالي
ومنها:

وهل تدفعنَّ الخصم منك بحجة ميسنة غراء ذات كمالٍ
حتى قال:

وهل تقصد البيت العتيق بضمر عجافٍ كأمثال القسي عجال
فيغشاك أفواج الحجيج جميعهم لردسؤال أو لفيض نوال
فإن يك ظني صادق وهو صادق حذوت إلى طرق الرشاد مثالي

والثانية إلى ولده أحمد، وأمه فاطمة بنت يحيى من أبناء الهادي (عليه السلام)، وقد عمل
ببعض النصائح وأعرض عن بعض:

ألا ليت شعري يا أحمد وللقول ناقدته ينقد
أتصبح كالبيت للزائرين وكالبدر حفت به الأسعد

وكالليث يزأر في الدارين	ونار الحروب بهم تُوقد
وكالبحر تطفو قواكيره	ويدفعها اللّجب المزبد
وتُعرف بالعلم والصالحات	ويحمدك الوفد إن أوفدوا
وتحمي حماك وتُعلي علاك	ويزهوبك الدست والمسجد
وتعتقب الخيل عند الصباح	وقد صرع الأصيد الأصيد

ومنها:

وتلوي جياذك خلف الجياد	وقد ضاق بالشارد المشرّد
وتحلم حين يطيش الحليم	وتصدر قومك إن أوردوا
ويأتيك للعلم مسترشد	ويأتيك للمال مسترفد
فتبني أخوا العلم بالغامضا	ت حتى يعود بها يُرشد
وتعطي أخوا المال مايتغي	من المال فهو غداً ينفد
وتحمي على الظالمين الجهاد	بضرب يشيب له الأمد
وتخفض للصالحين الجناح	وإن لامك الناس أو أحمدا
وتغلظ ركناً على الفاسقين	وإن شايعوك وإن أسعدوا

ومنها:

ودين جدودك دين الإله	وغيرهم جاحد ملحد
وجدك يحى سليل الحسين	وهادي الأنام فلم يهتدوا
وحمة جدك من جانب	فهذا الهلال وذا الفرقد
فما عذر مثلك إن لم يكن	كآبائك الشم إن عددوا

ومنها:

أقيموا للهدى سُوقاً فإننا هَدينَاكم لَذاك كَمَا هَدينَا
وقوموا للعلوم فأحرزوها لتحققبوا بهادنياً ودينَا
وكن عند النداء سيفاً خفيفاً وعند جلادها طوداً رزينا

ومنها:

وكن للطالب الهيجا حريقاً وللباغي النداء غيشاً هتونا
ووال الصالحين وعاد من لا يراقب أمر رب العالمينا
ولا تجزع وإن طمّت خطوبٌ تبدل شدة الفتيان لينا
وإن رام العدو إليك قرباً فخل وراءه شوطاً بطينا

إلى قوله:

ونحن حماة سرح الدين ممن نواه من سباع الملحدينا
سنوصي من نَمينَاهُ بهذا كما أوصى بذلك أولونا
نعادي من تنكب عن هداانا وإن وافى بزي الناسكين
كما فعل الوصي غداة لاقى بصفينِ جموع القاسطين

إلى قوله:

والعلم فاحرز منه أنواعه فالجهل محظور علينا حرام

ومنها:

وإن نازعتك ولالة الضلال فخذهم بأقدامهم والنواص

إلى آخر ما ذكر وهي كثيرة وإنما اخترت هذا القدر منها وهي وصايا عظيمة يوصينا فيها بالعلم والجهاد ومكارم الأخلاق ومنابهة أهل الغي والفساد بالمشرفة والجياد وذلك ينافي ما يقال عنه بأنه أوصى بأن تكون الدعوة دعوة إرشاد خالية عن الأمر

والنهي بين العباد بعيدة عن أكبر الفرائض وهو الجهاد وكيف يصح ذلك عنه وهو المجدد لمذهب إمام الجهاد والاجتهاد وكلامه هنا وفي سائر مؤلفاته يقضي على تلك الدعوى بالفساد.

وأقول بأنه يمكن الجمع بين الوصيتين وذلك بأن نقول بأنه عليه السلام نظر إلى اعتبار المصلحة للدين فالإرشاد منفرداً هو الأصلح عند شوكة الظالمين وضعف المؤمنين كتلك الأيام والإرشاد مع الأمر والنهي والجهاد عند عكس ذلك كهذه الأيام كما هو المعبر عند الشارع الحكيم في تدرج الأوامر والنواهي على حسب المصالح وهذا هو أحسن ما يقال في الجمع بين ذلك والله الموفق.

(فصل في الكرامات)

قد قدمنا كلامه عليه السلام في فصل الكرامات.

(فصل في الإصطفاء)

س : سيدي من هو المصطفى في كل عصر من أهل البيت ؟

ج : يجيب عليه السلام بكلام جده الهادي عليه السلام وهو قوله (فمن ثبت الله فيه الإمامة واختاره واصطفاه ، وبين فيه صفات الإمام ، فهو الإمام عندهم ، مستوجب للإمامة ، لقول النبي ﷺ : «من أمر بالمعروف ، ونهى عن المنكر من ذريتي ، فهو خليفة الله في أرضه ، وخليفة كتابه ، وخليفة رسوله» انتهى ص ٦٣ من كتاب التحف.

(بطلان إمامة القاعد)

س : سيدي هل الإمامة للقائم من أهل البيت أم للقاعد ؟

ج : يجيب عليه في كتابه التحف ص ٧٣ بكلام الإمام زيد عليه السلام وهو ما لفظه (إن الإمام منا أهل البيت المفروض علينا وعليكم وعلى المسلمين من شهر سيفه ودعا إلى كتاب ربه وسنة نبيه وجرى على أحكامه وعرف بذلك، فذلك الإمام الذي لا تسعنا وإياكم جهالته فأما عبد جالس في بيته، مرخ عليه ستره، مغلق عليه بابه تجري عليه أحكام الظالمين لا يأمر بمعروف ولا ينهى عن منكر؛ فأنى يكون ذلك إماماً مفروضاً طاعته).

(القسم الثالث)

(فصل في أنه لا تعارض بين العلم والجهاد)

س : سيدي كيف كان حال أئمة أهل البيت في العلم والجهاد ؟

ج : يجيب عليه في كتابه التحف ص ١٤٨ قائلاً ما لفظه (واعلم أنه كان أعظم احتفال الأئمة القدماء صلوات الله عليهم ببيان علم التوحيد والعدل، وفرائض الله التي ضلت فيها غواة الأمم، ولم ينبج من الغرق إلا من بحبلهم اعتصم، ولدينهم التزم، فإنهم حجج الله على خلقه، والدعاة إلى دينه، وما زالوا يقارعون على دين الله الذي أتى به جدهم النبي المنذر، وتلاه في القيام به وتبليغه أبوهم الوصي الهادي، مؤسس قواعد الإسلام، الضارب عليه بذى الفقار هام المشركين، ومردة الطغام، حتى أقام عمود الإسلام بذلك العضب الحسام، صلى الله عليهما وعلى عترتهما الأطائب الأعلام، فهم من باب المدينة يغترفون، ولذلك الأثر يقتفون).

(لا تعارض بين الأمر والنهي وبين الإرشاد)

س : سيدي كيف حال الزيدية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؟

ج : يجيب عليه قائلاً (والذي تميزوا به حق التميز هو العمل حقيقة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والخروج على الظلمة وغيرهم لا يقولون بذلك) انتهى من الاختيارات المؤيدية) ص ٢٩٧.

(فصل في شوق أهل البيت للجهاد)

س : سيدي كيف كان حال أهل البيت في شوقهم لجهاد أعداء الله ؟

ج : يجيب عليه قائلاً:

خاضوا المنيات في مرضات خالقهم وحكموا السيف في هام وأعناق
فكم أطارت سيوف الآل من قلل وكم دم في سبيل الله مهراق
فقل من مات حتف الأنف ذادعة بل فوق متن جواد تحت خفاق
حتى استقامت لدين الله أعمدة وأصبح الحق في نور وإشراق

انتهى ص ٣٩ من ديوان الحكمة والإيمان.

س : سيدي هل كنتم تشتاقون إلى ما اشتاق إليه أولئك العظماء ؟

ج : يجيب عليه قائلاً (والله أسأل أن يعيدنا من مضلات الفتن، ما ظهر منها وما بطن، وأن يثبتنا على دينه القويم، وصراطه المستقيم، ويوفقنا لنصرته بنصرة كتابه وسنة نبيه - ﷺ - والذب عن حوزة الدين، والدفاع عن المؤمنين والمستضعفين، وأن يحقق لنا النصر الموعود به في الذكر المبين، كما قال عز وجل: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ

الْأَشْهَادُ﴾ [غافر: ٥١]، وأن يختتم لنا بالشهادة، والفوز بالحسنى وزيادة، وأن يُلحقنا بأسلافنا الطاهرين، الصابرين الصادقين، مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين؛ اللهم إليك رفعت الأبصار، وبسطت الأيدي، وتحوكم إليك في الأعمال، اللهم افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين؛ نشكوا إليك غيبة نبينا، وكثرة عدوِّنا، وقلة عددنا، وتظاهر الفتن، وشدة الزمن؛ اللهم فأغننا بفتح تعجله، ونصر تعزِّبه وليك، وسلطان حق تظهره، إله الحق آمين) انتهى.

ومما يدل على اشتياقه لحالهم ما ذكره عن جده الإمام عز الدين (عليه السلام) حيث قال في سياق قصيدة طويلة مالفظة:

ألم تعلمي أني امرء ليس همتي	سوى نشر دين المصطفى الطهر أحمد
أبيت أدير الفكر في طلب العلى	وأى امرء من هم ذاك مُسَهَّد
إذا ما أراد الغزو لم يثن عزمه	حصان عليها عقد در وعسجد
وليس بنظار إلى عدل عاذل	ولا حائر من أمره متردد
وقد علم الرحمن جل جلاله	مرامي وما أسرره من حسن مقصد
أردت انتشار الحق في كل بلدة	على رغم أنف من عنيد ومعتد
وقطع معاذير الأنام وقولهم	امام بعيد كيف طاعة مبعد
ولم أقصد الدنيا ولا نيل ملكها	ولا جمع مال من طريف ومتلد

وساق في ذلك إلى أن قال :

فما همنا إلا نكاية ظالم	ونصرة مظلوم وإعطاء مجتد
ونشر علوم يهتدي كل سائل	بها في ظلام المشكلات ويرتدي

إلى قوله :

وكن لي مجيراً في المعاد ونجني	ولا تخزني يا من يعيد ويتدي
-------------------------------	----------------------------

وصير مصيري في الجنان مخلداً بها ومقيماً في النعيم المخلد
 وصحبي وأشياعي ومن كان حافظاً لعهدي وودي من قريب وأبعدي
 وخص بفضل وافر كل سائل معي حاضر ذي همة متجرد
 أفاضل عندي لازمون تديناً ولم يرغبوا عني بهم شرف الندي
 وآخر دعوانا أن الحمد والثنا لرب السماء من يحمده الله يُحمده
 ويقول المفتقر إلى الله سبحانه وتعالى مجد الدين بن محمد بن منصور المؤيدي:
 أرباه أرجو ما رجاه إمامنا فحقق إلهي ما رجونا وسدد
 انتهى من عيون المختار ص ١٠٧

أقول وذلك دليل على أن الإمام مجد الدين عليه السلام كان حاله كحالهم إلا أن الظروف لم تسمح له مثل بعض الأئمة من قبله ولذا قال عليه السلام:

قد مضت وانقضت ثمانون عاماً وأنا فت عامين طرفة عين
 لم أحقق ما كنت أرجوه فيها من جهاد ونشر علم ودين
 رب فاغفر وارحم وأيّد وسدد واعف والطف رباه في الدارين
 انتهى ص ٢١٥ من عيون المختار.

(فصل في الابتلاء بالجهاد)

س : سيدي الجهاد هو من جملة الأشياء التي تجب على الناس بين يدي أئمة أهل البيت وقد وردت نصوص كثيرة توجب الطاعة لهم فيماذا قضت تلك الأدلة؟

ج : يجب عليه السلام في سياق كلام له في كتابه مجمع الفوائد ص ٢٣٠ بالفظه: (فإنها قضت بالاستخلاف فيكونون قائمين مقام من استخلفهم في كل ماله إلا ما خصه الدليل، وبوجوب التمسك بهم في كل شيء ومن جملته الإمامة وكون الراكب لغير

سفيتهم هالكاً في كل شيء، وهي تفيد الاقتداء والإمامة قطعاً، بل هي معظم ذلك وعليها أساس أركان الدين وبها تتم مصالح الإسلام والمسلمين.

والنصوص كثيرة تبلغ حد التواتر معنى نحو: «قدموهم ولا تقدموا عليهم»، «وإن عند كل بدعة تكون من بعدي يكاد بها الإسلام ولياً من أهل بيتي يعلن الحق وينوره ويرد كيد الكائدين فاعتبروا يا أولي الأبصار وتوكلوا على الله»، «وأهل بيتي أمان لأهل الأرض..»، «ومن سمع واعيتنا أهل البيت» «ومن أمر بالمعروف ونهى عن المنكر من ذريتي فهو خليفة الله وخليفة رسوله وخليفة كتابه» الخبر الذي احتج به إمام الأئمة وهادي الأمة يحيى بن الحسين عليه السلام. وقوله عليه السلام: «من سره أن يحيا حياتي ويموت ميتتي ويدخل جنة عدن التي وعدني ربي فليتول علي بن أبي طالب وذريته (عليهم أفضل الصلاة والسلام) الطاهرين أئمة الهدى ومصابيح الدجا من بعدي فإنهم لم يخرجوكم من باب الهدى إلى باب الضلالة» هذا من رواية آل محمد صلوات الله عليهم، ومن رواية العامة ما أخرجه الأسيوطي في الجامع الكبير، وروى أبو نعيم في الحلية، والرافعي عن ابن عباس: «من سره أن يحيا حياتي ويموت مماتي ويسكن جنة عدن التي غرسها ربي فليتول علياً وليتول وليه وليقتد بأهل بيتي من بعدي فإنهم عترتي خلقوا من طيبي ورزقوا فهمي وويل للمكذبين بفضلهم من أمتي، القاطعين فيهم صلتي لا أنا لهم الله شفاعتي»، ونحو: خبر التجديد والضارب بسيفه أمام ذريتي وغير ذلك جم غفير وجمع كثير، والوامض اليسير يدل على النو المطير) انتهى

ويقول عليه السلام في ص ١٣٠ مالفظه (واعلم أن من أعظم ماكلف الله به الخلق ودعاهم به إلى سبيل نجاتهم، ودلهم على نهج سلامتهم إخلاص الطاعة لأهل بيت رسوله وإصداق الولاية لورثته وعترته في محكم قوله حتى قرنهم بكتابه وجعلهم من كل الوري أدري به المطهرين عن الرجس المشهود لعصمتهم وحجيتهم بآية التطهير والمودة وأخبار الكساء وأحاديث التمسك وخبري السفينة وغيرها مما طفحت به الأسفار ووضحت به الحجة لذوي الأبصار، فلا حاجة بنا هنا إلى سرد الدلائل القطعية

والحجج المنيرة الجليلة من الكتاب العزيز والسنة النبوية على وجوب التمسك بآل محمد صلوات الله عليه وآله، والكون معهم ومودتهم وتقديمهم على الكافة، وأنه لا يفضلهم أحد من الخلائق غيره ﷺ، وأنهم ورثة الكتاب وحجج الله على ذوي الألباب، ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ [الفصل: ٦٨] وكونهم عترة الرسول خلقوا من لحمه ودمه، وأوتوا علمه وفهمه، والمدعو لهم بجعل العلم والحكمة في زرعه وزرع زرعه، وعقبه وعقب عقبه، فلانجاة إلا بتسليم الأمر لله والنزول عند حكمه: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

(فصل في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)

س : سيدي هل يجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؟

ج : يحيب ﷺ بكلام جده الإمام عز الدين بن الحسن ﷺ في كتابه لوامع الأنوار وهو مالفظه (ونظرنا إلى أن الأمر بالمعروف الأكبر، والنهي عن الفحشاء والمنكر، معلومان بالوجوب بالضرورة من الدين، وأن الظنون لا تعارض اليقين؛ قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، وقال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [النحل: ١٢٥]؛ وقال رسول الله ﷺ - «والذي نفسي بيده، لتأمرن بالمعروف، ولتنهين عن المنكر، أو ليوشكن الله يبعث عليكم عقاباً، تدعون فلا يستجيب لكم».

... إلى قوله: وعنه ﷺ أنه قعد على المنبر، وقال: «أيها الناس، إن الله يقول لكم: امروا بالمعروف، وانهاؤا عن المنكر، قبل أن تدعوني فلا أجيب لكم، وتسألوني فلا أعطيكم، وتستنصروني فلا أنصركم» فما زاد عليهن حتى نزل وقال: «ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا، ويأمر بالمعروف وينه عن المنكر».

...إلى قوله: وطمعنا في نيل ثواب الله الجزيل، ورضوانه الأكبر الجليل، بالتأهل لإرشاد عباده، إلى مطابقة مراده، ودعائهم إلى طاعته، والسيره فيهم بمقتضى شريعته، نظراً إلى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا لِمَنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣]، وقوله ﷺ: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل... الخبر» وقوله - ﷺ - : «إن المقسطين عند الله على منابر من نور، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا»، وقوله - ﷺ - : «يوم من عادل خير من عبادة ستين سنة، وحدّ يقيم في الأرض بحقه أزكى فيها من مطر أربعين صباحاً»، وقوله ﷺ: «عدل ساعة خير من عبادة ستين سنة، قيام ليلها وصيام نهارها»، وقوله ﷺ: «أفضل الناس منزلة عند الله تعالى يوم القيامة إمام عادل».

إلى.. آخرها.

وفيهما من معين العلوم، ما يشفي أدواء الكلوم.

وإنما اخترت إيراد هذا القدر منها؛ لما فيه من بيان محل الإمامة عند الإمام ﷺ، وأنها ثمانية النبوة، ومنوط بها من الدين أحكام الإسلام) انتهى ص ٢٧٩.

(فصل في وجوب الجهاد)

س : سيدي هل يجب الجهاد مع القائم من أهل البيت عليه السلام؟

ج : يحيب ﷺ بكلام جده الإمام عز الدين بن الحسن عليه السلام وهو قوله:

أَمَافَرَضَ الْجِهَادُ أَجَلَ فَرَضٍ وَأَوْجِبَ مِنْ صَلَاتِكَ وَالصَّيَامِ
وَأَفْضَلَ كُلِّ بَرٍّ وَهُوَ قَطْعاً لِأَنْوَاعِ الْفَضَائِلِ كَالسَّنَامِ
وَكُلِّ مُقَرَّطٍ فِيهِ سَيِّضَجِي غَرِيقاً خَائِضاً بِحَرِّ الْأَثَامِ

ومنها:

وكفر بالجهاد ذنوب دهر مضى لك منذ وقت الاحتلام
انتهى من عيون المختار ص ٩٩.

(فصل في فوائد الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)

س : سيدي ماهي فوائد الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؟

ج : يحيب عليه السلام في سيرة الإمام شرف الدين عليه السلام ص ٣١٢ من كتاب التحف
بمالفظه (و جهاده و جهاد الأئمة المطهرين الأثر الأكبر في تثبيت قواعد الدين والخلافة
النبوية في اليمن بعد أن كادت تقضي عليها أيدي الغزاة الطامعين).

ويقول في سيرة الإمام المهدي أحمد بن الحسن بن القاسم عليه السلام ص ٣٣٥ مالفظه:
(هؤلاء الأئمة المتتابعون بعضهم إلى بعض، الذين من الله بهم على الإسلام، وأشاد
بمساعيهم الحميدة ما اندرس من الأحكام، وجاهدوا في الله حق جهاده، وحكموا
بالعدل في بلاده وعباده، صلوات الله وسلامه عليهم).

(فصل في الذم والوعيد لمن تخلف عن أئمة أهل البيت عليهم السلام)

س : سيدي قال النبي صلى الله عليه وآله لتأمرن بالمعروف ولتنهين عن المنكر أو ليسلطن الله
عليكم سلطاناً جائراً... إلخ فما معنى التسليط هنا ؟

ج : يحيب عليه السلام قائلاً التسليط هنا بمعنى التخلية فالله يدافع عن الذين آمنوا ولكنه
يخلي بينهم وبين الظلمة إذا تركوا أمره) انتهى من حاشية الموعظة الحسنة ص ٣٩.

س : سيدي قد ورد الذم للتارك للجهاد مع الأئمة الدعاة من أهل البيت فاذا ذكر لنا

حديثاً حول ذلك ؟

ج : يحيب عليه السلام في كتابه لوا مع الأنوار بقول النبي ﷺ : «سيكون من بعدي قوم يرفضون الجهاد مع الأخيار من أهل بيتي، ويقولون ليس عليهم أمر بمعروف، ولا نهي عن منكر، يقلدون دينهم، ويتبعون أهواءهم» انتهى.

س : سيدي مارأيكم في من تخلف عن الأئمة الداعين من أهل البيت وفارقهم؟

ج : يحيب عليه السلام في كتابه التحف ص ١٣١ قائلاً (ولم يفارق آل رسول الله إلا شذاذ المردة، وطواغيت النفاق، وليسوا من أهل دين محمد على الحقيقة، وإنما يتحلون الإسلام للتغريب والتلبيس على أتباعهم العوام، وكيف يكون على دين الرسول من فارق عترته وورثته؟!)

فهل المتخلفون عنهم إلا سامرية أمة جدهم صلوات الله وسلامه عليه وآله؟ وقد أخرج الله الجزاء للعباد إلى يوم المعاد لمؤاخذتهم بأعمالهم بعد الاستحقاق، وإطلاقهم من هذه الدار، وتمكينهم من الاختيار، فنسأل الله التوفيق والاستقامة).

(فصل في وجوب تسليم الحقوق الواجبة إلى الإمام وإن لم تنفذ أوامره)

س : سيدي هل يجب تسليم الحقوق الواجبة إلى الإمام وإن لم تنفذ أوامره؟

ج : يحيب عليه السلام بكلام الإمام المتوكل على الله المحسن بن أحمد في كتابه التحف ص ٣٦٢ حيث يقول مالفظه (ومن رسائل الإمام المتوكل على الله رسالة في وجوب تسليم الحقوق إلى الإمام وأن ولايتها إلى الأئمة حيث تنفذ أوامره وحيث لا تنفذ قال فيها ولأن القول بعدم ولايتها إلى الإمام لعدم نفوذ الأوامر يؤدي إلى بطلان الإمامة ونكسها على الهامة ويلزم التمانع والدور ألا ترى أن الإمام في أول أوامره ومبتدأ أحواله وقيامه إذا كان لا يجب تأدية حق من حقوق الله إليه إلا بالقهر والإجبار، ولا يمكن

من القهر والإجبار إلا بتأدية حقوق الله إليه. إلى أن قال: فهذا دليل عقلي واضح جلي، وفيها: المراد بنفوذ الأوامر نفوذ الدعوة وبلوغها، بنحو الرسل والرسائل، كما نقله عن الأئمة السيد العلامة الشرفي في كتابه المسمى ضياء ذوي الأبصار، ثم ساق فيها كلاماً شافياً وبرهاناً كافياً انتهى.

(حكم وجوب الجهاد)

س : سيدي ما حكم وجوب الجهاد مع القائمين من العترة؟

ج : يجب عليه بكلام الإمام إدريس بن عبد الله عليه السلام ص ١٤١ من التحف (فهذا عهد الله إليكم، وميثاقه عليكم، بالتعاون على البر والتقوى، ولا تعانوا على الإثم والعدوان، فرضاً من الله واجباً، وحكماً لازماً).

(فصل في قلة الأنصار)

س : سيدي هل ترك أهل البيت القيام لقلة الأنصار؟

ج : يجب عليه في كتابه لواضع الأنوار بكلام المنصور بالله في سياق ذكره لأهل البيت وهو قوله (ولقرابتهم هذه القرية، ودعواهم هذه الظاهرة، لم يترك قائمهم القيام على قلة الأعوان، وغدر الزمان إلى قوله عليه السلام: فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله، بل خاضوا بحار السيوف قدماً، حتى ماتوا كرماء، فأَي خِمْ^(١) أشرف من خِمْهم؟ وأي عزائم أمضى من عزائمهم؟) انتهى ص ٦٤٣

ويقول عليه السلام في كتابه مجمع الفوائد ص ١٦٤ في معرض ذكره لأهل البيت عليه السلام

(١) الخيم بكسر الخاء وإسكان الياء: الخلق وحسنه.

ما لفظه (فترى أهل بيت النبوة صبروا على ما صبروا عليه ومضوا إلى الله قدماً قدماً لا تأخذهم في الله لومة لائم، فتلاهم أولياء الله الذين جاهدوا في سبيله وبذلوا أنفسهم ونفيسهم بين يدي أبناء رسوله لم يشنهم سطوة ظالم ولا بطشة غاشم فهم الذين أنزلهم الله أدنى المنازل منهم قرباً حتى لو ضربوا بالسيوف لم يزدادوا لهم إلا حباً، فالله نسأل بحق جلاله أن يجعل أفضل صلاته وأجل بركاته على محمد وآله وأن يوفقنا وإخواننا المؤمنين إلى سلوك منهاجهم ولزوم أدراجهم، وأن ينجينا معارج الهوى ومحاج الردى، فكم عاثر عليها مقيم ﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الملك: ٢٢]) انتهى.

س : سيدي كيف ترون استشهاد الإمام الحسين بن علي عليه السلام ؟

ج : يحيب عليه السلام في كتابه الجوابات المهمة ص ٤٩ بلفظه (وكان في جهاده واستشهاده النصر العظيم والفتح المبين الذي قضى على الدولة الأموية وزلزل سلطان الظلم وهدم أركانه وثل عروش الطغيان فكان قدوة للثائرين على الجور والفساد إلى يوم القيامة فأى إعزاز للدين وإصلاح للإسلام والمسلمين أجل وأفضل من ذلك صلوات الله وسلامه وإكرامه على روحه الطاهرة وعلى أرواح الشهداء الأبرار من أهل بيته وأوليائهم الأطهار).

(مناسبة الدعوة لجهاد أمريكا وإسرائيل)

س : سيدي إن أئمة أهل البيت قد جاهدوا الكافرين والفاسقين وإن كان الأغلب مجاهدة الجبابرة الظالمين من المسلمين فهل هناك مثال لجهاد الكافرين ؟

ج : يحيب عليه السلام في كتابه التحف ص ٢٢٥ في ذكر سيرة الإمام أبي طالب الأخير عليه السلام قائلاً (ولم يزل مشغلاً بحرب الملاحة، وغزا في البر والبحر، ورجفت منه قلوب الظالمين، وهابته في جميع الأقطار) انتهى.

أقول وكما ذكرنا في ما تقدم في كتابنا هذا إن أئمة أهل البيت قد كانوا يتصدون للدول المهيمنة على المسلمين مثل الدولة الأموية والعباسية والدولة العثمانية وغيرهم وفي عصرنا هذا قد أصبحت الدولة المهيمنة هي أمريكا فالتصدي لها هي وأولياؤها هو الأقدم.

وقد أصبح المسلمون بين موال لها ومعادٍ وقد أصبح الموالون لها كالحجر العائرة أمام المسلمين مدافعين عن اليهود بأموالهم وأنفسهم فحكمهم عند الله كحكمهم كما قال تعالى ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١] فجهاد أولئك الكفار ومن تولاهاهم أولى من الإقتتال بين المسلمين لا شك في ذلك ولا إشكال

(فصل في أسباب النصر البسيطة)

س : سيدي قد كان للنبي وللأئمة من آله في جهادهم لأعداء الدين الألفاظ الكثيرة والأسباب البسيطة التي يجعلها الله لهم في النصر على الأعداء فاذكر لنا بعضاً من ذلك؟

ج : يحيب عليه السلام في كتابه التحف ص ١٨٦ في سيرة الإمام الناصر الأطروش عليه السلام بما لفظه (ومن كراماته عليه السلام :

أنه قصده بعض الأعداء وهو منفرد وليس عنده سلاح فتناول من صخرة عظيمة فألأنها له، وموضع يده الشريفة هنالك يتبرك بأثره).

ويقول في سيرة الإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان عليه السلام ص ٢٣١ ما لفظه (ومن ملاحمه العظام التي هدَّ بها أركان الملحددين الطغام، وقعة في اليمن انجلت عن خمسمائة قتيل، وخمسمائة أسير، وكانت خيله في هذه الوقعة ألفاً وثمان مائة فرس، وقد كان أشرف أصحابه على الهلاك، فمد الإمام يده إلى السماء، وقال: اللهم إنه لم يبق إلا نصرك، فأرسل الله عليهم ريحاً عاصفاً، فاستقبلت وجوه القوم، فحمل الإمام وحمل أصحابه، وانهزم أعداؤه).

(فصل في فضل الجهاد والشهادة)

س : سيدي قد ذكر أئمة أهل البيت الفضل العظيم في الجهاد والشهادة في سبيل الله رب العالمين فاذا ذكر لنا بعضاً من ذلك ؟

ج : يحيب عليه السلام بكلام الإمام يحيى بن زيد عليه السلام في كتابه التحف ص ٧٧ وهو مالفظه (يا عباد الله، إن الأجل محضرة الموت، وإن الموت طالب حثيث، لا يفوته هارب، ولا يعجزه مقيم، فأقدموا رحمكم الله إلى عدوكم، والحقوا بسلفكم، الجنة... أقدموا ولا تنكلوا، فإنه لا شرف أشرف من الشهادة).

(القسم الرابع)

(فصل في اختلاف أهل البيت)

س : سيدي هل هناك اختلاف بين أهل البيت في مسائل الأصول ؟

ج : يحيب عليه السلام في الجوابات المهمة ص ١٠ في سياق كلام له بمالفظه (ولا فرق بينهم ولا اختلاف عندهم في نظام الحكم ولا في مسألة من مسائل أصول الدين).

ويقول في ص ١٤ (هذا وليس بين الزيدية كلهم قاسمية وهادوية وناصرية ومؤيدية خلاف في الأصول الدينية التي هي عمدة الإسلام وأساس الدين الحنيف).

س : سيدي هل يختلفون في مسائل الفروع ؟

ج : يحيب عليه السلام ص ١٥ من الجوابات المهمة بمالفظه: (وأما المسائل الفرعية الإجتهدية فلكل إمام أنظاره واجتهاداته يوافقه فيها من أراد موافقته وكلهم نجوم هدى وأعلام اقتداء).

من تلق منهم تقل لا قيت سيدهم مثل النجوم التي يسري بها الساري

فمهما كان المتابع مقتدياً بآثارهم مهتدياً بأنوارهم فقد اعتصم بالعروة الوثقى).
ويقول عليه السلام في كتابه مجمع الفوائد ص ١٧٢ في كلامه حول الاختلاف في المسائل الفرعية (ولا يثير الاستنكار حولها إلا من يسعى لبذر الفرقة بين الأمة المحمدية).

(فصلٌ في تفصيل الاختلاف)

س : سيدي قد ذكرنا في كتابنا هذا أنه يجب القيام مع القائم من أهل البيت والإحترام للقاعد فهاهو الشاهد لنا على هذا من كلام أهل البيت عليهم السلام ؟
ج : يجيب عليه السلام في كتابه لوا مع الأنوار بكلام الحسن بن يحيى بن الحسين بن زيد عليه السلام وهو مالفظه: (وسئل الحسن عن خروج زيد بن علي عليه السلام، وعود جعفر عليه السلام . فقال: خروج زيد . صلى الله عليه . طاعة، وعود جعفر عليه السلام . طاعة، وليس للناس أن يحكموا عليهما) انتهى . ص ٧٥٧ .

(فصلٌ فيما يجب على المسلمين خصوصاً أهل الحل والعقد)

س : سيدي هل يجب على العلماء أهل الحل والعقد شيء في باب الإمامة والزعامة ؟
ج : يجيب عليه السلام في كتابه الجوابات المهمة ص ٣٤ مشيراً إلى ما يجب عليهم بقوله (فمتى انتهت إمامة إمام بموت أو نحوه وجب على ذوي العقد والحل من الأمة أن ينظروا من يصلح للقيام لقوله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤] ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [آل عمران: ١١٠] .

(فصل في وجوب التحكيم عند الاختلاف)

س : سيدي ما هو الواجب إذا حصل اختلاف بين أهل البيت في الإمامة ؟

ج : يحيب عليه السلام في كتابه الجوابات المهمة في ضمن جوابه على سؤال وجه اليه قائلاً ما لفظه (الجواب والله الهادي، أن الذي ينظم طريقة انتقال الإمامة عندهم من شخص إلى آخر هو اقتفاء التنظيم الشرعي المستمد من الكتاب والسنة ، ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون ، فمتى انتهت إمامة إمام بموت أو نحوه وجب على ذوي العقد والحل من الأمة أن ينظروا من يصلح للقيام لقوله تعالى ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤] ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [آل عمران: ١١٠] ووجب على العارف من نفسه الأهلية ووجود الناصر القيام ، فإن تم إجماع من يعتد به من الأمة على إمام ثبتت إمامته ووجبت طاعته ما أطاع الله تعالى وحرمت مخالفته فيما أمره إليه لقول الله عز وجل ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩] ولقوله تعالى ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ﴾ [النساء: ١١٥] والأدلة على ذلك مقررة لا موجب للبسط فيها ، وإن لم يتم إجماع ووقع اختلاف وجب تحكيم الكتاب والسنة كما قال عز وجل ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ١٠] ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩] والرد إلى الله سبحانه هو الرد إلى كتابه والرد إلى رسول الله ﷺ هو الرد إلى سنته وهذا هو أقرب شيء لردع الاختلاف والفوضى والتردي في إثارة الفتن وسفك الدماء... الخ) انتهى ص ٣٤.

(فصل في بيان الحاكم)

س : سيدي إلى من يحتكم المختلفون ؟

ج : يجيب عليه بما ذكره القاضي عبد الله بن علي الغالي رضي الله عنه في رسالته الحاكمة حيث قال مالفته: (طلبناهم الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ لدى حكم مرضي).

س : سيدي كيف حال من يرفض المحاكمة ؟

ج : يجيب عليه بكلام القاضي الغالي بقوله بعد الكلام السابق (فإن قبلوا ذلك ورحبوا به ففي كتاب الله وسنة رسوله شفاء كل داء ونجاة من كل فتنة عمياء، وأنه إن قبله أحدهما وأبى الآخر واختار البقاء على هواه واعتقاده فقد خرج من الإخوة في الله، وبطلت حجته، وكان هو المخطئ) انتهى ص ٢٣٩ من كتاب مجمع الفوائد.

(فصل في توضيح الشروط المعتبرة في الإمام)

س : ماهي الشروط المعتبرة في إمامة الإمام لديكم ؟

ج : يجيب عليه بما ذكره جده الهادي عليه السلام في كتاب التحف شرح الزلف ص ١٧٧ حيث قال مالفته: (بوادة الرسول ﷺ، وبمعرفتهم بذي الجلال والإكرام، والورع الذي جعله الله قواماً للإسلام، وبالمعرفة بالحلل عند الله والحرام، وبما يحتاج إليه في الدين جميع الأنام).

حتى قال: وبكشف الرؤوس، وتجريد السيوف، ورفع الرايات لله تعالى وفي الله عز وجل، والمنازمة لأعداء الله، وبإظهار الدعاء إلى الله.

إلى أن قال: وإحياء الكتاب والسنة، وإقامة الحق والعدل في الرعية، والإطلاع على غامض كتاب الله ووحيه، الذي لا يطلع عليه إلا من قلده الله السياسة، وحكم له بالإمامة.. إلى تمام كلامه).

(فصل في بعض الإشكالات وحلها)

س : سيدي هل تشترطون أن يكون الإمام أعلم الناس في عصره ؟

ج : لم أجد له جواباً صريحاً حول هذا ولكن الذي يقضي به كلامه هو عدم اشتراط ذلك لانه يقول بجواز إمامة المفضول إذا كان أصلح مهما كان كاملاً في الشروط المعتمدة كما سيأتي في فصل الترجيح وذلك دليل ظاهر على عدم اشتراطه ومما يدل على عدم اشتراط أعلمية الإمام عنده عليه السلام هو عده لبعض الأئمة الذين لم يكونوا على تلك الصفة قطعاً حتى ممن عاصروه وهذا واضح

(فصل في الإمامة لمن قام ودعا من ذرية السبطين)

س : سيدي من هو الإمام من ذرية الحسن والحسين عليهما السلام ؟

ج : يحيب عليه السلام في كتابه الجامعة المهمة ص ١٢١ بكلام الإمام المنصور بالله عليه السلام (وأن الإمامة بعدهما فيمن قام ودعا من أولادهما، وسار بسيرتهما، واحتذا حذوهما، كزيد بن علي، ومن حذا حذوه من العترة الطاهرة . سلام الله عليهم).

س : سيدي هل من مذهب الزيدية الانتظار للمهدي ؟

ج : يحيب عليه السلام قائلاً (وأما الإمامية فعندهم أنه يجب الانتظار إلى قيام المهدي) انتهى ص ٢٩٩ من الاختيارات المؤيدة.

س : سيدي كيف كان موقف أهل البيت أمام القائم منهم ؟

ج : يحيب عليه السلام في كتابه مجمع الفوائد ص ٢٣٣ في سياق الجواب على الإمامية القائلين بإمامة القاعد بما لفظه (فالمعلوم أنهم كانوا يطبقون على إمامة القائم منهم من أي البطين كان ولم يخالف مخالف في إمامة الإمام الأعظم زيد بن علي وولده يحيى عليه السلام والنفس

الزكية محمد بن عبد الله وإخوته الأئمة عليهم السلام، بل بايع الصادق جعفر بن محمد محمد بن عبد الله عليهم السلام وأخرج معه ولديه موسى الكاظم وعبد الله عليهم السلام وهما من الاثني عشر، وبايع موسى الكاظم الإمام الحسين بن علي صاحب فخ عليه السلام، وذلك معلوم من أحوالهم ضرورة لمن عرف سيرهم وأخبارهم) انتهى.

(فصل في الترجيح)

س : سيدي هل تصح إمامة المفضول مع وجود الأفضل ؟

ج : يحيب عليه السلام في كتابه الجوابات المهمة ص ٢١ قائلاً (الجواب وبالله التوفيق أنها تصح عند الأكثر إمامة المفضول مع العذر المانع من قيام الأفضل قال الإمام المهدي أحمد بن يحيى عليه السلام في القلائد ويجب كونه أفضل الأمة أو كالأفضل إلا لعذر كأن يكون الأفضل به آفة... إلخ ثم قال إذا كان غير الأفضل أصلح جاز إذ الأصلحية لا يعارضها معارض لأنها المقصود من الإمامة انتهى

ولأن الأصلح يصير أفضل في ذلك المعنى المقصود فلا خلاف في الحقيقة والقول بذلك قوي ولم يظهر مانع وقد جرى العمل عليه في أيام كثير من أئمة الهدى لكن يشترط أن يكون المفضول كاملاً في الشروط التي اعتبرها الشرع في صحة الإمامة) انتهى.

س : سيدي قد ذكرنا في كتابنا هذا أن الترجيح بين المتعارضين واجب على العلماء أهل الحل والعقد فاذكر لنا من تاريخ أهل البيت مثلاً على ذلك ؟

ج : يحيب عليه السلام في كتابه التحف ص ٣٠٤ قائلاً (قلت: ورجح العلماء دعوة الإمام عز الدين عليه السلام، والتزموا إمامته، والشاهد يرى ما لا يرى الغائب) انتهى.

س : سيدي قد ذكر أئمتنا أن الإمامة للأسبق دعوة من المتعارضين الكاملين في الشروط المعبرة فما رأيكم في ذلك ؟

ج : يجيب عليه في سيرة الإمام الناصر علي بن صلاح بن إبراهيم بن تاج الدين عليه السلام ص ٢٧٣ في كتاب التحف بما لفظه (قال السيد الهادي بن إبراهيم في كاشفة الغمة: قال الإمام الناصر صلاح بن علي بن محمد: وكان الواجب عليهم اختباره لأنه الأسبق بالدعوة، وكلامه داع إلى الصواب، سألِكَ منهج السنة والكتاب) انتهى.

س : سيدي كيف حال العلماء الأخيار مع القائم من أهل البيت ؟

ج : يجيب عليه في كتاب التحف في سيرة الإمام محمد بن القاسم الحوثي عليه السلام ص ٣٦٨ بما لفظه (و حال هذا السيد الإمام وأمثاله من علماء أهل البيت وشيعتهم الكرام في قيامهم بأمر إمامة الإمام المجدد للدين أمير المؤمنين المهدي لدين الله رب العالمين محمد بن القاسم الحوثي قدس الله أرواحهم في عليين، ودعائهم إليه وإقبالهم عليه، وثبات عزائمهم عند اضطراب الفتن وموجان المحن، يحاكي أحوال أنصار الدين في أيام الأئمة السابقين القائمين بما افترض الله عليهم من إجابة داعي الله، وإقامة حجة الله، والجهاد في سبيل الله، والمصابرة على ما نالهم في ذات الله، وبهم انتشر العلم وظهر نوره، وتجلت في سماء العرفان شمسوه وبدوره).

(فصل في شرعية الثورات على الظالمين)

س : سيدي لم ثار أئمة أهل البيت على ملوك بني أمية ؟

ج : يجيب عليه في معرض كلام له عن قيامهم ضد خلف معاوية بالفظه (وقد ثار أهل البيت على خلفه لظلمهم المسلمين وتعطيلهم أحكام الكتاب والسنة استجابة لأمثال قوله عز وجل: ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [آل عمران: ١٠٤]. في آيات كثيرة وسنن منيرة ولم يقم قائم ولا ثار ثائر من أهل البيت عليه السلام على أي حاكم تظهر منه العدالة في أمور المسلمين والتاريخ شاهد بذلك إلخ...) انتهى ص ٣٣ من الجوابات المهمة.

س : سيدي الخروج على الظالمين وجهادهم هو منهج الإمام زيد بن علي عليه السلام أفليس الداعي إلى ذلك النهج من علماء الآل سالكاً سبيله ومقتنياً أثره؟

ج : يجيب عليه السلام في كتابه لوامع الأنوار بكلام المنصور بالله عليه السلام وهو قوله: (وكان زيد بن علي عليه السلام أول من سن الخروج على أئمة الجور، وجرّد السيف بعد الدعاء إلى الله؛ فمن هذا حذوه من أهل البيت عليهم السلام، فهو زيدي، ومن تابعهم وصوبهم من الأمة فكذلك، ولم يتأخر عن زيد، إلا الروافض؛ فهم أهل هذا الاسم، والنواصب وهم سلف الفقيه، الذي يمشي في آثارهم، ويعشو إلى نارهم، فما ضروا غير أنفسهم) انتهى. ص ٦٣٠.

ويقول عليه السلام في كتابه المنهج الأقوم :

وإنما الزيدي من قال بالـ	— توحيد والعدل لقيامه
مقدما مولى الورى حيدراً	بسخط من يأبى يارغامه
موافقاً زيدا إمام الهدى	مجدد الدين وأحكامه
يرى جهاد الظالم المعتدي	حقاً ولا يرضى بآثامه

(فصل في السياسة الصحيحة والباطلة)

س : سيدي كيف صفات أئمة العترة ؟

ج : يجيب عليه السلام في كتابه التحف ص ٣٨٧ قائلاً : قال عز من قائل: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوْا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤١]، وقال تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [الحج: ٧٨].

وقال الرسول ﷺ: «من سره أن يحيا حياتي، ويموت ميتتي، ويدخل الجنة التي وعدني ربي، فليتلو علي بن أبي طالب وذريته الطاهرين أئمة الهدى، ومصابيح الدجا من بعدي، فإنهم لن يخرجوكم من باب الهدى إلى باب الضلالة» رواه عبدالله بن العباس رضي الله عنهما، فهذه صفاتهم).

س : سيدي عرف لنا الزيدية وكيف حالها في الجهاد مع أئمة أهل البيت ؟

ج : يحيب عليه السلام قائلاً مالفظة: (الزيدية من أعظم فرق الإسلام لا يخفى محلها ولا يجهل مكانها عند أهل الاطلاع من علماء الأنام عمدتها في الدين الكتاب والسنة وإقامة أركان الإسلام والدعاء إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد للظالمين ومنازمة المعتدين وهذا أعظم مميزاتها أعني الخروج على أئمة الظلم والفساد فهي مختصة بذلك إلى (قوله) ولم تزل تجاهد بين يدي أئمة الحق وقادة الخلق ودعاة الخير من أهل بيت الرسول الأمين صلى الله عليه وعلى أهل بيته الطاهرين من أيام إمامها الإمام الأعظم الإمام الولي بن الولي زيد بن علي سيد العابدين بن الحسين السبط ريجانة رسول ﷺ وسيد شباب أهل الجنة بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قد ملأت أسمع أهل الدنيا بجهادها للظالمين المتغلبين الجائرين من الأموية والعباسية وغيرهم الخ انتهى) ص ٢٩٣ من الإختيارات المؤيدية

س : سيدي لم سميت الزيدية زيدية ؟

ج : يحيب عليه السلام ص ١٠ من الجوابات المهمة قائلاً: (لموافقتهم لإمام الأئمة زيد بن علي عليه السلام في التوحيد والعدل والإمامة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والخروج على أئمة الجور والظلم).

س : سيدي لماذا اختار أهل البيت الإنتساب إلى الإمام الأعظم ؟

ج : يحيب عليه السلام قائلاً: (وإنما اختار أهل البيت واتباعهم رضي الله عنهم الإنتساب

إليه لفتح باب الجهاد في سبيل الله تعالى وإحياء دينه وتجديد شرعه وقد كانت اشتدت الفتنة وعظمت المحنة واستحكمت الظلمة وتراكت الغمة على هذه الأمة بعد استشهاد سيد شباب أهل الجنة سبط رسول الله ﷺ وريحانته الحسين بن علي ﷺ وظهرت البدع والفتن وانطمست الأعلام والسنن فلما أبان الحجة وأوضح المحجة إمام الأئمة زيد بن علي ﷺ جعلوه علما بينهم وبين الأمة ليعلموهم ما يدعونهم إليه من أول وهلة إلخ...) انتهى ص ١٢ من الجوابات المهمة.

س : سيدي ما رأيكم في السياسة التي تدعو إلى القعود والسكوت ؟

ج : يحيب ﷺ بكلام جده الإمام الحسن بن علي ﷺ وهو قوله مخاطباً لأصحابه (وإنكم قد دعيتم إلى أمر ليس فيه رضى ولا نصفة، فإن كنتم تريدون الله واليوم الآخر حاكمناهم إلى طِبَاتِ السيوف، وأطراف الرماح، وإن كنتم تريدون الدنيا أخذنا لكم العافية) انتهى ص ٥٥ من كتاب التحف.

أقول فقد بين ﷺ أن المسألة للظالمين ليس فيها لله رضى وليس فيها عدل وإنصاف.

س : سيدي هل يقوم مذهب أهل البيت بالسكوت والمسألة للظالمين ؟

ج : يحيب ﷺ في كتابه لوامع الأنوار بكلام السيد صارم الدين الوزير ﷺ وهو قوله: (وبالجملة، فما قام لأهل البيت إمام، ولا استقر لمذهبهم نظام، إلا بالسيف المسلول، والقتال لفريق النصب المخدول، بعد إبطال شبههم المضمحلة، والاستظهار عليهم بظواهر الحجج وقواطع الأدلة) انتهى. ص ٣٢٢.

س : سيدي هل من العز العيش بين الذلة تحت رحمة الظالمين ؟

ج : يحيب ﷺ بكلام جده الهادي ﷺ :

فما العز إلا الصبر في حومة الوغا إذا برقت فيها السيوف اللوامعُ
ومن لم يزل يحمي ويَنقُم ثاره ومن هو في الحالات يقظان هاجعُ

يقلب بطن الرأي فيه لظهره
ونحن بقايا المرهفات وسورها
يموت الفتى منا بكل مهند
فتلك منايانا وإننا لمعشر
وساق في ذلك إلى أن قال :

بني عمنا الدنيا تدور بأهلها
فلا تياسوا من لعل أمورنا
فللدهر حالات يقلب أهلها
وليس أخو الأيام إلا مناظراً
فمن كان في شيء تنظر ضده
عليكم سلام الله ما ذر شارق
وأيامها عوج هديتم رواجع
سيتبعها دهر موات متابع
فيخفض متبوعا ويرفع تابع
عواقبها لا أعوج الرأي جازع
وللشيء أسباب إليه تسارع
وماسجعت فوق الغصون السواجع
انتهى من عيون المختار ص ٣٩.

(فصل في سياسة التفريق)

س : سيدي هل لسياسة الظالمين دور في خذلان أهل الحق من عترة خاتم المرسلين ؟
ج : يجيب عليه السلام في كتابه لوا مع الأنوار بكلام السيد صارم الدين عليه السلام وهو قوله
(ولا شك أن للدول تأثيراً عظيماً، وضرراً ونفعاً جسيماً، في طي المذاهب ونشرها،
وخذلان أربابها ونصرها؛ وهذا أمر معلوم بالوجدان، لكل إنسان، جار في الألسنة
مسموع في الآذان، مدرك بالعيان) انتهى ٣٢٢.

س : سيدي ماهو السبب الذي جعل الظالمين ينفرون الناس عن أهل البيت عليه السلام ؟
ج : يجيب عليه السلام قائلا ما لفظه (لمكان اختصاصهم بالجهاد وإنكار الظلم والطغيان

وثل عروش الظلمة وجبايرة الأمة هذا أمر معلوم لا ينكر والبرهان قائم عليه من التاريخ المعترف به بين الأمة) انتهى من الاختيارات المؤيدية ص ٢٩٧

س : سيدي يقال إن المأمون العباسي هو الذي صنع مذهب الإمامية لصرف الناس عن القائم من أهل البيت عليه السلام فما هو الصحيح عندكم في هذا؟

ج : يجيب عليه السلام قائلاً (والصحيح أنه حدث من قبل المأمون فقد اعتلت الرافضة به على إمام الأئمة الإمام زيد بن علي عليه السلام قالوا له إن ابن أخيك جعفرًا هو الإمام ولعل المأمون أكده لصرف الناس عن القائم من أهل البيت عليه السلام انتهى من حاشية على كتاب الموعدة الحسنة ص ١٠٣ .

(فصل في حرمة التفريق بين العترة)

س : سيدي ما رأيكم في التفريق بين العترة.

ج : يجيب عليه السلام قائلاً :

فَيَاكَ وَالتَّفْرِيقَ يَّيَّاكَ إِنَّهُمْ هُمُ الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى فَذُوا الْغَيِّ نَارِعُ
انتهى من الزلف.

س : سيدي إذا اختلف عالمان من أهل البيت في الإمامة وظاهرهما الصلاح فما ينبغي حولهما ؟

ج : يجيب عليه السلام في كتابه التحف ص ٣٠٩ قائلاً (ومهما كان المتعاصران قد بلغا رتبة الإمامة، وتحليا بجلباب الزعامة، فالأحق والأولى الحمل على السلامة، لأن كل واحد منهما يريد إصلاح الأمة، ولتحتّم وجوب القيام عليه عنده، ولا شك أن الإمام في نفس الأمر واحد، ولكن الله يقول: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ﴾ [الأحزاب: ٥]، وإنما قلنا إنه واحد في نفس الأمر لقيام الأدلة عقلاً ونقلاً).

ويقول عليه السلام في سياق كلام له حول ذلك في كتابه مجمع الفوائد ص ٢٣٨ ما لفظه (وإنما أوجب الخلاف اختلاف الآراء وتعارض الأنظار، وجب حمل الجميع على السلامة وعدم الإقدام على التورط في السب والملامة المحرمين قطعاً عقلاً وشرعاً في حق من ظهر صلاحه، ففي الخبر النبوي الصحيح: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر».) ولم يزل الخلاف هذا بين الأئمة الأعلام وهداة الأنام، ولم يظهر من أحد من أهل الحق أو التحقيق أي سب منهم لأحد أو تفسيق، لأن المسائل التي يختلفون فيها ليست من ضروريات الدين، ولما وضحت في أحد الجانبين الأدلة القاطعة والبراهين).

س : سيدي كيف حال الأشياخ المخلصين في الإتيان لأهل البيت ؟

ج : يجيب عليه السلام قائلاً: (ولقد صبرت معهم العصابة المرضية، والبقية الفائزة الزكية، على وقع السيوف، وتجرع الختوف، ووقفوا تحت ألوية أئمتهم، واثمروا بأمرهم، وانتهوا بنهيهم، وحفظوا وصاة نبيهم، وسفكت دماؤهم بين أيديهم، وأقاموا فرائض الله على الأمم، ولبوا كتاب الله فيما ألزمهم به وحكم، فسلخوا منهج التبيين، وظفروا بما وعدهم في الذكر المبين) انتهى ص ٥٣ من التحف.

س : سيدي ما رأيكم فيمن يطعن في علماء الآل الداعين إلى الجهاد ؟

ج : يجيب عليه السلام في كتابه التحف ص ٣١٠ قائلاً (فأما من أقدم على ثلم أعراض أئمة الآل الهداة، فقد تسربل بسر بال الوبال، وانتظم في سلك أرباب الضلال، وحق عليه غضب الملك المتعال، وحظه خطأ، وعلى نفسه أساء، ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧])، وأعجب من هذا إن كان من خلطاء الجهل، وأسراء التقليد، من جعلهم الله أقرب شياً بالأنعام، المنهمكين على جمع الحطام، الذين لا يفرقون بين الحلال والحرام، قد تسموا بأهل المعرفة، وتزيوا بشيء من تلك الصفة، ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض، لا يكلون النظر إلى أربابه، ولا يقفون على ما هم أحق وأولى به.

فصاهلت عرج الحمير فقلت من عدم السوابق

ضلوا وأضلوا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا، ألا إنهم هم الكاذبون.

هذا، وأما من طهرهم الله عن الأرجاس، واصطفاهم على كافة الناس، فليس بضارهم شيئاً، فقد ألحقهم الله بأبائهم من النبيين، وقدس أرواحهم في عليين، وقد أودى النبي، وعصي الوصي، فما زادهم الله إلا علواً وارتفاعاً، ولا تجد ذلك إلا في همج الدنيا، وأتباع الهوى، وأما أولياء الله فلو ضربوا بالسيوف ما زادهم إلا حبا، كيف وقد أنزلهم الله في منزلتهم واصطفاهم من شجرتهم، وخالطهم الإيمان، ووقفوا على حقيقة العرفان، ورسخت أقدامهم على هدي السنة ومحكم القرآن، جزاهم الله عن أهل بيت نبيهم أفضل الجزاء).

س : سيدي هل تتوقع أن تتغير الأوضاع في اليمن وتعود الخلافة النبوية والسيرة العلوية ؟

ج : يجيب عليه قائلاً: (وهي لا تلبث أن تتغير بمن الله تعالى، فالإيمان يمان كما قال الرسول الأعظم ﷺ) انتهى ص ٢٢١ من التحف.

(فضل أهل اليمن)

س : سيدي كيف موقف أهل اليمن أمام أهل البيت عليه السلام ؟

ج : يجيب عليه قائلاً: (ولم يكن المجاهدون مع أهل البيت إلا ذوا الإيمان من أهل اليمن خاصة، أنصار الرسول ووصيه أمير المؤمنين عليهم الصلاة والسلام، لم يستنصروا عليهم بغيرهم، ولم يدخلوا إلى اليمن أي دخيل). انتهى.

تمت الخاتمة وصلى الله على نبينا محمد وآله الطاهرين وسلم تسليماً كثيراً

الفقير إلى عفو الكريم المتعالي: عبدالغني علي ناصر حسين الحاشي.

وحرر ١٥ رمضان سنة ١٤٣٦ هـ

قائمة المحتويات

تقديم السيد العلامة مفتي الديار اليمنية رئيس رابطة علماء اليمن	٥
تقريظ السيد العلامة أحمد بن درهم المؤيدي	٧
مقدمة الكتاب (نداء لجميع المسلمين في أنحاء العالم)	٩
القسم الأول:	١٣
فصل في الحوار مع القرآن الكريم حول ولي أمرنا	١٥
فصل في تعيين أولي الأمر	٢١
فصل في ذكر الأدلة الدالة على تعيين أولي الأمر	٢٦
فصل في بيان دور السياسة الظالمة في تزيف الحقائق	٦٧
فصل في وجوب الاعتصام لنصرة الإسلام ولاذلال الكفرة الطغام	٦٩
فصل في الوسطية والاعتدال	٧١
١- المسألة الأولى	٧٢
٢- المسألة الثانية	٧٩
٣- المسألة الثالثة	٨٨
القسم الثاني:	١٠٣
فصل في الإمامة وضرورتها ووجوب القيام بها	١٠٥
فصل في الغرض من القيام بالإمامة	١١٢
الإحتساب	١١٥
فصل في وجوب القيام بالإمامة هل هو فرض عين أم فرض كفاية	١١٩
فصل في بيان من تجب طاعته من أهل البيت (ع)	١٢١
فصل في الطريق إلى الإمامة	١٢٦
بيان معنى الدعوة	١٢٧
فصل في أن خذلان الناس لا يبطل إمامة القائم	١٣٠

البيعة ليست بشرط	١٣٣
الإمامة لا تحتاج إلى العقد والاختيار والإجماع	١٣٣
فصل في عدم ثبوت الإمامة بالوصية	١٣٥
فصل في الكرامات	١٤١
فصل في الإصطفاء	١٤٤
فصل في بطلان إمامة القاعد	١٤٧
القسم الثالث:	١٦١
فصل في أنه لا تعارض بين العلم والجهاد	١٦٣
(لا تعارض بين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبين الإرشاد)	١٦٧
فصل في شوق أهل البيت للقيام والجهاد والشهادة في سبيل الله	١٧٢
فصل في الإبتلاء بالجهاد	١٧٨
فصل في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	١٨٠
فصل في وجوب الجهاد	١٨٦
فصل في فوائد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	١٩٤
فصل في فوائد الجهاد	١٩٥
فصل في الذم والوعيد لمن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد وإجابة القائم الداعي	١٩٨
فصل في وجوب تسليم الحقوق إلى الإمام وإن لم تنفذ أوامره	٢٠١
فصل في حكم وجوب الجهاد	٢٠٣
مناسبة الدعوة لجهاد أمريكا وإسرائيل	٢٠٥
فصل في قلة الأنصار وما يتعلق بذلك	٢٠٦
أسباب النصر البسيطة	٢١٥
فصل في فضل الجهاد والشهادة في سبيل الله	٢١٧
القسم الرابع:	٢١٩
فصل في اختلاف أهل البيت	٢٢١

٢٢٢	فصل في تفصيل الاختلاف
٢٢٤	فصل فيما يجب على المسلمين خصوصاً أهل الحل والعقد
٢٣٠	فصل في وجوب التحكيم للكتاب والسنة عند الاختلاف
٢٣٣	فصل في بيان الحاكم
٢٣٧	فصل في توضيح الشروط المعتمدة في إمامة الإمام
٢٤١	(فصل في بعض الإشكالات وحلها)
٢٤٨	فصل في أن الإمامة لمن قام ودعا من ذرية السبطين
٢٥٧	فصل في الترجيح بين القائمين من العترة
٢٦٨	فصل في شرعية الثورات على الظالمين
٢٧٢	فصل في السياسة الصحيحة والسياسة الباطلة
٢٨٥	فصل في سياسة التفريق بين العترة
٢٨٩	فصل في حرمة التفريق بين العترة
٢٩١	فضل أهل اليمن
٢٩٣	خاتمة الكتاب:
٢٩٦	فصل في الإمامة وضرورتها ووجوب القيام بها
٢٩٦	فصل في الغرض من القيام بالإمامة
٢٩٨	الاحتساب
٢٩٩	(فصل في القيام بالإمامة هل فرض عين أم فرض كفاية)
٢٩٩	(فصل في من تجب طاعته من أهل البيت آ)
٢٩٩	(فصل في الطريق إلى الإمامة)
٣٠٠	(بيان معنى الدعوة)
٣٠٠	(فصل في أن خذلان الناس لا يطل إمامة القائم)
٣٠١	(الإمامة لا تحتاج إلى العقد والاختيار)
٣٠١	(فصل في عدم ثبوت الإمامة بالوصية)

٣٠٥	(فصلٌ في الكرامات)
٣٠٥	(فصلٌ في الإصطفاء)
٣٠٦	(بطلان إمامة القاعد)
٣٠٦	(القسم الثالث) (فصلٌ في أنه لا تعارض بين العلم والجهاد)
٣٠٧	(لا تعارض بين الأمر والنهي وبين الإرشاد)
٣٠٧	(فصلٌ في شوق أهل البيت للجهاد)
٣٠٩	(فصلٌ في الابتلاء بالجهاد)
٣١١	(فصلٌ في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)
٣١٢	(فصلٌ في وجوب الجهاد)
٣١٣	(فصلٌ في فوائد الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)
٣١٣	(فصلٌ في الذم والوعيد لمن تخلف عن أئمة أهل البيت)
٣١٤	(فصلٌ في وجوب تسليم الحقوق الواجبة إلى الإمام وإن لم تنفذ أوامره)
٣١٥	(حكم وجوب الجهاد)
٣١٥	(فصلٌ في قلة الأنصار)
٣١٦	(مناسبة الدعوة لجهاد أمريكا وإسرائيل)
٣١٧	(فصلٌ في أسباب النصر البسيطة)
٣١٨	(فصلٌ في فضل الجهاد والشهادة)
٣١٨	(القسم الرابع) (فصلٌ في اختلاف أهل البيت)
٣١٩	(فصلٌ في تفصيل الاختلاف)
٣١٩	(فصلٌ فيما يجب على المسلمين خصوصاً أهل الحل والعقد)
٣٢٠	(فصلٌ في وجوب التحكيم عند الاختلاف)
٣٢١	(فصلٌ في بيان الحاكم)
٣٢١	(فصلٌ في توضيح الشروط المعتبرة في الإمام)
٣٢٢	(فصلٌ في بعض الإشكالات وحلها)

٣٢٢	(فصل في الإمامة لمن قام ودعا من ذرية السبطين)
٣٢٣	(فصل في الترجيح)
٣٢٤	(فصل في شرعية الثورات على الظالمين)
٣٢٥	(فصل في السياسة الصحيحة والباطلة)
٣٢٨	(فصل في سياسة التفريق)
٣٢٩	(فصل في حرمة التفريق بين العترة)
٣٣١	(فضل أهل اليمن)

